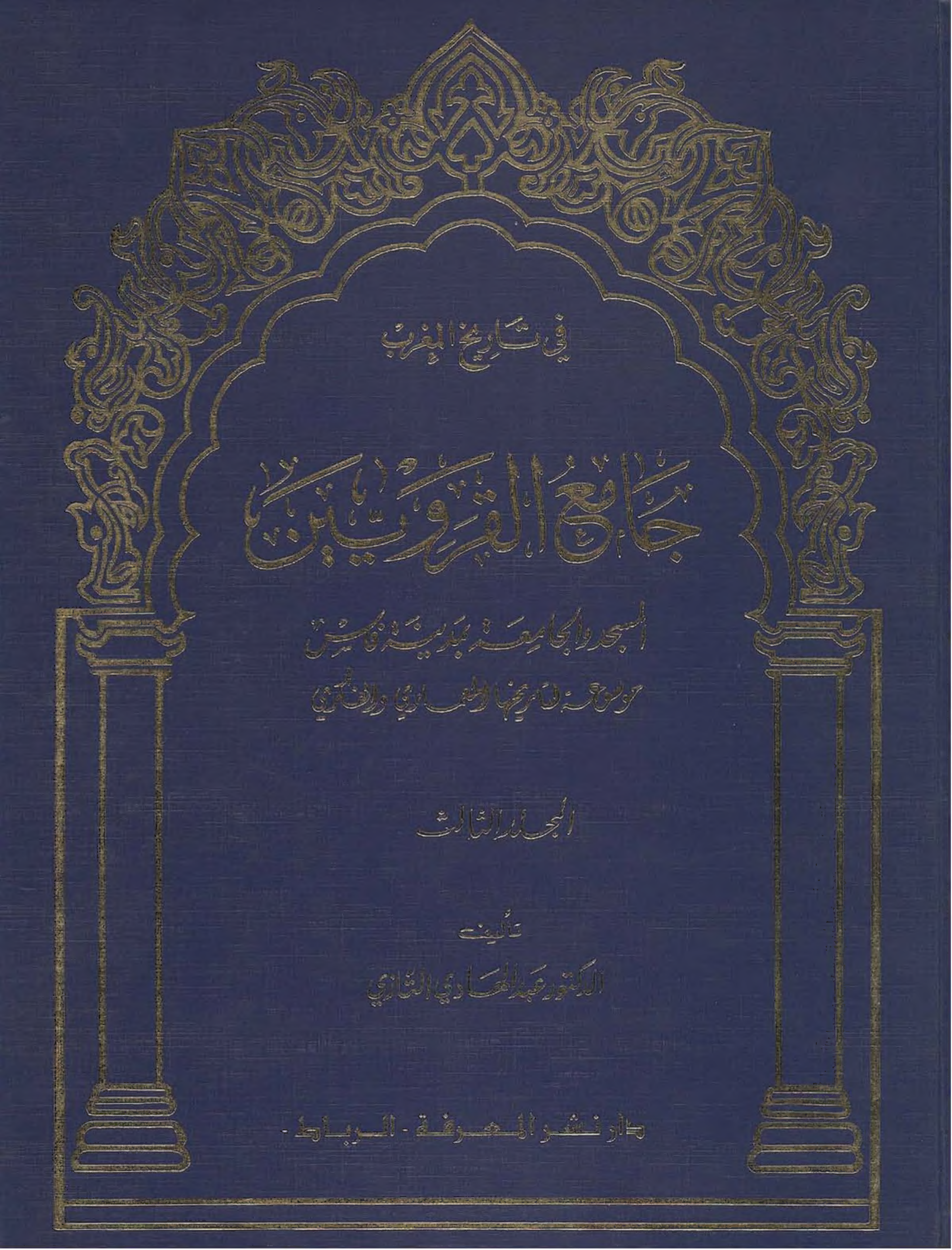


في تاريخ المغرب
جامع القرويين
المسجد والجامعة بمدينة فاس
موسوعة لتاريخها المعماري والفكري
المجلد الثالث
تأليف
الدكتور عبد الهادي التازي
دار نشر المعرفة - الرباط -


جامع القرويين

في تاريخ المغرب

جامع القرويين

المسجد والجامعة بمدينة فاس
موسوعة لتاريخها المعماري والفكري

المجلّد الثالث

تأليف

الدكتور عبد الهادي التازي

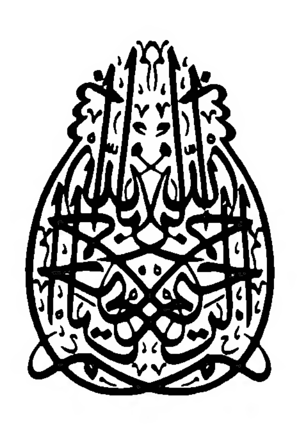
عضو أكاديمية المملكة المغربية
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
وعضو اتحاد المجامع العربية



الطبعة ا لأولى 1972 دار الكتاب اللبناني
الطبعة الثانية 2000 دار نشر المعرفة – الرباط – المغرب

الإيداع القانوني رقم : 2000/295
ردمك 8 - 45 - 808 - 9981

الباب الثالث



القرويين على عهد العلويين

الفصل الأول

الزيادات المعمارية والعمرانية في القرويين على هذا العهد

الثريات والإنارة – البلاط الاوسط – نظارة الاوقاف – رسم القبلة داخل المحراب – العنزات – الخصة الوسطى – الساعات الشمسية – اصلاح القبتين – تأثيث الغرفة – اسطرلاب الغريفة ومحمد الثالث – الكرات الاربع – الصومعة كمرصد – الألواح القرآنية – محكمة القاضي لصق الجامع – حرم القرويين – خزانة القرويين على عهد العلويين – مدارس القرويين على عهد العلويين – مدرسة الشراطين – المدرسة المحمدية – مدارس عهد الاستقلال.

الزيادات المعمارية في القرويين على عهد الدولة العلوية

بالرغم مما بذله السعديون من أجل تنْسية رجال القرويين ما كان اقترفه بعض انصارهم ازاء العلامة الونشريسي ، وبالرغم مما شيدوه داخل القرويين من زاوية القراء ، أو خلوة الأسبوع العليا – القبة الشرقية ، والغربية ، والخزانة الأحمدية. بالرغم من كل ذلك ، ظلت دولتهم بفاس قلقة وانتهت بالأيام العصيبة التي شاهدتها المدينة لما استولى الاسبان على مدينة العرائش والتي عانىَ منها رجال القرويين شدائد واهوالاً أدَّت الى محنة بعضٍ وهجرة بعضٍ آخر ، بل ادت الى تعطيل الدراسة وتعطيل الصلوات في جامع القرويين .

ولم يستقر الحال حتى أخذت الدولة العلوية بناصية الامور ، وقضت على كل الحركات التي كانت تهدد البلاد بتجزئة خطيرة من شأنها ان تساعد بعض الدول المجاورة المتربصة على الإجهاز على البلاد المغربية .

ولما كانت القرويين أول من شعر باضطهاد السعديين في شخص رجالها وعلمائها عمد العلويون الى هذه القرويين يولونها من عنايتهم ويحيطونها بمختلف انواع الرعاية .

وقد انصرفت جهودهم بادئ بدء الى الحفاظ المطلق على التراث العظيم الذي سلم من هذا الجامع منذ أيام المرابطين والموحدين وبني مرين والوطاسيين والسعديين ، وتجلّى هذا الحفاظ في ترميم الجهات المهددة بالانهيار ، وفي تنمية بعض الأثاث والاستفادة من الساعات العصرية التي ظهرت في أروبا ، واذا كان هناك من يستحق فضل حماية تلك الآثار المجيدة الرفيعة من الضياع والزوال ، فهم ذرية المولى الشريف وحفدته وأسباطه الذين ظلت القرويين مثابتهم سواء أقاموا بفاس ام بمكناس ام بمراكش . وماذا كانت القرويين تنتظر من المولى الرشيد مؤسس الدولة وقد كان سلطاناً للطلبة قبل ان يمسي سلطاناً على البلاد ؟

نال البلاط الاوسط منهم التفاتةً شاملة سواء في القباب أو في الثريات او في العنزات ، وازدانت كذالك « الغريفة » غرفة المؤقتين بمختلف أنواع الساعات الأروبية وآلات الحساب التي استوردت خصيصاً من الدول الصديقة .

وشيدت المدارس الداخلية للطلاب ، وبنيت محكمة خاصة للقاضي في صميم سماط العدول ، ظلت الى الأيام الأخيرة شاخصة ثابتة ، وعمدوا الى الصحن فادخلوا عليه تحسينات زادت في جماله وبهائه بما نصبوا فيه من ساعات شمسية وفوّارات ، والتفتوا الى الخزائن العلمية فرتبوا وفهرسوا وبنوا وشيدوا .

كل واحد منهم كان يرى أن عليه تخليد اسمه في زاويةٍ من زواياها ، أو في ركن من أركانها .

الثريات والإنارة

كان أول أمر لفت نظر السلطان المولى إسماعيل الى صيانته والعناية به ، هو الثريا الكبرى التي ظلّت منذ أيام الموحدين ثابتة تذكي الأمل في قلوب المؤمنين ، فأصدر أمره بإنزالها وتنظيفها ، واعادة صنع القطع التي تهددت فيها بتلف أوضياع ، ثم إعادتها الى مكانها بعد أن نقش عليها اسم هذا الملك العظيم ، الى جانب اسم السلطان المنصور الموحدي ، وهكذا أمكننا ان نقف على هذه الكلمات : « تجددت هذه الثرية السعيدة عن أمر أمير المؤمنين المتوكل

على رب العالمين ، مولانا إسماعيل الشريف الحسني ، أيده الله ونصره سنة ل ـ ٢ » يعني سنة عشرين ومئة وألف [١] بالقلم الفاسي » .

وقد استطاعت الثريا بعد العهد الاسماعيلي أن تستمر أنساً للمجتهدين وهداية للعابدين ، ولا شك أن يد العناية ما فتئت ترعاها في السَّنوات الّلاحقة من مختلف الملوك الذين تعاقبوا على كرسي الإمارة الى ان كانت ايام السلطان المولى الحسن الاول الذي قام بجولة شاملة في سائر الثريات [٢] وعندما جلس السلطان سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس) على العرش كان في صدر ما تيمن به ان امر بمراجعة جميع الثريات التي بالقرويين ، وكانت مناسبة طيّبة للاستعاضة عن استعمال الزيت الذي عرفته القرويين منذ أحد عشر قرنا من الزمن . بالكهرباء التي اقتحمت المدينة منذ أيام السلطان المولى عبد العزيز [٣] . وقد نقش اسم العاهل العظيم محمد الخامس على ناقوس الثريا الذي في القبة الرابعة ابتداءً من قبة المحراب السابعة من جهة العنزَة ، نقش هكذا : « الحمد لله قد جرى الإصلاح في جميع الثريات ، وادخال الضوء الكهربائي بأمر من جلالة السلطان سيدي محمد ، نصره الله على يد ناظر القرويين السيد الحاج عبد المجيد الجاي عام ١٣٤٩

وقد كان آخر ما صنع من ثريات هناك ما قام به الملك الحسن الثاني من تعويض عن الثريا البسيطة التي كانت على باب المحراب بثريا فاخرة على النمط المغربي ، المعروف على عهد بني مرين تحتوي على خمس حاملات للقناديل .وبين هذا وذاك قامت الدولة بنصب مصابيح كبيرة في عدد من الجهات في القرويين وخارجها .

ولقد نصب خارج باب العدول الكبير مصباح كبير من صنع فاس ، كما نصب مثله في باب الشماعين وباب الورد كذلك . وعلق مصباحان من هذا النوع على جانبي محراب العنزَة بصحن الجامع وآخر بباب الصومعة من عهد السلطان محمد الخامس [٤]

البلاط الأوسط

وكما أولى العلويون المسجد عنايتهم لوسائل الإنارة فيه ، التفتوا الى البلاط الاوسط ، فتعهدوه أحياناً بالاصلاح والترميم ، وأحياناً بالزيادة في ثرواته الفنية .

وهكذا كان أول ما قاموا به في أعلى واجهة المحراب إحداث شماسيتين لإدخال الضوء الى هذه الجهة ، وهما الشماسيتان اللتان تعلوان الشماسيات الثلاث القديمة [٥] ، وتتعارضان على اللَّوحة التي تحمل اسم باني القبة : (عبد الله بن محمد) ، وتأخذان من النقوش الكوفية التي تتسلسل على جوانب القبة خارج المحراب .

وبالاضافة الى هذه العمليات ، أنشأوا القبة المضلعة التي تحمل الجرس الأكبر ، وهي الثالثة من جهة العنزة .

ومن يقف على هذه القبة الجميلة بما احتوته من خطوط هندسية متقنة المقاييس ومن شماسيات واقواس وتخريم وتطريز ، فربما يلتبس عليه الأمر فيعدّها من القباب القديمة التي بنيت في عصر ازدهار الفن المغربي الأندلسي ، الأمر الذي يدل على الاستمرارية التي طبعت حياة المغرب في شتى مناحي الحياة فيه .

وقد كان الغرض من القصد الى هذه القبة نفسها لفت النظر الى ما تحتضنه ، ثم الى أيام للأمبراطورية المغربية خلت ، كانت تمتد فيها من تخوم السوادين الى جنوب أروبا ، فليس من قبيل المصادفة اذَنْ توجيه العناية الى هذا

المربع الجميل[٦] . لكن أهمَّ عمل سيذكر على الدوام في عهد العلويين هو إماطة اللثام عن الفنون المغربية التي ظلّ يحتضنها البلاط الأوسط منذ بضعة قرون ، فقد علمنا أن كل ما ابدعته اليد المغربية هنا على عهد المرابطين ، كتمت انفاسه عند ظهور الموحدين في البلاد سنة ٥٤٠ هـ[٧] .

لقد استمر الحال على ما كان عليه فإن أحداً لم يتنبه لإظهار تلك الآثار ولاسيما مع ضعف شغف الناس بالتنقيب قديماً ، ومع أن نصوص روض القرطاس كانت صريحة في أنه كان هنا شيئ .

وقد وقعت حادثة منذ نحو قرن من الزمان في عام ١٢٦٦ هـ على التعيين ، كان يمكن أن تنبه الناس الى هاتيك المعالم المرابطية ، لكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فقد سقطت قطعة من الجِبْس في الصف الثالث تزن نحو ربع قنطار يوم الجمعة والإمام يخطب[٨] .

ولما كانت أيام محمد الخامس تعاونت وزارة الأوقاف مع مصلحة الآثار على ترميم الجامع وبخاصة البلاط الأوسط ، فبعد ان نحّي الأغطية الأولى من الجير التي كانت تغلف نتوء المقربصات ، وتحجب اللوحات المزخرفة ، ظهرت آثار تلك القطع الرائعة ، واكتشفت عشرات وعشرات من الوصلات المطرزة المنقوشة . كان الأمر بمثابة حدث القرويين الأكبر في هذا التاريخ[٩]

رسمُ القِبلة داخل المحراب ١٠٦٠هـ

يلاحظ داخل محراب القرويين يسار المستقبل رسم يشير الى الجهة التي على الإمام أن يتولاها ، فمتى ثبت هذا الرسم هنا ؟ لابدّ لمعرفة ذلك من أن نستعرض في اختصار ، ما مرت به قضية القبلة في القرويين من محاورات .

لقد طولب المسلمون بالتوجه شطر المسجد الحرام عند كل صلاة ، فكان ضرورياً بالنسبة الى أهل الاسلام أن ينصبوا محاريبهم نحو الكعبة ، لكن عليهم أن يسامتوها ؟ أو يطلب اليهم أن يقصد واجهتها حَسْبُ ؟ ثم ما حدود هذه الجهة ؟ هل يلاحظ فيها جانب « التوسعة » على المؤمنين ، أم يراعى فيها جانب « الضبط » ؟ معظم رجال العلم على أن المطالب به هو الجهة لا السَّمت ، ثم كان من رأي الكثير من العُلماء الأقدمين تقدير هذه الجهة بنصف الدّور أعني ثمانين درجة ومئة درجة : تسعون يمين السمت ، وتسعون يساره ، وهي ما تسمى « بالجهة الكبرى » . وكان رأي آخرين اعتبار « الجهة الصغرى » أعني ربع الدور فقط ، تسعين درجة : خمسة واربعون ذات اليمين ، ومثلها ذات اليسار . فعلى أي مذهب من المذهبين نصب محراب القرويين ؟

إنه نصب على نحو قبلة جامع الشرفاء على ما تقدم[١٠] ، لكن مَن نَصَب قبلة جامع الشرفاء ؟ لقد جمع إدريس الثاني رجال العلم والفقه ، واستشارهم في شأن نصب المحراب لمسجد العدوة ، فكان الرأي الذي نال رضى الناس هو رأي الأقدمين الذين يقولون « الجهة الكبرى » هي الجهة المطالب بها شرعاً ، وأن المحظور إنما هو الاستدبار ، وهو رأي يتفق وروح التعاليم الإسلامية المشبعة باليسر والتسامح ، وهكذا تقرر أن تلاحظ في نصب المحراب بالقرويين « الجهة الكبرى » ، فلينصب اذن في أيّ نقطة من نصف الدور ، فإن أولها يستوي بآخرها . واتفق أن كان موقعه في الدرجة الثامنة والسبعين يمين السمت الذي يميل عن نقطة المشرق بنحو ست درجات .

واستمرت الصلاة في المحراب الذي أنشأته فاطمة ام البنين . فلما كانت دولة عليّ بن تاشفين ، وتقررت الزيادة

جنوب القرويين (جهة المحراب) ، كان في جملة ما استدعى انتباه الفقهاء ، وخاصة قاضي الجماعة الشيخ عبد الحق ابن معيشة ، مسألةُ وضع المحراب ، وكانت اعمال البناء جادّة في جهته : لماذا ؟ لأنهم ، فيما يظهر راحوا ممن يقتنع بالقول بالجهة الصغرى أكثر من اقتناعهم برأي الاقدمين ، اذ كيف يسمح للمصلي أن ينحرف عن سمت القبلة بثمان وسبعين درجة ؟ لا بد أن يختار للمحراب مكان مناسب ، فليقرب من السمت إن لم يمكن أن يكون فيه . ولاحظوا أن أنسب موقع ينبغي أن ينصب المحراب فيه ، هو خط الجهة الفرعية بالضبط ، وسطاً بين الجنوب والشرق ، حيث توجد عين كانت تعرف باسم « عين قرقف » ، لكنهم اصطدموا بمشكلٍ اضطر معه القاضي الى العدول عن المشروع . لقد تعرضت له في طريقه نحو « المكان المناسب » دار الفقيه أبي علي بن أبي الحسن ، فمن يستطيع أن يفاتح أبا علي في هدم داره ؟ لعله كان شخصية بارزة محترمة ، ولعله كان من أنصار القول « بالجهة الكبرى » الذين يصعب إقناعهم باستحلال هدم المنازل من أجل تحسين يراه غير ضروري . وبالرغم من « قانون نزع الملكة » الذي صدر في حق من لهم بيوت في قبلة القرويين أو شرقها أو غربها مما تتوقف عليه الحاجة ، فان القاضي عبد الحق آثر أن لا يضايق الفقيه أبا عليّ ، واكتفى بتقديم المحراب الإدريسيّ القديم الى حيث المحراب الحالي في نفس النقطة الثامنة والسبعين عن يمين السَّمْت الحقيقي .

* * *

وثار الحديث مرة أخرى حول موقع المحراب بالقرويين ، وما كاد المرينيون يأخذون بناصية الأمور ، ويصبح أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ملكا على فاس ، حتى أراد أن يدشن عهده بإنشاء مدرسة داخلية ، ليحل بها مشكلة الطلبة الواردين على القرويين من الخارج ، فأمر بانشاء « المدرسة اليعقوبية » سنة سبعين وست مئة (١٢٧١ — ١٢٧٢ م) على ما نعرف ، واختير لنصب قبلتها الأستاذ المعدل أبو عبد الله محمد بن الحباك [١١] ، وقد كان من المقدرة والكفاية بحيث يضرب به المثل ، وتم نصبها على أحسن ما تتطلبه حسابات علم الهيئة ، لكن سرعان ما أدرك الناس أن القبلة فيها تنحرف عن قبلة القرويين ، فأيهما الصواب ؟ وتجاوز الحديث أوساط المدينة ليتصل « بأمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين » أبي يوسف يعقوب

ولم يكن أبو يوسف ممّن يستبدون برأيهم ، فقرر أن يوجه دعوةً الى رجال العلم للنظر في الموضوع ، وتبادل الحاضرون الحديث ، فتقدم في جملة من تقدم أحد الشيوخ يقول : « إن جامع القرويين نصبت قبلتة على سمت القبلة التي نصبها الرجل الصالح مولانا إدريس ، ومر على ذلك مئون من السنين ، وصلى فيه جماعات من العلماء والصلحاء وكبار الفقهاء ، وأمراء العدل ممّن يقتدى باقوالهم وافعالهم ، وممن لا يحل لاحد أن يظن بهم الا خيراً ، فلم يغيّروا ذلك ، وأن ما يظهر في بعض المساجد من الا نحراف قد يقرب من الصواب في رأي مَن يرى أن المطلوب إنما هو جهة مكة ، والجهة في ذلك حاصلة ، وهذا القول هو الراجح » .

وتكلم دون شك آخرون ، وما كان من الملك إلا أن أقر كلاً من المحرابين : محراب القرويين ومحراب الصفارين ، فان كلا منهما يقع بين المشرق والمغرب ، وهكذا رافع الفقهاء صدر دولة بني مرين في جانب « الجهة الكبرى » ، رافعوا في حرية وعن روية ، وكانوا في رأيهم يعبرون عما يعتقدون ، ولم يكن احترام المحرابين إلا لأن الفقه في نظرهم يقتضي ذلك ، لا أن الفقهاء من أنصار « الامر الواقع » دائما ، وأنهم ألِفوا ان يتهيّبوا قلب الأوضاع ، كما يدعيه خصومهم [١٢] .

ولكن مع هذا ، هل أسدل الستار على مشكلة المحراب ؟ إن الناس يستقبلونه خمس مرات في اليوم ! وفي كل مرة من هذه المرات الخمس تساورهم الافكار. وفي أهل فاس من أخذوا يقصدون للصلاة « بالمدرسة اليعقوبية » لأن قبلتها محكمة . وهكذا أخذت فكرة « الجهة الصغرى » تنتصر ، وقوّى من عضدها ظهور بعض الأقطاب ممن نظموا الدعوة لها ، وتصدوا للإمامة فيها ، واخذوا ينحرفون يسار المحراب على مرأى وسمع من المأمومين ، وسرعانَ ما آمن الناس بأن الانحراف عند الصلاة أمر من الدين ، فطفقوا يتواصون ، ولم تنته دولة بني مرين حتى كان في جملة الأوقاف على المسجد وقفٌ خاص بمن ينادي في الناس إثر إقامة الصلاة : « إنحرفوا بتحريف الإمام يرحمكم الله : إنه طائفة من الزيتون » الذي حبسه الفقيه الورياغلي (ت ٨٨٠ هـ) على من ينبه المصلين الى « تعديل الصفوف »[١٣] .

المحراب أمام علماء الشرق !

فهل اقتنع الناس بهذا الحل ؟ إن في العلماء من كان يتحمس للفكرة ، الى حد بعيد ، وكان يرى أن في بقاء المحراب على وضعه الحالي ضرراً بالطارئين والغرباء الذين يردون على المسجد للصلاة ، فهل يظل المنبه دائما على باب المحراب ؟ وهكذا أخذت طائفة من رجال العلم تثير قضية المحراب ؟ ، وكان مما يمهد لهذا دون شك إعداد الجو ، ولأجل هذا الغرض كتب الأستاذ عبد الرحمن التاجوري الإفريقي الى علماء مصر والحجاز أواخر المرينيين سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ – ١٥٢٨) يستفتيهم عمن « نصب محرابه بالمغرب بين المشرق والمغرب مستقبلا جهة الجنوب » ، وهل يجب على هؤلاء استقبال القبلة الشرعية ؟ واذا قلتم بوجوب ذلك ، فهل يجب هدْم المحاريب الفاسدة كي لا يغتر بها الغريب والمسافر والجاهل ؟ وهل ينبغي لناظر المسجد أن ينقض بنيانه ثم يعيده مربعا على جهة القبلة الشرعية متى كان في الوقف سعة ؟ »

وأجابت طائفة من الفقهاء من مقلدة المذاهب الأربعة : مالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل جميعاً . بوجوب الرجوع الى رأي الموقتين في الموضوع ، لأنهم أعلم بالأدلة ، وقالوا : إن حديث « ما بين المشرق والمغرب قبلة » مخصوص ببعض الأقطار كالمدينة واليمن ، وأما من عداهم فليس من مشمولات الحديث[١٤] ، وعليه فليتجه الناس نحو القبلة الشرعية ، لكن العلماء المشارقة أبدوا تحفظاتهم حول نقض البنيان . . .

وأمضى جانب الفتوى المتعلق بالميقات محمد الهندي الميقاتي ، وعبد الخالق الحاكمي الحنفي ، ومحمد الشويخ الميقاتي، محمد الشامي الميقاتي، محمد الهيتمي ومحمد السنهوري ورجب الميقاتي، كما امضى جانبها الذي يتعلق بالفقه محمد بن الحسن اللقاني، ومحمد بن ابراهيم التتائي، والناصربن حسن اللقاني الخ.

مؤتمر جديد بحضرة أبي العباس الوطاسي !

وأراد الشيخ التاجوري أن يعرف صدى حركته عند علماء فاس عن طريق مؤكدة فكتب أيضاً إلى أمير فاس أبي العباس ألوطاسي يستفسره عن رأيه في شأن قبلة القرويين ، فلم يسع الأمير الا أن يأمر بأن يقرأ كتابه على فقهاء الحضرة ، وكان منهم أبو زيد عبد الرحمن بن علي سقيّن ، وأبو محمد عبد الواحد الونشريسي ، وهؤلاء ومن تبعهم كانوا من حزب التاجوري ، فرأوا أن في السكوت جواباً ، ولم يرتض الشيخ عبد الوهاب الزقاق وزميل له السكوت ، وبالرغم من وجود نوع معارضة ، فان فكرة الأستاذ التاجوري ظلت دائما مسيطرة .

القبلة من جديد امام العلماء على عهد السعديين (١٠٦٠ هـ)

وعلى حدود الستين وألف (١٦٥٠ م) على عهد دولة محمد الشيخ من أواخر الملوك السعديين انبعث الحديث مجدداً في مسألة قبلة القرويين . فان حاملي لواء الشريعة ظلوا دائماً هدفاً لسؤال الناس وعنتهم ، فاجتمع مؤتمر ضم رجال الفقه من جهة ، ورجال التعديل من جهة أخرى ، وبعد تبادل وجهات النظر استقر الرأي على أن « الجهة الصغرى » أولى بالاعتبار ، وما دامت الوسائل قد توفرت لمعرفة عيْن الجهة ، فمن غير اللائق أن يحيد الإنسان عنها ، وحيث إن نقض البنيان مما يرهق كاهل المسجد ، فليكتف المؤذن بعد أن يقيم الصلاة بترديد التنبيه على الانحراف ولْترسم في المحراب نفسه علامة تحدد الجهة المطلوبة ، وهكذا انفصلوا على ما انفصل عليه الناس منذ زمان .

العلويون وأمر القبلة

كان أمر المحاريب بفاس مشغلة للدولة العلوية منذ أيامها الاولى ، ولهذا نرى السلطان المولى الرشيد لما أراد تخطيط مدرسة الشراطين ، جمع العلماء بادئ بدء ليقولوا رأيهم أين يوضع المحراب حتى لا يقع فيما وقع فيه الأقدمون .

وهكذا كان أيضاً لما قرر السلطان المولى اسماعيل تجديد جامع الشرفاء الذي كان أساساً لقبلة القرويين وبعد الفراغ من بنائه بحث في امر قبلته الموقت سيدي العربي بن عبد السلام الفاسي ، واستدل على انحرافها في كتاب أصدره إذ ذاك [١٥] . فلما بلغ ذلك الى علم السلطان المولى اسماعيل ، أمر بتجديد بناء المسجد مرة ثانية إن كان ما قاله الشيخ الفاسي حقاً ، وهنا اجتمع علماء الوقت ورؤساؤه كالشيخ محمد المسناوي ، وأبي عليّ بن رحال المعداني ، وأبي عبد الله ميارة الصغير ، ومحمد بن حمدون بناني ، وابن عمه محمد بن عبد السلام بناني (شارح الاكتفاء) ، والأستاذ عليّ الشدادي ، وعميد الموقتين العياشي الخلطي . والموقت أحمد بن شنتوف والأستاذ العربي قصارة موقت منار القرويين ، اجتمعوا لتبادل الرأي في هذه « القبلة » في مجلس الأحكام الشرعية بمحضر قاضي الوقت أبي الحسن ابن عبد الواحد أبي عنان الشريف وعامل المدينة الرئيس أبي عليّ الروسي ، واتفقوا أخيراً على صحة الملاحظة ، وأن المحراب يبعد كثيراً عن عين الكعبة ، ولكنهم رفضوا بأجمعهم أن تهدم قبلة المسجد المذكور وأنه يمكن التفضي عنه بانحراف المصليّ كما جرى به العمل في القرويين بتنبيه الموءذن على ذلك منذ زمان [١٦] .

العَنَزات

واعتباراً لتعرض العنَزة لوهج الشمس وفعل الشتاء ، امر السلطان المولى اسماعيل ، بتجديدها في الوقت الذي كان فيه عماله يركبون عنَزة الجامع الأعظم من فاس الجديد حوالي سنة ١٠٨٩ [١٧] .

وبعد المولى اسماعيل ظلت كذلك محل عناية من طرف أسباطه ، وقد كان من تلك الاصلاحات ما قام به السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (محمد الرابع) عام ١٢٨١هـ(١٨٦٤-١٨٦٥) كما يلاحظ منقوشاً على واجهتها .

وبظهور الأجانب بالمغرب وترددهم على زيارة معالم مدينة فاس ، غار السلطان المولى يوسف قدس الله روحه

على القرويين ، وأكْبَر أن تظهر أطرافها للسياح الأجانب ، نظراً للحجاب الكثيف الذي تحاط به بيوت الله ، فأصدر أوامره بنصب ثلاث عنزات إضافية بالجامع : كانت أولاها في مدخل باب الشماعين ، والثانية في باب الورد ، والثالثة في باب الخصة ، وكان ذلك حماية للمسجد من فضول المتطلّعين .

الخصة الوسطى

اعتقد كثير ممّن كتبوا في شأن القرويين أن هذه الخصة ترجع الى عهد قديم جدّاً ، وقد كان في صدر هؤلاء عدد من الأجانب الذين التبست عليهم الخصة هذه بالبيلة التي نصبت بباب الحفاة أيام المظفر بن المنصور أو بالبيلة التي نصبت بعدُ في الجانب الشرقي من صحن المسجد أواخر دولة الموحدين[١٨] ، ومَنْ يتتبع بدقة الظروف التي مرّ بها الصّحن بالقرويين ، وبخاصة عند فرشه أو تعداد زليجه يتأكد أنه ظلّ شاغراً الى أيام الدولة السعدية التي أضافت في الجانب الغربي خصة في مقابلة الجانب الشرقي ، ثم بداية أيام الدولة العلوية التي زيّنت مركز الصحن بالخصة الوسطى .

ويظهر أن هذا تم بمناسبة تأسيس المولى اسماعيل للخصّة الوسطى بجامع الأندلس سنة ١٠٩٣ هـ[١٩] والذي يزيد في يقين ما افترضناه أنه لم يرد ذكر لفيض الخصة الوسطى في الحوالات الوقفية قبيل هذا التاريخ ، ولكن الحوالات تحدثت عن فيض خصتي الوادي : السعدية والعلوية ، أيام المولى اسماعيل ، وعندما تردد الحديث عن تفريش الصحن من قبل السيدة الفضلى زوج السلطان المولى الرشيد[٢٠] .

لم يتعرض إطلاقاً لذكر الخصة الوسطى ، الأمر الذي يدل على أنها كانت من عمل المولى السلطان المولى اسماعيل .
وأما النص على وجود ساقية تشق صحن جامع منذ أيام صاحب التشوف ، فإن القصد – كما سبق أن قلنا – الى جامع الأندلس[٢١] .

وكما أثارت « الخصة الحسناء » شاعرية القاضي المغيلي أيام بني مرين ، حركت هذه الخصة كذلك الأديب أبا العباس أحمد الصبيحي السلاوي (ت ١٣٦٣ هـ) فقال فيها ملغزا :

وجـــارية بضّــة غَضّـــة ... مــلازمــة الرقص في الجــامــع
يراهـــا الأفاضل باديـــة ... ولا إثمَ في الكلّ يا سامعي[٢٢]

السّاعات الشمسية

وكما اقتفى بنو مرين من سبقهم في تزويد القرويين بالسّاعات الشمسية[٢٣] فإن العلويين لم يغفلوا هذه الناحية ، وهكذا كانت لهم بسطح الجامع ساعة وبالصحن كذلك ساعتان بالاضافة الى ساعة رابعة .

أما الساعة الشمسية التي في السطح ، فهي التي قبالة الداخل اليه من باب الغريفة النافذ للسطح ، وهي من أيام السلطان المولى سليمان ، وكان الذي تولى صنعَها ونصبها هو الفقيه الموقت السيد محمد الحبابي في حدود سنة ١٢٢٠ هـ .

أما الساعتان الشمسيتان اللتان بالصحن ، فأولاهما في الناحية الشرقية منه « يمنة القبة » التي تظلّل الخصة الحسناء

وقد تعبت هذه أوكادت ، والساعة الثانية هي التي ما تزال واضحة محفوظة على الجدار الشمالي ، وكلتا الساعتين من عهد الملك الحسن الأول (١٢٩٠ - ١٣١١) ، وكان السيد الذي عهد اليه العاهل صنعها هو الفقيه الموقت المعدل الجيلالي الرحالي المكناسي ، وذلك حين استدناه ليصنع له رخامة الوقت بالمشور السعيد [٢٤] . (رسم رقم ٣٥٨)

وقد نقشت باحاطة الساعة الشمسية التي بالصحن ، هذه القطعة الشعرية :

يا داخلاً بيت الإلاه تؤمّه	لا تنسَ رفع الطرف نحو سناء
حقق جديد الوقت من ساعاتنا	عندي المراد وعزة الأمـراء ؟
إن الأمير أدام ربيّ ملكـــــه	من أمره الأسمى بلغت سنائي ؟
عمت محاسنه بحسن سماته	فهو الإمام وشمس كل سماء
. . . المفـــاخر نشـــأتي	عبد الإلاه العـــالم المعطـــاء
وخليفة الطود الأمير سليلــــه	عين المجادة والعـــلاء دواء
. . . تأمـــل حكمــــــتي	قد عالجتها بحسن دعـائي [٢٥] .

وفي أواخر ايام السلطان المولى عبد العزيز أمر بنصب مزولة دقيقة ، ظلّ الموقت بالمنار يعتمد عليها لتحديد الأوقات ، ولتحقيق الساعات الأروبية عليها [٢٦] .

اصلاح القبّتين

ولم يفتأ العلويون يتعهدون القبتين المتقابلتين في الصحن ، وقد تحدث المؤرخ ابن زيدان عن تجديد السلطان المولى يوسف للقبتين المتساميتين ، ونعتقد أنه عند هذا التجديد قام العمال بتغيير اللوحة المنقوشة التي كانت على الواجهة الغربية من القبة الشرقية على « الخصة الحسناء » ، وقد أبدلت بلوحة أخرى تحمل شعراً غريباً عما هو في الواجهتين الشمالية والجنوبية [٢٧] ، كما يحتمل أنه بهذه المناسبة أيضاً تجدد الزليج الذي يحتوي على القصيدة المنقوشة فوق الدكّة عند جدار الصومعة :

سرحْ جفونَك كي تـــرى　　　مني جمـــالاً أزهــــرا

تـأثيـث الغـريـفـة...

كل ما زود به بنو مرين الغريفة من ساعات مائية وساعات رملية واسطرلابات غدا ، بمطلع الدولة العلوية ، غير صالح للاستعمال فقد ظهرت في العالم الساعات الآلية التي تنضبط زماناً وتحسن منظراً وتصغر حجماً . لقد استفاد الملوك العلويون من اتصالاتهم الخارجية بالدول الاجنبية ، فكانوا كلما بعثوا بسفير او استقبلوا سفيراً حصلوا على عدد من التحف ، وقد كان في اشهر تلك التحف الساعات العصرية الكبرى والات التعديل والتنجيم . . وكان اول بقعة تستحق ، في نظرهم ، التأثيث بمثل هذه التحف ، هي الغريفة مركز الموقتين في منار جامع القرويين . . .

ولهذا فليس من الغريب ان نجد هذا المكان يحظى بساعة هولاندية صنعت سنة ١٦٨٠ (١٠٩٠ هـ ١٠٩١) ، وكانت من اهداء السلطان المولى اسماعيل للقرويين ، ومع أنه لم يبق منها اليوم الا أشلاء متناثرة لكنها كانت فيما يتأكد فريدة من نوعها .

والى جانب الساعة الهولاندية توجد ساعة فرنسية هي ايضا هدية من السلطان المولى اسماعيل ، وهي محمولة على عمادين رخاميين صغيرين[٢٨] يقومان على قاعدة رخامية ايضاً وقد حبَّسها في منتصف شهر رجب من عام ١١٢٥ ، ومعلوم ان العلاقات المغربية الفرنسية اخذت تستعيد حياتها الطبيعية بعد الازمة الطويلة التي أحدثها الاستيلاء على ثلاثة وسبعين حملا من خزانة السلطان زيدان من الدولة السعدية[٢٩] ، فليس ببعيد أن تكون الساعة وردت مع أحد السفراء المترددين على الديار الفرنسية آنذاك .

والى جانب الساعة الفرنسية هناك ساعة انجليزية صنعت في لندن ، وقد حبسها على غريفة الموقتين السلطان الجليل المولى عبد الله سنة ١١٦٨ هـ في مملكته الرابعة على مدينة فاس[٣٠] .

وبعد هذا تجيئ ساعة كانت في صدر الساعات الرائعة في الغريفة لولا عبث الأيدي بها . تلك هي الساعة اللندنية التي اهداها الملك سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) الى منار جامع القرويين سنة ١١٧٧ هـ .

وقد وقفتُ على وثيقة سجلت في الحوالة الاسماعيلية تبركاً ، وإن كانت ترجع الى أيام حفيده السلطان محمد بن عبد الله في سادس المحرم عام ١١٧٧ هـ ، وتنص الوثيقة على ان الملك محمداً الثالث حبس هذه المنجانة على غريفة القرويين بمقتضى اشهاد عدلي ، ويقول الرسم : « ومن حسن لطائفه (أي لطائف الملك محمد بن عبدالله) أنه أراد استخبار علم التوقيت بالأخذ في ارتفاعات أسطرلاب جامع القرويين[٣١] ، فحازه حتى شفا منه الغليل ، وبقي عنده الأمل القليل ، وخشي أن يكون الانتفاع به تلك المدة قد عطل ، فرده مصحوباً بمجانة ذات نقاش[٣٢] أربع ، تضرب كل ربع ، وتضرب الآلة على الاثلاث ، وعدد صنائعها اثنتا عشرة صنْعة ، وفيها سير القمر ، وعدد أيام الشهر العجمي والشهر العربي ، وعليها تاج ، تكون حبساً على جامع القرويين ، أرسلها مع موقت الحضرة العلية السيد عليّ بن يوسف ، فحضر القاضي العلامة سيدي عبد القادر بوخريص والمحتسب الحاج عبد الله حكيم فحازاها ، ودفعاها للموقتين بصومعة القرويين ، وهما سيدي عبد القادر وسيدي عليّ القصارة[٣٣] ، فحازاها وجعلاها بمحل التوقيت ، كما حازا الاسطرلاب المعار ، وكان ذلك في عاشر ربيع الثاني عام ١١٧٧ هـ . »

وتوجد كذلك بالغريفة « مكّانة » من صنع إنجليزي صنعت بلندن ، وقد حبسها المولى اليزيد على جامع القرويين ، وإن لم تتجاوز أيام ولايته السنتين ، لقد كانوا يرون في القربى اليها قربى الى الله والعباد ، إنها حبست عام ١٢٠٥ هـ .

وبعد هذا ، يأتي السلطان المولى سليمان الذي نصب هنا ساعة من صنع لندني أيضاً ، وكان ذلك في أواخر أيامه عام ١٢٣٤ هـ .

وهنا ساعة انجليزية فيما يظن مرتبة على توقيت المدينة المنورة ، عرضها ٢٤ر٢٠ ، وطولها ٣٣ر٣٠ ، زودها بعض الموقتين الذين عملوا بهذه الغريفة بإمساكية لعرض المدينة المنورة ، والساعة هذه من اهداء مولاي العربي الدرقاوي دفين غمارة عام ١٢٣٩[٣٤] هـ .

ثم تأتي المكانة التي أهداها السلطان العظيم المولى عبد الرحمن بن هشام ، وهي باريزية الصنع ، صغيرة لكنها كانت عمدة رجال التوقيت ردحاً من الزمان ، وقد أهديت للقرويين عام ١٢٤٢ هـ .

ثم تأتي مكانة من نحو ميتر طولاً على ستين سانتيماً عرضاً ، وهي كلاَّسية من صنع انجليزي ، ركبت في لندن تبرع بها الوزير الطيِّب ابن اليماني بو عشرين اقتداءً بالمليك المولى عبد الرحمن[٣٥] .

وقد تكاثرت الساعات العصرية على غريفة جامع القرويين أيام السلطان المقدس المولى الحسن الاول ، وقد قدم للغريفة في سنة واحدة ١٣٠٨ هـ ساعتين فريدتين ، إحداهما من صنع فرنسي ، والأخرى من صنع انجليزي فيما يظهر.

وكما فعل بوعشرين في الاقتداء بسيده ، اقتدى الوزير المدني المزواري بالسلطان المولى عبد الحفيظ ، فحبس على الغريفة سنة ١٣٢٩ هـ ساعتين من صنع انجليزي ، نقشت عليهما Manchester وما تزال الحياة تدب في إحداهما كما نرى ، واحداهما تشحن عند كل ثمانية أيام.

تلك الثلاث عشرة ساعة التي كان تزدان بها غرفة القرويين مما بقي من عدد لا شك أنه فوق هذا بحسب تقديرنا .

أسطرلاب الغريفة ومحمد الثالث

بالغريفة أسطرلاب معلق على الجدار في قطر ٦٧ سانتيما لعرض فاس والرباط[٣٦] ، وهو غير الاسطرلاب الذي يرتبط بالساعة المائية هناك ، وقد حاولنا عبثاً ان نقف على تاريخ وجوده هنا ، فإنه لا يحمل أية إشارة الأمر الذي قد يرجح أنه من أيام بني مرين ، فيكون ضمن الأسطرلابات التي تحدثنا عنها منذ البداية[٣٧] . ان كل الذين كتبوا في شأن الملك محمد بن عبد الله ، تحدثوا عن مشاركته في مختلف العلوم والفنون[٣٨] ، لكنهم لم يتحدثوا عن تضلّعه من فن التعديل والتوقيت ، الأمر الذي كشفت عنه الوثيقة الخاصة بتحبيس مكانته عام ١١٧٧ هـ على القرويين ، مما تقدم الحديث عنها منذ قليل .

لقد استعار الاسطرلاب الذي كان بغريفة القرويين ليستشيره حول وضع الكواكب وارتفاعها عن الافق مما استخرجه بعمليات حسابية أخرى .

وقد أعجب العاهل سيدي محمد بن عبد الله بأسطرلاب القرويين ، فبعث به الى باريز بصحبة السفير الفرنسي طالباً ان يُصنع عليه نموذجان آخران ، أهدى أحدهما الى جامع الأندلس[٣٩] وأهدى الآخر الى جامع فاس الجديد[٤٠] ثم رد أسطرلاب الغريفة خير رد ، وبعث معه بالمكانة اللندنية على ما عرفناه .

لقد تبين من خلال المراسلات المتبادلة بين وزير البحرية وقنصل فرنسا بسلا عام ١٧٨٦ م سيكار أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله أرسل الى فرنسا أسطرلاباً كنموذج ليصنع عليه اثنان ، وقد انتهى العمل سنة ١٧٨٩ م ، وأرجع الأسطرلاب الأصلي ، ومعه الاثنان المطلوبان ، وسلم السفير الفرنسي ذلك الى القائد الجيلالي الذي حملهما الى الملك ، وهو بمدينة مراكش ، ليرى رأيه فيهما ، قال السفير الفرنسي للقائد الجيلالي وهو يقدم اليه الأسطرلاب :

« أتمنى ان ينال الأسطرلابان استحسان الملك ، وأن ينسياه الصويرة[٤١] » . وبعد أن وقف الملك على الجميع وقارن وفارق بينهما أرجع النسخة الاصلية الى مكانها ، وحبس الجديدين على الجهتين اللتين ذكرنا[٤٢] .

الكرات الأربع

وفي الأثاث الذي كانت الغريفة تزدان به مما يدل على مواكبة القرويين للسير الحضاري في مختلف البلاد الأروبية المجاورة ، هذه الكرات الأربع : اثنتان منها سماويتان ، والثالثة أرضية ، والرابعة لم نتبينها إذ لم تبق منها

إلا أجزاء .

ويرجع تاريخ إحدى الكرتين الفلكيتين الى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي استحضرها فيما يتاكد من اسبانيا ، فقد صنعت في مدريد (مجريط) على يد المهندس الخاص بملك اسبانيا حوالي سنة ١١٨٣ هـ كما تشير اليه العبارات المكتوبة .

وقد وقفت في الحوالة السليمانية على نص فيه : إن السلطان حبس على غريفة القرويين كرتين ، احداهما سماوية وثانيتهما أرضية ، وهما اللتان ما تزال الغريفة تحتفظ بهما .

المئذنة كمرصد

وبهذا يتأكد أن منارة القرويين احتفظت بالميزة التي عرفت بها منذ فجر تاريخها ، وهي أنها قدوة لسائر مساجد العاصمة السياسية والعلمية للبلاد . فها نحن نرى أن الغريفة تتوفر باستمرار على مختلف الآلات والأدوات التي تظهر في العالم حفاظاً على تلك الميزة الخاصة [٤٣] .

وقد عثر على سجل فريد في نوعه يحتوي على « مواجب [٤٤] » متعلقة بمراقبة الأهلّة على اختلافها طوال السنة ، فقد كان عدول السماط بالقرويين يتوجهون يوم ٢٩ من كل شهر عربي الى منارة القرويين لرصد الهلال ، فإن شاهدوه سجلوا إفادتهم ، والا شهدوا بعدم رؤيته لدى القضاة الذين يتخذون في هذه الأثناء باب الصومعة مجلساً لهم . وهكذا يسهل على المعدلين والمشتغلين بالحساب أن يعززوا معلوماتهم بالرؤية الشرعية فيجمعون بين النظر والتطبيق ، وقد اشتمل ذلك السجل على جلّ علماء القرن الثاني عشر الذين كانوا يزاولون نشاطهم بالجامع القروي [٤٥] والذين كانوا يؤدون شهاداتهم تلك تطوعاً بدون أجر [٤٦] ، ونذكر من هؤلاء الشيخ الإمام أبا سالم عبد الله العياشي [٤٧] .

الألواح القرآنية

ويظهر أنه كانت للقرويين (حصانة) من نوع الحصانات التي تحمي صاحبها من كل متابعة ، فقد عرف في عادات المغرب ان بعض الأضرحة فيه تحتوي على لوحات كتبت عليها آيات قرآنية شريفة ، يقال إنها ، أي تلك اللوحات ، استظهر القرآن بواسطتها المولى إدريس بن إدريس فاتح المغرب ، أو أحد الملوك المتقدمين ممن كان لهم ذكر طيب جميل في التاريخ .. هذه اللوحات احتفظ عليها بعناية عبْر التاريخ ، فاذا حصل أن تابعت السلطة أحداً بجريرة ما ، وتمكن بوسيلة مّا من الاحتماء بهذا اللوح ، فإنه يكون شفيعاً له لدى الحاكم .

من هذا النوع لوحان قديمان ويكادان ان يكونا مكسورين ، واستعين على رتقهما بصفيحة من النحاس نقشت عليها كلمة « العزّ لله » وقد كتب بالصمغ عليها بعد التعوذ والبسملة : (إنّا فتحنا لك فتحا مبينا . الآية) . وهكذا في اللّوح الثاني بعد كلمة (لا اله الا الله .)

وما من شك في ان بعض المخطئين أو الخائفين كانوا يتحصنون بهذين اللّوحين من اجل طلب العفو [٤٨] .

مجلس القاضي ورئيس الجامعة

كانت محكمة القاضي قائمة قبل ايام بني مرين ، وطيلة ايام هؤلاء في الجهة الجنوبية للجامع حيث باب القضاء وحيث باب السّتر [٤٩].

وقد اختفى الحديث عن مجلس القاضي طوال ايام بني وطاس والسعديين وبداية الدولة العلوية ، فهل ظلّت المقصورة كل هذه المدة جنوب المسجد ؟ لم نعثر على ما يفيد تنقلها من جهة الى أخرى وان كنا لا نستبعد ذلك ، فقد عرفنا من خلال بعض الوثائق ان (مقصورة الامام) التي خلف المحراب كانت في بعض الاوقات محل نظارة الاوقاف ، وانها كانت تحتضن عدداً من العدول والموثقين ، الامر الذي يدل على أنها صلحت في بعض الاحيان للقاضي الذي كان – على ما نعلم – يشرف على أوقاف الجامع أيضا .

وقد سمعت من بعض قدماء العدول ممن يعتمد على معلوماتهم ان (محكمة القاضي) كانت تقع في بعض الفترات عند مسجد معلّق ، كان مدخله من باب المدرسة المصباحية [٥٠] .

وقد وقفنا عند الحديث حول حرم القرويين على دار الشامي التي كانت بها مقصورة القرويين بنهج السبطريين [٥١] .

كما ورد في بعض الحوالات الوقفية التي ترجع لتاريخ ٩٩١ « دعوة من القاضي لعدول السماط من أجل اصلاح قبّة فيها صلاحهم وصلاح المسلمين » مما يجعلنا نتساءل : هل ما اذا كان القصد الى مجلسٍ للقاضي كان في جهة متصلة بالمسجد [٥٢] . »

وليس من صلة بين محكمة القاضي ومركز الحاكم او الوالي أو الباشا كما تسميه الاصطلاحات المتاخرة [٥٣] فان هذا تشيد له مكان خاص به على عهد السلطان المولى اسماعيل ، في فندق النجارين الذي كانت ساحته تحمل اسم رحبة الحاكم [٥٤] ، كما انه ليس من صلة بين محكمة القاضي ومحكمة المحتسب التي كانت بجانب المارستان بسيدي فرج حيث تكتظ الاسواق .

ولقد كان الذي أسس محكمة القاضي التي بالسماط الآن هو السلطان المولى سليمان سنة ١٢٢٠ هـ . وجعل لها بابين ، أحدهما من داخل القرويين في الركن الشمالي الغربي ، والآخر من جهة العدول [٥٥] قبالة باب « موْقف سمسرة الدور » كما تسميه الحوالة الاسماعيلية الاولى ، أو « باب القراقين » كما تسميها الحوالة الاسماعيلية الثانية .

وقد بناها القاضي أبو العباس أحمد بن الإمام شيخ الشيوخ محمد التاودي بن سودة المري .

كانت هناك في موضعها خمس حوانيت للعدول : الأولى عن يمين الخارج من باب الموثقين ، وكانت بيد الفقيه محمد بن سودة مع جليسه ، والثانية بيد الفقيه العربي الرندة مع جليسه ، والثالثة بيد الفقيه محمد بناني مع جليسه ، والرابعة بيد الفقيه محمد المشاط مع جليسه ، والخامسة بيد الفقيه عبد الرحمن السلّوى مع جليسه ، .

كان هذا بحسب حوالة من عهد السلطان المولى إسماعيل في سنة ١١١٥ هـ ، واستمر في الحوالات التي هي من أوائل أيام السلطان المولى سليمان . أما ما قبل تاريخ هذه الحوالة ، فان عدد الحوانيت كان يبلغ سبعة في بعض الحوالات وثمانية في بعضٍ آخر على ما سنرى .

حَرَم القرويين : سماط العدول

ومن الطريف ان نقف على الصورة الحقيقية التي كانت لهذا السماط الذي كان أهم ناحية في حرم القرويين لما تعاقبت عليه من شخصيات علمية ماجدة طوال مراحل تاريخ فاس[٥٦] ، وإن اقدم ما وصل الينا من وصف لهذه الجهة هو الذي نجده في حجج الوقف القديمة .

وبين أيدينا عدد من الحوالات الوقفية كان من أقدمها ما يرجع الى عهد بني مرين .

لكننا توضيحًا للموضوع سنعتمد الحوالة التي ترجع لتاريخ ٦ر٢ ، أي التي قيدت بذي الحجة من عام ٩٦٦ هـ على عهد أبي محمد عبد الله الغالب بالله أوائل الدولة السعدية ، باعتبارها شاملة كاملة .

ومن المهم أن نذكر أن عدد الحوانيت التي كانت بالسماط في اعتمار العدول تبلغ ثلاثة وأربعين دكاناً ، كل منها كان يحتضن عدلين ، فيكون المجموع ستة وثمانين ، وهو الرقم القريب من عدد ٩٤ الذي كان من الموثقين أوائل عهد بني مرين سنة ثلاث وتسعين وسبع مئة[٥٧] .

ولتسهيل تتبع الناحية ، سنأخذها ونحن خارجون من سوق الشماعين بادئين من الدكاكين التي على يسارنا ، وسنعطيها أرقاماً ابتداءً من هنا الى غاية الخط ، ثم نعود الى الدكاكين المقابلة والواقعة يمين الخارج من باب المسجد : الشماعين حتى نهاية الخط ، منعطفين الى نهج بو طويل[٥٨] تحت الساباط ، ثم نعود الى الدكاكين يمين الخارج من سوق الشماعين ، وبهذا سنحافظ أيضاً على الترتيب الذي دأبت الحوّالات الوقفية على اتباعه عبر السنين .

فعن يسار الخارج من سوق الشماعين ، أو درب المنجانة كما تقول بعض الحوالات كانت حوانيت[٥٩] سبعة :

الأول في اعتمار الفقيه محمد بن رضوان .
الثاني بيد عبد الرحمن العوفي وعمه أحمد .
الثالث بيد شقرون القاضي ومحمد عنون .
الرابع بيد محمد الصبّاغ وأخيه .
الخامس بيد أحمد بن فارس ومحمد البياتي .
السادس بيد عبد الرحمن وعبد الواحد الشامي .
السابع بيد محمد بن عليّ الأكبر الشامي .

وعن يسار الخارج من تربيعة القراقين (المركطال) كانت حوانيت ستة[٦٠] .

الأول في اعتمار الفقيه طاهر الشريف وجليسه .
الثاني بيد عبد العزيز بن ابراهيم .
الثالث بيد محمد بن عبد الواحد العراقي .
الرابع بيد أبي القاسم الرعبيني ومحمد بن عليّ الشامي الاصغر .
الخامس بيد الفقيه الهبطي ويوسف المواق .
والسادس بيد عبد الرحمن الغازي .

وعن يسار الخارج من باب الدَّلاَّلين [٦١] اربعة حوانيت [٦٢] .

الأول في اعتمار الفقيه شقرون بن القاضي .
الثاني بيد محمد بن جلال وعليّ الصنهاجي .
الثالث بيد محمد التويرتي .
والرابع بيد عباد التونسي والمشاط .

ثم عن يمين الخارج من باب الجامع : باب الشماعين هنا خمسة [٦٣] حوانيت .
الأول في اعتمار الفقيه محمد الأعيرض .
الثاني في يد عبد الرحمن العمارتي والمكلاتي .
الثالث بيد محمد بن عطية ومحمد بن ماواس .
الرابع بيد أحمد الجزنائي وعبد العزيز بن أبي الربيع .
والخامس بيد يوسف بن رضوان .

ثم يأتي باب الموثقين ، وعن يمين الخارج منها ستة [٦٤] حوانيت :
الأول في اعتمار الفقيه عيسى الطرابلسي وسيدي الدقون .
الثاني بيد الغبر [٦٥] .
الثالث بيد عليّ مسجم وعليّ الحيحي .
الرابع بيد أحمد المنجور ومحمد المدعو حمو بن سليمان .
الخامس بيد عليّ الجزولي ومحمد القنطري .
السادس بيد عبد الواحد الحميدي ومسعود عنون .
السابع بيد أحمد الزموري .

وعند المنعطف لسقاية باب الحفاة هناك ستة دكاكين [٦٦] .
الأول في اعتمار الفقيه أحمد الشريف .
الثاني بيد أبي الفضل أحمد بن صدر وعبد العزيز الطليطلي .
الثالث بيد ابن يعلى وجليسه .
الرابع في اعتمار . . .
الخامس بيد عليّ الطليطلي والأعيرض .
السادس التزم كراءه محمد الحضري [٦٧] .

وعن يسار الخارج من باب مدرسة العطارين يأتي الدُّكان الواحد الغريب [٦٨] ، وقد كان ذا بابين ، فاعتبرتْه بعض الحوالات حانوتين ، وقد كان بيد محمد الوزير ، ومن هنا ننتقل الى الدكاكين الموجودة يمين الخارج من باب الشماعين ، وقد كانت هناك سبعة دكاكين [٦٩] :

الأول في اعتمار الفقيه احمد بن صولة والفقيه أحمد التازي .

الثاني بيد احمد المواق ومحمد بن مولود .

الثالث بيد عبد الرحمن العديلي المسفر .

الرابع بيد أحمد البهاوي ومحمد الشاوي .

الخامس بيد المكلاتي وسيد الحاج اللقجاف .

السادس بيد أبو عبد الله بن جلال وجليسه يوسف المدْيوني .

والسابع بيد عباد التونسي .

هكذا كانت سماط العدول قبل إحداث محكمة القاضي أيام السلطان المولى سليمان .

خزانة القرويين على عهد العلويين

لم يتجه اهتمام العلويين داخل الجامع حسب ، ولكنه تجاوز أيضاً الى الخزانة العلمية التي يتوفر عليها المسجد الجامعة ، وهكذا فإن السلطان المولى الرشيد علاوة على إنشائه المدرسة الرشيدية جوار القرويين ، وعلاوة على انشائه خزانة علمية بفاس الجديد [٧٠] ، عمد الى الخزانة القروية فأولاها من عنايته وعمل على تنظيمها .

ولما فاجأته المنية قام السلطان المولى اسماعيل بتتميم مشاريع أخيه ، فاهتم بترتيب الخزانة واهدى اليها الكتب التي كان يجمع الخطاطين لنسخها ، وكان يحصل عليها بمختلف الطرق ، ومن الطريف ان نجد المولى اسماعيل يستغل وقوع بعض الرهائن الأجانب تحت يديه ليطلب من دول تلك الرهائن ان تعطيه في مقابل « الخمسين أسيراً نصرانياً » من المائة التي كانت عنده ، خمسة آلآف كتاب : مائة كتاب عن كل نصراني يكون الكتاب من كتب الاسلام الصحيحة المختارة المحجوزة في خزائنهم باشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى [٧١] .

وقد قيل في وصف الخزانة الاسماعيلية انها جمعت من التصانيف وأنواع الدفاتر واسماء التآليف ما لم تحوه خزانة بغداد ولا علق بحفظ الاستاذ [٧٢] .

وقد وضع المولى اسماعيل للمخطوطات فهارس : منها ما كان خاصا بالمصاحف ومنها ما يتعلق بكتب التفسير والقراءات وكتب الحديث والتصوف ، والفقه والتاريخ وعلم الكلام والمنطق والاصول والتوقيت والحساب والطب [٧٣] .

وقد وردت بعد لائحة المخطوطات المسجّلة في الفهرس الاسماعيلي هذه الوثيقة :

« الحمد لله جملة ما سطر من الكتب العلمية على اختلاف فنونها بهذه الورقة ، وبالاحدى وعشرين ورقة قبل هذه متوالية في ثمانمائة رسم وتسعة وثمانين رسما : اولها المصحف الكبير ، واخرها كتب ابن الخطيب في الطب ، الكتب المعروفة والمنسوبة والمحوزة لجانب الخزانة العلمية الاحمدية بقبلي القرويين الموقوفة هناك للانتفاع بها

بالمطالعة والمراجعة وردها لمحلها بعد قضاء الغرض منها على حسب ما الفى من ذلك بعد الاستقصاء والاستقراء ومراجعة الزمامات وتتبعها واستحصال ما بها اوائل ذي الحجة الحرام من العام الخامس عشر بعد المئة والالف .

وبعد هذا اتى السلطان المولى عبد الله ، فاقتدى بوالده ، وشحن رفوف الخزانة في تاريخ ٢٢ شهر رجب ١١٥٦ هـ بعدد كبير من الكتب العلمية كان منها كتاب في الطب لسيدي محمد الصنهاجي (٧٤) .

اما أيام السلطان محمد بن عبد الله (محمد الثالث) فقد شهدت علاوة على عنايته بها وفرة النساخين الذين كانوا ينسخون النادر منها ليحبسه العاهل على خزائن مصر القاهرة والاسكندرية كما فعل بنسخ من تاريخ ابن خلدون ، ووفيات الاعيان ، وقلائد العقيان ، والاغاني ، ونفح الطيب وغيرها (٧٥) .

وقد كان محمد الثالث يجلب بدوره المزيد من المخطوطات الفريدة والنادرة من المشرق (٧٦) ونفس الرغبة كانت تحدو سائر الملوك العلويين ، وبهذا نفسر بادرة الامير مولاي علي بن محمد الثالث في ذي القعدة من سنة ١١٨٣ وبادرة اخيه المولى اليزيد اوائل شوال ١٢٠٤ (٧٧) .

وقد سجل التاريخ عن السلطان المولى سليمان شغفه بالحصول على مخطوطة فريدة كانت تنقص المكتبة المغربية وادّى في سبيل ذلك المبالغ الهامة (٧٨) .

ونظرا لتكاثر عدد الكتب اهتم العاهل المغربي المولى سليمان بامر خزانة القرويين وتوسعتها وقرر اضافة الخربة التي كانت بجوارها المنسوبة الى اولاد الفرديس ، بيد ان مصيره عاجله (٧٩) ، ويسجل التاريخ عن السلطان المولى عبد الرحمن ما سيظل ذكراً طيباً له في باب الاصلاح والجديد .

كما يؤثر عن السلطان المولى الحسن انه كان يزمع على تحقيق امال المولى سليمان ولاسيما بعد أن تزايدت الكتب بظهور المطبعة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (٨٠) .

وقد نقلت الوثائق ظهائر للسلطان المولى الحسن الاول تعد اصدق تعبير عن العناية الفائقة التي كان يوليها للخزانة .

وقد كان من طريف ما سجل التاريخ عناية الفضليات من الاميرات بهذه الخزانة وهكذا نجد الاميرة لالة فاطمة الزهراء بنت السلطان المولى الحسن وزوج قاضي مراكش الشهير مولاي المصطفى العلوي تحبس عددا من المخطوطات القيمة على القرويين بلغت ٢٧٣ سفراً ، ومن اهمها نسخة من مختصر ابن مصعب الزهري المكتوب عام ٣٥٩ وعليها سماعات ثلاثة ومقابلات وهو بخط حسين بن يوسف عبد الامام الحكم (٨١) .

وقبل نحو ربع قرن على فرض الحماية الفرنسية على المغرب قدّر ديلفان محتويات خزانة القرويين بثلاثين الف مخطوط (٨٢) .

لكن عددها بعد هذا التاريخ اصبح زهاء ثمانية آلاف مخطوط حسب إفادة الاستاذ محافظ الخزانة الذي يعكف هذه الايام على تخريج فهرست شاملة للخزانة الكبرى (٨٣) .

ولما ضربت الحماية اطنابها على البلاد عام ١٩١٢ حاول الجنرال كورو ان يظهر لاهل فاس اهتمامه بمدينة فاس بالقرويين بصفة خاصة ولا سيما بعد الايام الثلاثة الدامية (٨٤) التي عرفتها المدينة اثر التوقيع على معاهدة الحماية ،

فعهد الى بعضٍ إعدادَ تقرير حول مكتبة القرويين ، فكتب هذا في ٢٠ ذي الحجة ١٣٣٠ و (٣٠ نوفمبر ١٩١٢) يقول : [٨٥] « وجدنا المكتبة في غاية الضياع والتلاشي والتفرق ، ووجدنا كتباً كثيرة لا توجد بالخزانة . . . كثيرة جداً بحيث لا ينطبق الموجود على ما في الدفتر ، ولذلك عينا العدول لمعاينة الموجود ، وعملنا دفتراً واطلعنا الحاكم القبطان ميلي على اصوله »[٨٦] . . .

إن الخزانة الحالية ينبغي أن تصبح في متناول السياح الأجانب ، وهذا يفرض أن يفتح لها باب من الطريق العام ، فكانت هناك فكرة ليجعلها حيث (دار عديّل) في حومة (السياج) بعيداً عن القرويين. كما كانت هناك فكرة بنقلها إلى داربالسبع لويات التي يفصلها الطريق عن القرويين. وكانت فكرة ثالثة بنقلها الى مصرية الإمام الخطيب .

ويتأكد أن معارضة خفية كانت ضد أي تبْديل أو تغيير يحدث في مباني الخزانة الكبرى ، فان « الكبار » من أهل فاس كانوا يسيئون الظن في كل « بادرة » تبدو من الاقامة العامة بازاء المراكز الدينية ، وبخاصة القرويين ، ويدل على هذه الشكوك التي كانت تساور الناس بمختلف طبقاتهم وعلى اعلى مستوى أن السلطان المولى يوسف عمد الى ضرب سور في القصر الملكيّ بفاس على بعض الغرف التي كانت تضم عشرات الصناديق المملوءة بآلاف من المخطوطات إخفاءً لمعالمها الى أن ينجلي الموقف[٨٧] .

وهكذا بقي مكان الخزانة الكبرى حيث كان ، واقتصر الأمر على إصدار فهرس مطبوع للمكتبة تضافرت عليه جهود ثلة من العلماء بإشراف المستشرق الفرنسي الفريد بيل ، وكان ذلك في ٢٤ جمادى ١٣٢٣ ﻫ (١٩ ابريل ١٩١٥ م) [٨٨] .

فلما كانت بداية ايام الملك سيدي محمد بن يوسف ، صدر الأمر في جمادى الآخرة ١٣٤٨ ﻫ (نوفبر ١٩٢٩ م) باضافة ثلاثة أبهاء جديدة بجوار الخزانة السعدية ، خصص فيها جانب للمحافظ . وكانت مناسبة لإحداث إصلاحات في الناحية ، تناولت فتح باب إضافي للخزانة من جهة الخربة ، من شأنه أن يحقق رغبة الزوار الأجانب .

وبعد نحوٍ من عشر سنوات كانت الحاجة قد ألحت على زيادات أكثر وأشمل ، ولهذا نجد العاهل المذكور يضع حجر الأساس لخزانة كبرى ذات قاعة فخْمة من ثلاثة وعشرين متراً على عشرة امتار ، وقد كتب على رخامة التأسيس « الحمد لله وحده . أسس هذه الخزانة العلمية ، ووضع الحجر الاساسي بها جلالة السلطان المعظم سيدي محمد ابن يوسف ، نصره الله وأعزه في فاتح[٨٩] ربيع النّبوي الأنور عام ١٣٥٩ ﻫ (٩ ماي ١٩٤٠ م) .

وقد أخذت كلّ من الخزانة والقاعة من عدد من المباني الخاصة ، وهكذا أصبحت الخربة كلها تابعة للخزانة بل استُغني عن درب بكامله كان قبالة مدرسة الصفّارين ، وأدخل في الخزانة الكبرى [٩٠] ، ثم شحنها بمختلف أنواع الكتب ، بل أخذ يغدق عليها المخطوطات التي كانت تضمها بعض الخزانات [٩١] القديمة ، وهكذا نرى في الخزانتين المحمديتين امتداداً للخزانة الأحمدية السعدية التي كانت أزْراً للخزانة المرينية .

وقد أضاف الملك محمد الخامس الى هذا محمْدة أخرى بما أعاد الى خزانة السلطان أبي عنان القديمة من حياة فخصصها للكتب التي تعتمد عليها الدِّراسة النظامية في الجامعة[٩٢] .

المدارس على عهد العلويين

المدرسة الجديدة (الشراطين) (١٠٨١-١٠٨٩)

دشن العلويون الأيام الأولى لدولتهم بانشاء « المدرسة الجديدة » كما تُسميها الحوالات الاسماعيلية ، وهي المدرسة التي بناها المولى الرشيد ، وأكملها المولى اسماعيل [٩٣] في شارع الشراطين موضع دار عزوز [٩٤] ، كانت مدرسة مهمة من حيث المساحة الفسيحة أو الفن البديع، وقد كان ذلك أوائل شعبان من سنة ١٠٨١ هـ (دجنبر ١٦٧١).

لها بابان : أحدهما على الشراطين ، والآخر مقابل له ينفذ من درب صفايرة [٩٥] مباشرة الى باب القرويين (الخافاء)

واذا ما دخلنا من الباب الرئيسي : الشراطين ، فسنجد عن اليمين قاعة الصلاة التي نصب محرابها باستشارة العلماء والموقتين ، وعن اليسار دار الوضوء ، والفناء وقد زين بخصة جميلة .

وهي تحتوي على ثلاث طبقات ، تشتمل على ٢٣٢ حجرة ، وبهذا نعرف اهميتها الفائقة ، وتحتوي الحوالات الاسماعيلية على عدد من العقار ، فيه العدد من الحوانيت والمعامل والفدادين والأراضي [٩٦]

وقد اقتفى السلطان المولى عبد الله نهج والده ، فأنشأ بفاس الجديد مدرسة عرفت بالمدرسة العبدلاوّية [٩٧] .

ويذهب بعض الكتاب الى أنها من تأسيس الشيخ محمد الحاج الدلائي أيام حكمه بفاس ، كما يذهب بعض آخر الى أنها من تأسيس السلطان المولى عبد الله [٩٨] ، ويعزوها النقيب ابن زيدان الى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن .

المدْرسة المحمّدية (١٣٥٩) هـ

والى جانب مدرسة الحلفاويين المرينية تمكن المغفور له محمد بن يوسف (محمد الخامس) من تشْييد مدرسته الأنيقة الجميلة التي كانت محلَّ تنافس بين أعيان الطلبة ونجبائهم .

ولا ننسى أن المغرب كان يعيش في هذه الفترات تحت الحماية الفرنسية التي كانت تنظر الى تعليم جامعة القرويين ، والى المدارس التي تؤوي طلبته ، والى اساتذته كذلك ، نظرة اليقظ الحذر ، وأن ذلك التعليم بما يضمّه يعد عرقلة في طريق إذابة الشخصية المغربية .

وفي مقابلة ذلك كان السلطان محمد الخامس يرى أن الطريق الوحيد للخلاص يكمن في الحفاظ على هذه المقّومات .

وهكذا استطاع رحمه الله أن ينقش على باب هذه المدرسة الكلمة التالية في تلك الظروف : النصر والتمكين والفتح المبين ، لمولانا السلطان سيدي محمد أمير المؤمنين عام ١٣٥٩.

وعندما تدخلها تجد عن يسارك رواقاً يسكنه الطلاب ، وتجد أمامك ممّراً يحتوي على بعض البيوت وينفذ الى مدرسة الحلفاويين ، وعن اليمين المطلع الى الطبقة العليا التي خصصت أيضاً للطلاب .

وقد عوّضت الحوالات الوقفية هذه المرة ، موارد الميزانية العامة للبلاد .

* * *

مدارس عهد الاستقلال

وبعد عودة محمد الخامس من منفاه كان في صدر ما اهتم به إعادة الحياة كاملة الى القرويين بما تتطلبه من التفاتةٍ للماضي واعداد للمستقبل .

وهكذا عمد الى الثكنات التي كان الجيش بالأمس يحتلها ، والى الفنادق التي كانت الشرطة تحتلها ، فحوّلها الى أحياء جامعية ، آوت مئات الطلاب ، والى مراكز للدّرس استوعبت حتى اولئك الذين وردوا على فاس من سائر جهات إفريقية . ومنذ الآن هجرت تلك المدارس التي عرفتها فاس منذ العصور الوسطى ، وتحوّل الشباب الى حيث الهواء والنّور .

ووجد الطلاب والأساتذة في فندق النّجارين ، وفي مستوصف الزّربطانة وفي غيرهما ، مراكز جديدة للتعليم ، كما وجدوا في قصبة الشراردة وفي « ظهر المهراز » ملاذاً رحباً ينقطعون فيه للعلم بعيدين عن صخب المصانع والمتاجر المحيطة بجامعة القرويين ومدارسها وخزائنها .



تعليقات الفصل الأول

١) راجع صفحة ٩٢ التعليق رقم ٣ .

٢) لما أنزلت الثريا الكبرى لاصلاحها على عهد الملك الحسن الاول ووقف بعض المشايخ على الايات المنقوشة فيها لاحظ ان ايقاد المصابيح لا يتأتى الا بما اعتقده انتهاكا لحرمتها . الامر الذي دفع بالعاهل الى عرض الامر على رجال العلم الذين افتوا بانه لا يوجد أثر لقصد الانتهاك (ماضي القرويين ومستقبلها) راجع صفحة ٩١ .

٣) الدرر الفاخرة ص ١١٧

٤) المصباح المنصوب قبالة باب الصومعة يحتوي على ثلاثة صفوف لحاملات القناديل ، وفي مقبضه ثلاث تفاحات ، وفي أسفله ثمانية اقراص . هذا ، وقد ظهر بعض هذه المصابيح الجميلة في طوابع البريد التي صدرت في عيد القرويين احتفالاً بمرور أحد عشر قرناً على تأسيسها ، قامت بذلك وزارة البريد .

٥) يرى طيراس أن الكلوسطرات هنا أيضاً حديثة ، وقد عرفنا من نصوص جني زهرة الآس ص٦٨ ان في جملة ما قام به عبد الحق بن معيشة هنا أيام الموحدين تركيب الشماسيات التي بجوانب قبة المحراب ، وقد جعل عليها اشكالاً متقنة من أنواع الزجاج وألوانه.

٦) يظهر أن هذه الإصلاحات والانشاءات تمت منذ بداية الدولة العلوية منذ عام ١١٢٠ هـ لما قام السلطان المولى اسماعيل باصلاح الثريات ، أما التاريخ الذي تحمله القبة حالياً فهو سنة ١٣١٥ هـ عهد السلطان المولى عبد العزيز ، فيظهر انه تاريخ الإصلاح الجديد . الدرر الفاخرة ص ١١٥ .

٧) روض القرطاس ص ٣٨ .

٨) تفرقت صفوف المصلين لهذا الحادث ، ووقع ازدحام شديد على الأبواب ، وضاع عدد من المصاحف ودلائل الخيرات . الاستقصا ٩ ، ص ٦٧ .

٩) تم الجزء الأكبر من هذه الخدمات قبل ابعاد المغفور له محمد الخامس وبعد عودته انتهت الأعمال . . .

١٠) تأسيس المسجد الأول

١١) راجع بحث المدارس

١٢) ترجمة يبل لجني زهرة الآس .

١٣) الجذوة ٢٧٠ راجع صفحة ٢٨٧ تعليق رقم ٢ .

١٤) المعيار ١ر١٠٩ - خلال جزولة ١ ص ٧٦ - ٧٧ .

١٥) الأزهار العاطرة الأنفاس ص١٧٩ نشر المثاني ص١١٩ - ١٩٩ - الدُّرر الفاخرة ص ٤٩ .

١٦) السلوة : ٧٦/١ .

١٧) لقد نقشت على عنزة فاس الجديد هذه الأبيات المنسوبة الى الشيخ عبد الرحمن الفاسي رحمه الله :

أنظر لبهجة بيت الله يا رائي — وسرح الجفن فيها بين أرجاء
تخالها جنة تزهى مزخرفة — بطيب الزهر من أنفاس قراء
تهدي حِلَىً قارئيها من شمائلها — فتحسب الزهر ناجت ذات أنداء

الى ان قال :

أنوارها تخطف الابصار مشرقــــة — من اجل ذا (حطمت) تاريخ إنشائي

ومما له صلة بالموضوع أن نذكر أن القصيدة هذه قيلت في (المدرسة الرشيدية) بالشراطين . ولا يدري كيف نقلت مع هذه العنزة الى فاس الجديد . مفاخر العلويين بفاس ص ١٣ . مجلة البحث العلمي ، عدد مايه ١٩٦٧ ص ١٨٣.

١٨) كان مما سبب اضطراب الأجانب حول الموضوع ترجمة النصوص العربية المتعلقة بخصة باب الحفاة التي قالت إنها تقع جنوب المسجد .
ترجمة الأستاذ بيل ص.٧٣٠ Fes, Ville Sainte Manuel II P. 312
Une Ville de l'Islam / 1905 page 23

١٩) كان مما نقش على خصة جامع الأندلس : ترجمة الاستاذ بيل ص – ٧٣ Fes 1917.

مـولاي اسماعيـل ألْبَـني البهـا فـحبتُ ذيـلي فوق كـل نفيس
زهـوي ببيـت الله حسبي مفخـراً في عـام (بجمل شاهـد) تـأسيسي

مسجد الاندلس والأحباس ، جريدة المغرب ١٢ شعبان ١٣٥٦ ، ١٨ اكتوبر ١٩٣٧

٢٠) ورد في ترجمة ابي العباس أحمد وعلي السوسي (ت ١٠٤٦ هـ) أنه إذا ما أراد الدخول الى القرويين طلع من مدارج المستودع (جنوب القرويين) ومنها ينزل الى داخل القرويين ، وذلك لأن الإنفاق على تزليج الصحن كان من أموال لزوجة المولى الرشيد التي تزوجها من قبيلةٍ عُرفت بغاراتها غير المشروعة في نظر أبي العباس ونحو هذا نقرأه عن الفقيه الفشتالي المتوفّ سنة ١٥٩٢ . السّرب ص ٦٨ السلوة ٢ ص ٢٢٨ . Hes. 1923 4. Tri

٢١) التشوف ص ١٥٦ راجع صفحة ٢٥٩

٢٢) من رسالة بعث بها اليّ الأستاذ عبد السلام بن سودة في ٢٨ / ٦ / ١٩٥٤ م .

٢٣) قدري طوقان : ص ٢٠٧ Hes P. 1932 T. 12.

٢٤) يذكر مخطوط مجهول المؤلف أن الأستاذ الرحالي صنع أيضاً ثلاث ساعات أخرى ، نصبت إحداها في صحن جامع الأندلس ، والثانية في سطح الحرم الإدريسي ، والثالثة في صحن جامع الرصيف .

٢٥) لم نقف على قائل هذه القطعة ، كما لم نتبين القصد من بعض ألفاظها ، ولعل القارئ يستطيع من الصورة أن يتبين مكنونها .

٢٦) Hesp. 1932 I Trim TOM IV.

٢٧) الدرر الفاخرة .

٢٨) كتب الموقت الحبابي على السارية الرخامية اليمنى ما يلي : « وضعنا هذه الساعة على عادة المشارقة الذين يكون في مواكينهم ١٢ دائماً وقت أذان المغرب ، لأن هذا العمل لم يستعمله أحد بمغربنا ، وله وجه في علم التوقيت ، ولا يعرفه الا من له باع طويل فيه ، ولم يسبقني أحد بها والحمد لله .

٢٩) Les relations ancienne entre la France et le Maroc P. 15.
الاتحاف ٢ ص ٦٤ – ٦٥ .

٣٠) تولى السلطان المولى عبد الله أربع مرات على البلاد أولاً من سنة ١١٤١ – ١١٤٧ ثم من سنة ١١٤٩ – ١١٥٠ ، ثم من سنة ١١٥٢ – ١١٥٣ ، وأخيراً من سنة ١١٥٤ – ١١٧١ .

٣١) سنتحدث عن هذا الأسطرلاب في فصل خاص بعد حديث الساعات هذا . . .

٣٢) نقاش جمع نَقْشَة وهي الآلة في الاصطلاح المغربي العامي .

٣٣) عرفت الغريفة عشرات الموقتين والمعدلين ممن كانوا يحملون اسم « مزوار المؤذنين » ونأتي بذكرهم في القسم الخاص برجالات القرويين . . .

٣٤) الناصري : الاستقصا ج ٩ ص ٩ .

٣٥) الاستقصا ٩ – ٥١ .

٣٦) نرجح أن هذا الأسطرلاب من صنع مغربي من أحد علماء فاس ، ويمكن أن تقرأ على صفائحه علاوة على عرض فاس وعرض الرباط كلمات : فجر – شروق – زوال – ظهر – عصر – مغرب – شفق والظل المنكوس والظل المبسوط وكذلك المنازل الثمانية والعشرون والبروج الأثني عشر .

٣٧) الحديث عن الغريفة في الباب الأول والثاني

٣٨) الاتحاف ٣ ص ١٨٨ .

٣٩) لقد حمل هذا الأسطرلاب توقيع المهندس بعد اسم الملك لويس السادس عشر ، والتاريخ هكذا :

٤٠) لقد نقش على ظهر هذا الأسطرلاب بالحروف اللاتينية : A decor Luis XVI le noir ingenieur de roy 1789

وهذا الأسطرلاب محفوظ في غلاف من خشب Le noir ingenieur du roy a Paris 1789. Hes 1957 T. 44 I et 2 trim.

٤١٠) كان السفير يتمنّى أن تنسى المتعة بالأسطرلاّبين الملكَ أيامَ النزهة الطويلة التي قضاها بالصويرة . النّاصري ٨ ص ٥٤ - ٥٥ .

٤٢) يظهر أن تكليف الملك لفرنسا صنع الأسطرلابين المذكورين على نحو النموذج الذي في القرويين كان من باب الاختبار . فإن وفرة الأسطرلابات وأشكال الربع المجيب ، مما لا تزال فاس محتفظة به في مساجدها ومتاحفها الوطنية وخزاناتها الخاصة ، ليشهد بالتفوق لعمال فاس في صنع الأسطرلاب ، ويحتفظ متحف دار السلاح بأسطرلاب من عمل محمد البطيوي صنعه عام ١١٤١ هـ . وقد كان من آخر من صنع الأسطرلاب بفاس ، الشيخ محمد بن علي الأغزاوي ، ومن الأسطرلابات التي وقفت عليها ، من صنعه ، أسطرلاباً بمكتبة الصبيحي باشا سلا . يحتوي على عدة صفائح . خصصت الأولى لعرض الإسكندرية ، والثانية لمستغانم وطنجة والثالثة لدمشق والجزائر . والرابعة لبغداد وتادلا وبنغازي والخامسة في وجهها الظاهر فاس ومكناس ، والوجه الخفيّ لطرابلس الشام وبيروت . وقد صنع هذا الأسطرلاب بمدينة فاس متم المحرم ١٣١٧ هـ وحركة نيراته لآخر عام ١٣٩٠ هـ راجع صفحة ٢٣١ .

Hesp 1938 I Trim T. XIII 25.

٤٣) جرى حديث طويل بين العلماء في مدينة فاس ، في الاعتماد على الآلات القطعية في الإعلام بدخول الوقت ، وفي معنى هذا الاعتماد على الحساب في مداخل الشهور . فقد قالت جماعة إن هذه الآلات لم يجئ بها الشرع ، والعلماء من أجاب بأن من العلوم الفلسفية ما يصح الانتفاع به في الشريعة ، وذكر الشيخ اليوسي في كتابه (القانون) : « أن علم التوقيت من العلوم الإسلامية كالطب والحساب والهندسة ، ولو وضعه غير مسلم لما قدح ذلك في الانتفاع به لصالح الإسلام . . . » المعيار الجديد - ١ ص ١٣٨ ، نحو تاريخ هجري موحد : دعوة الحق دجنبر ٦٦ - يناير ١٩٦٧ .

٤٤) جمع موجب بمعنى الحجة والبينة وهو استعمال شائع في المغرب .

٤٥) مجلة المغرب ، عدد مارس ١٩٣٤ ، الدرر الفاخرة : ٣١ - ٣٢ - ٣٣ ، مخطوط بالخزانة الكبرى للقرويين تحت رقم ٨٢٣ من ٤٠ .

٤٦) عرف في عادات أهل المغرب وفاس على الخصوص تسابقهم للأمكنة المرتفعة وسطوح المساجد ومناراتها في أطراف البلاد جماعات وفرادى ، كما جرت عادة النساء على تسلق سطوح المنازل لاستقبال شهر رمضان .

٤٧) ورد في كتاب المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للامام محمد الصغير الافراني المراكشي المتوفى في أواسط العشرة السادسة والمئة والألف ص ١٩٧ قال : « ويقرب من هذا ما حدثني به بعض الفضلاء أن الشيخ الإمام أبا سالم العياشي صعد منار القرويين مع الشهود لارتقاب الهلال . وكان معهم القاضي ابن سودة فلمح بدراً . . وأنشد أبو سالم :

قيل للبدر ارتقبوا فعلتم لا أرتضي

أنّى لكم رؤية وفيكم شمس تُضي

٤٨) يوجد من هذه الألواح لوح بالضريح الإدريسي كان في آخر من احتمى به أحد أهل فاس ، بعد أن اغتال أحد الأجانب على مقربة من القرويين قبيل دخول الحماية الفرنسية . وقد كانت الظروف من الصعوبة بحيث لم يُجْدِه اللوح في التنصل من التبعة . Fes avant le Protectorat P. 176

٤٩) بحث أبواب المسجد

٥٠) بحث المدرسة المصباحية

٥١) راجع الحديث عن حرم القرويين

٥٢) هل هذه القبة هي التي تم فيها تقليد أبي الجمال طاهر القادري عام ١١٤٢ خطة الشهادة بمحضر العدول : محمد الرقاس وقصارة واحمد بن عطية واحمد الماواسي ومحمد المشاط ومحمد الحميدي وعلي الطليطلي واحمد الفشتالي وقاسم الوزير واحمد الصباغ والمواق (راجع حوالة عام ٩٩١ بالخزانة العامة) .

٥٣) جرى العمل على انشاء بعض المحاكم التي تفصل في النوازل التي لا تتصل بشؤون القضاة . وكما كان القضاة ينعمون بأجور مغرية من جانب الأوقاف ،

فان هؤلاء الحكام كانوا – كما يقول ابن الوزان في وصفه لفاس – يتقاضون مرتبات باهظة جداً حتى ينصرفوا عما في أيدي المتداعين ، وكانت الأموال المقدمة لهم تجمع من الديوانات ومن القبالات .

٥٤) أسس السلطان المولى اسماعيل فندق النجارين ، وآثره بمسجد لإقامة الصلوات الخمس ، وكان ذلك سنة ١١٢٥ هـ كما نقش على زلّيج على بابه :

بمولاي إدريس الرضى نلتُ رفعـــــة	وفضلاً فأسعدني بمجد مـــــؤثـــل
فيا طـــالباً أمناً وحفظـــاً لمـــالــــه	وجدت الذي تهوى رويدك ! فـانـــزل
باسعد وقت قد نشأت مؤرخـــــــا	بشعبان (١١٢٥) في حسن وصنع مكمـــل

وعن يمين فندق النجارين كانت حوانيت « الرَّقاصة » أي موزعيّ البريد في العهد القديم ، مجاورة للسقاية الجميلة التي بناها بعدُ هناك السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام . France Maroc-15-7-1917

٥٥) يلاحظ حرص الدولة منذ القدم على أن تجعل مقصورة القاضي متصلة بالمسجد ، وان تجعل لها مدخلاً من خارج أيضاً لمن يتعذر عليه دخول المسجد لمانع ما . . .

٥٦) لقد كان مما دعانا لهذا التحقيق أن هذا السماط اليوم هجر نهائياً ، بسبب نقل محكمة القاضي الى جهة باب الحديد ، فتبعها العدول والموثقون ، وغدت الآن حوانيت العدول السابقة متاجر عادية بعد ان تغيرت معالمها الأولى . . .

٥٧) روض القرطاس ص ٢٩٨ . . .

٥٨) عرف نهج بو طويل في فترة لاحقة بسوق الخرَّاطين ، وقد كانت هنا حانوت خرَّاطية تشتمل على المخرطة . منْ رسم عدلي بتاريخ ١ جمادى الآخرة عام ١٢٨٥ هـ .

٥٩) ممن اعتمر هذه الحوانيت عام ٩١٠ هـ المواق والغزال ، وعام ٩٥٧ هـ عبد السلام الزرهوني والعوفي ومحمد الصباغ والحسن بن شقرون بن القاضي ، وأحمد بن مواس وابن رحمون وسقين مع محمد بن علي الشامي ، وعام ٩٦٢ هـ كانت بيد أبي الطيب بن الظريف ومحمد العوفي وشقرون بن القاضي ومحمد الصباغ واحمد بن ماواس وعبد الواحد بن رحمون ومحمد الشامي . وفي سنة ١١١٥ هـ كانت بيد العربي قصارة مع جليسه والحاج احمد بن عيسى وعلال بن نعيم ومحمد بن العربي والمهدي بو عنان ومحمد الجابري ومحمد بن أحمد الفاسي . . .

٦٠) ممن اعتمر عام ٩١٠ هـ الحانوت الثالث الخالدي والرابع الخالدي والخامس الطوسي والغماري والسادس المطغري وابن الفتوح . وعام ٩٥٧ هـ محمد بن يوسف وعبد الرحمن بن ابراهيم والطرون والخامس بيد الزقاق والسادس بيد المطغري ، ٩٦٢ هـ محمد الصباغ والحسن التاجي والعوفي والرعيني كاتب الحوالة والعربي الفاسي ومحمد بيو ، وفي عام ١١١٥ هـ كانت بيد المهدي الحسني ومحمد الندرومي واحمد الشامي والخياط ابن ابراهيم ومحمد بن منصور ومحمد الفاسي .

٦١) يسمى هذا الباب في بعض الحوالات : موقف سمسرة الدور يوم الجمعة ، وربما سمي باب المشامريين ، أو القراقين ، أو النظامين .

٦٢) ممن اعتمر الثانية عام ٩١٠ هـ ابن عمر والثالثة الزرهوني والرابعة الربعي وعام ٩٥٧ هـ كانت بيد الماواس وعبد السلام الزرهوني وسفين . . عام ٩٦٢ هـ بيد أبي عبد الله بن جلال وعبد السلام ، وفي سنة ١١١٥ هـ كانت بيد الطالب الشفشاوني مع جليسه ومحمد بن الحاج مع جليسه الخياط السقاط ، وعهد مولاي سليمان الغيت الحانوت عن يمين الخارج من سوق العطارين من حساب العدول .

٦٣) ممن اعتمرها عام ٩١٠ هـ على الترتيب الماواس والبادسي وبيو والعرفي والقادري ومحمد بن ابراهيم مع احمد بن احمد بن عثمان ، وعام ٩٥٧ هـ بيد المكلاتي وولده والثالثة محمد بن القاضي والرابعة أبو القاسم بن يحيى والخامسة يوسف بن رضوان ، وعام ٩٦٢ هـ بيد المكلاتي وولده ومحمد بن القاضي والحاج محمد الدراق ويوسف بن رضوان ، وعام ٧٧٨ هـ كانت الاولى بيد القاضي عبد الواحد الحميدي وعام ٩٩٩ هـ الاولى بيد قصارة ومحمد الرفاس ، وفي عام ١٠٢٥ هـ كان الأول بيد الحاج قصارة والثاني بيد الزنقي والثالث لابن ماواس والرابع لبلقاسم بنعيم ، وفي سنة ١١١٥ هـ كانت بيد عبد العزيز الداعي مع جليسه وعبد السلام بن زيان ، واحمد اجانا والشافي وعبد السلام الزكوري والطالب الجورادي وفي عام ١١١٥ هـ بيد الفقيه محمد ميارة مع جليسه وقد صارت لعبد السلام الحريشي ، والثانية بيد محمد بناني مع جليسه وقد صارت للمجذوب الفاسي والثالثة لمحمد بو غالب الشريف مع جليسه ، والرابعة للمرابط الزموري مع جليسه وصارت لعبد السلام الوزير والخامسة بيد عبد الرحمن الفشتالي والسادسة بيد عبد الله الفاسي مع جليسه ، وفي عهد المولى سليمان كانت الاولى بيد محمد بن الشيخ .

٦٤) ممن اعتمر الرابعة عام ٩١٠ هـ عبد الله والخامسة احمد الحميدي والسادسة بن يدني . . وعام ٩٥٧ بيد محمد المشاط والثالثة بيد بن صدر والرابعة بيد احمد بن ابراهيم والخامسة بيد ابن عبد الهادي والسادسة بيد الجزنائي مع محمد خروف والسابعة بيد محمد الشريف القصري مع محمد الشاوي وعام ٩٦٢ هـ الثالثة بيد ابن الشريف مع محمد بن جلال ، والرابعة بيد ابي القاسم واحمد بن ابراهيم والخامسة بيد اللهاني والسادسة محمد خروف والسابعة بيد الشاوي وفي عام ٩٨١ هـ كانت الحانوت الخامسة محلا للناظر وفي عام ١١١٥ هـ كانت بيد محمد بن سودة مع جليسه وصارت لعلال المري والثانية بيد العربي الرندة مع جليسه والثالثة بيد محمد بناني والرابعة بيد محمد المشاط والخامسة بيد عبد الرحمن السلوى مع جليسه وعلى عهد مولاي سليمان اصبحت هذه الحوانيت مقصورة للقاضي كما علمنا .

٦٥) كذا ولعلها كانت معدة لجلوس الناظر ، وقد ورد في حوالة ٩٨١ أن الحانوت الخامس في هذا الصف كانت بيد الناظر . . .

٦٦) كان في اعتمار الأول عام ٩١٠ هـ عبد الواحد ، وعام ٩٥٧ بيد الونشريسي واحمد بن سعيد وبيداق والكتاني والحضري ، والسادس متصل بالبيلة في اعتمار الإشبيلي ، وعام ٩٦٢ هـ بيدالونشريسي مع احمد الشريف واحمد بن سعيد ومحمد بيداق والاشبيلي والحضري وابوسعيد المكناسي وممن اعتمرها عام ٩٩٩ هـ العدل عمر مع جليسه ، وابن منصور مع جليسه الكبير الزبير ، والثالث بيد احمد العشاب والرابعة بيد داود المنصوري والخامسة بيد محمد الاعيرض مع الطليطلي والسادسة بيد عبد العزيز الفيلالي واحمد الفشتالي .

٦٧) هنا ستة دكاكين كما نرى ، وقد أصبحت في عهد السلطان المولى اسماعيل مخزن لوضع الآت الحبس ، ثم صارت اليوم أربعة فقط نظراً لأخذ بقعة أعدت لسقي الناس . . وهذه الاربعة : الاوليان منها جديدان ، والأخريان بدائيان ، وخاصة الرابع الذي يتخذ شكل مخزن أوهُرّي قد يكون هو المكان الذي اشتمل في زمن ما على الأواني الموقوفة على من تكسرت بيده آنية من الخدم والصبيان ممن يخاف عقاب وليه كما سلف . هذا وبحسب تحقيق قمت به أوائل الستينات فإن الحانوت الأول عن يمين المنعطف هو الآن بيد السيد عبد الله بن المليح مامو ، كان قبله بيد المعلم محمد جشوس من البائع العربي بن شقرون ثم بمقتضى شهادة لفيفيه بتاريخ ١٣١١ هـ من اثني عشر شخصاً أصبح للاحباس الجَلْسة . أما الزِّينة فصارت لجسوس ، مع العلم ان المكان معروف الأصل والجلسة معا لجانب أحباس القرويين ، وهكذا الحال تماما بالنسبة الى الدكان الذي يليه كان للقرويين ، وأصبح على ما ترى ! أما الدكان الثالث والرابع ، فهما بيد السيد عبد الله المنصوري ، واذا كان السيد الأول قد تفضل فساعد بالإدلاء بأوراقه فان هذا الثاني ظل يتهرب من السؤال حول الموضوع ، فأثار جانباً من الشك ، فكتبت أسأله ، فلم يجب ! هذا ومن خلال الرسوم وسجلات الوقف المتتالية ومن خلال الواقع كذلك . لاحظت أن « الشهادات اللفيفية » كان لها دوركبير في نقل الملكية الى بعض الناس ، وهكذا عندما يطول أمد الحيازة بيد شخص ما من الأشخاص عشرين عاماً مثلاً ، ويتفق مع ذلك أن يحدث تغير في جهاز الموظفين بالأوقاف ، هناك يلتجئ بعض الناس الى الملكيات اللفيفية ، لقد عثرت كثيراً على وثائق تقول : إن هذا المكان معروف الاصل والجلسة لجانب الاحباس . وليس لمعتمره الا الزِّينة ، ثم قرأت عن ذلك المكان نفسه أن للأحباس الجلسة فقط ! ! وقد علمنا أن جل ما بفاس وما يحيط بالقرويين بصفة خاصة إنما ملك الناس فيه الزينة فقط ، ولهذا نجد في كتاب المعيار الجديد (المجلد ٨ ص ٢٣٧) أن الحائز لما ثبت في حوالة القرويين يكلف باثبات وجه حوزة ولا يكفيه دعوى الحوز والملك .

٦٨) كان عام ٩١٠ هـ في اعتمار ابي عفيف صالح ، وعام ٩٥٧ هـ بيد التسولي وعام ٦٢ هـ وفي حوالة عام ٩٩٩ هـ كان بيد قاسم الوزير مع احمد بن ماواس . وعلى عهد السلطان مولاي سليمان الغي الحانوت هذا من حساب العدول . . .

٦٩) كان الأول عام ٩١٠ هـ في اعتمار الحزبِّري والثاني بيد الطالب ؟ والثالث والرابع بيد سليمان الشريف والخامس بيد علي المكلاتي ، والسادس بيد زيان والسابع بيد عبد القوى وعام ٩٥٧ هـ بيد علي بن عيسى ومولود والعزبلي والبهاوي مع خروف والمكلاتي والظريف ومحمد بن بوشتا ، وعام ٩٦٢ هـ السرغيني ومولود والعزبلي والهبطي والمكلاتي ويوسف المديوني وبوشتا ...

٧٠) ازدهار العلوم والفنون على عهد العلويين ، مجلة المغرب نوفبر ١٩٣٦ . Les inscriptions de Fes P. 55.

٧١) فوضت الرسالة الملكية للسفير المغربي الوزير الغساني اختيار المناسب من المخطوطات . الاتحاف ٢ ر٦٤ .

٧٢) الخزانة العلمية بالمغرب ص ٦٩ . مراسيم تقديم اوراق الاعتماد على عهد السلطان المولى اسماعيل ، دعوة الحق مارس ١٩٦٩ .

٧٣) من جملة ما كان بالخزانة القروية على العهد الاسماعيلي من المصاحف ١٥ منها : المصحف الاكبر المشرقي الخط الحفيل في سفر واحد داخل ربيعة مرصعة وبها ١١٣ من كتب التفسير والقراءات : ١٧ مجلداً من ابن عطية – الخ ، ومن كتب الحديث ٢٣٥ ، ومن التصوف ٣٤ فيها شرح الحكم لابي عباد والشيخ زروق – الخ ، ومن كتب الفقه ٢٢٢ ، ومنها من كتب النحو والبيان والادب والتاريخ زهاء ١٨٤ فيها الفصوص لصاعد ، ومن كتب علم الكلام والمنطق والاصول ٦٣ ، ومن كتب التوقيت والحساب والطب ٢٣ فيها كليات ابن رشد والترشيح الكبير لجالينوس وابي الصلت في الادوية وارجوزة ابن الطفيل وكمال الصناعة في الطب (الثاني) وجامع الاطباء للمغافري ، ومنهاج الدكان في الطب ، والزهراوي في الطب وكتاب الحميات للاسرائيلي ،

وشرح ارجوزة ابن سينا وابن الخطيب في الطب .

٧٤) الحوالات الحبسية .

٧٥) الاتحاف ٣ ص ٢٥١ ، دعوة الحق ، دجنبر ١٩٦٠ .

٧٦) الاستقصا ٨ر٦٦ .

٧٧) المصدر السابق .

٧٨) القصد الى نسخة من صحيح الامام البخاري بخط الامام الصدفي . كانت بطرابلس وحال دون وصولها بعد شرائها من صاحبها – اضطرابات وقعت بالجزائر ، وقد عثرت اثناء سفارتي في ليبيا على وثيقة هامة هدتني الى طريق اكتشاف المخطوطة من جديد ... راجع بحثي حول الموضوع في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٢ .

٧٩) فصل حرم القرويين .

٨٠) Fez avant le Protectorat.

٨١) الدرر الفاخرة : ص ٩٦٨ – ١٦٩ .

٨٢) الف ديلفان كتابه عام ١٨٨٩ وكان مما قال فيه : « اذا قدر لفرنسا ان تستولي على المغرب وتضيفه الى الجزائر وتونس فسنملك ذخائر نفيسة فعلاً لان بخزانة القرويين ثلاثين الف مجلد » .

٨٣) القصد الى الأستاذ محمد العابد الفاسي صاحب كتاب (الخزانة العلمية بالمغرب) ...

٨٤) هيبر جاك : ايام فاس الدامية ، تعريب عبد الهادي التازي ، سبع عشر حلقة ٣١ مارس – ٥ شتنبر ١٩٥٧ .

٨٥) من المؤسف أن نعرف أن في صدر الذين كشفت الأيام أنهم كانوا لصوصاً لهذه الخزانة ، هذا « المقرر » فقد عثر في خزانته على عدد مهم من المخطوطات ترجع ملكيتها الى خزانة القرويين ، كان منها (صلة الصلة لابن الزبير) ، فقد وقفوا على طَرَف من « الصلة » مبْتور من الأول والوسط والأخير وكان المستشرق الأستاذ بروفيصال حصل على هذا « الطرف » من « الشيخ » ونشره على ما فيه من بتر ، ثم تبيَّن بعد البحث في خزانة القرويين أن الأطراف المبتورة موجودة بتمامها ، على اولها وثيقة تحبيس على القرويين ، وبمقابلة الاطراف جميعها تأكد أن الخط واحد ، والمقياس واحد ، والرقاص مساوٍ مع المبتور ، وتحمل المخطوطة رقم ٣٩١ .

٨٦) كان العدلان هما الفقيهين السيدين احمد بن العباس البوعزاوي وأحمد بن محمد القادري ، وقد دفعا الدفتر الى الرئيس ، والعضوين السيدين أحمد الشامي ومَحمد الزريعي ، المخطوط رقم ٣٣٥٤ – ٢٢٢١ .

٨٧) بعد استقلال المغرب عثر الملك الحسن الثاني على تلك الغرف ، فأمر بنقل تلك المخطوطات الى الخزانة الملكية بالرباط فأصبحت جميعها في متناول العموم . الخزانة السلطانية وبعض نفائسها – البحث العلمي ، عدد شتنبر ١٩٦٤ .

٨٨) Catalogue des livres arabes de la bibliothèque de la mosquee d'Alqurqu à Fes 1918. الخزانة العلمية بالمغرب ص ٧٠ – ٧٣

٨٩) يلاحظ ان الحفلة جرتْ يوم الخميس غرة شهر ربيع الآخر الذي يوافق تاسع مايه ، جريدة السعادة عدد ٩ مايه ١٩٤٠ وعدد ١٠ منه

٩٠) La restaration de la mederssa seffarine et la future bibliotheque de karawine a Fes bult. infor 1940 P. 2–10.

٩١) أمر محمد الخامس بنقل الخزانة الرشيدية بفاس الجديد الى القرويين عام ١٣٧٦ (١٩٥٦)

٩٢) كان أول قيم على هذه الخزانة الشريف الفضيلي ثم الفقيه المزغراني ،

٩٣) ذكر تاريخ اكمالها الشيخ عبد الرحمن الفاسي رحمه الله في آخر شطر من قطعة شعرية ، مطلعها :

أنظُر لبهجةِ بيْتِ الله يــا رائــي وسرحْ الجفن فيهـا بين أرجـاء
تخالها جنـة تزهـي مـزخـرفـة بطيِّـب الـزهـر مـن أنفـاس قـرّاء
تهـدي حِلى قـارئيهـا مـن شمـائلهـا فتحـب الـزهـر نـاجـت ذات أنـداء
بيـت الصـلاة وايـواء الطـلاب ومـا يغشـى مـن الـبر أويـرى مـن اهـداء
وقـد تـأنـق واشيهـا وطرّزهـا حسن الـزرابيِّ مـن تحبـير وشـاء
وتمنمـت بـردهـا بسطـاً مـدبجـة مثـل العـرائـس في حِـلي واحـلاء
كـأنمـا احتفـلـت للـوفـد زاهيـة كـالـروض في أرج بـذكـو وازهـاء
تـوريقهـا كـالعـذارى ضفـرهـا نشرت عـلى شقـائـق وجنـات كـابْمـاء
انـوارهـا تخطـف الابصـار مشرقـة مـن أجـل ذا (خطفت) تاريـخ إنشائـي

لكن اللوحة التي نقشت عليها هذه القصيدة ، نقلت في ظروف غامضة الى الجامع الكبير بفاس الجديد . مجلة المغرب نونبر ١٩٣٦ – فاس الجديد . البحث العلمي ٩٦٧ ص ١٨٣ .

٩٤) يقال إن المكان كان (منجرة) تابعة لأحباس القرويين ، كما يقال إنها عوضت مدرسة كانت هي فندق الشماعين الحالي ، أوكانت فندق اللبادين بالقطانين الذي اصبح اليوم مقراً للبنك المخزني . نشر المثاني : الثاني ص ٣ – مجلة المغرب ، نونبر دجنبر ١٩٣٦ .
Archives Marocaines : T. 18 les mederssa de Fes P. 257.

٩٥) هذا الاسم هو الذي عرفت به هذه الزنقة في القديم كما في الحوالات . . .

٩٦) الحوالة الاسماعيلية أوائل ذي الحجة ١١١٥ هـ .

٩٧) هذه المدرسة في الحي الذي يعرف اليوم بمولاي عبد الله مدرسة صغيرة بنيت فيما يظهر عام ١١٤٥ هـ من اثني عشر بيتاً ، يحاكي تصميمها مدرسة مماثلة ، وقف على بنائها السلطان المولى عبد الله بدار الدبيغ ، وبالرغم من أن بعض المصادر أهملتها فإن المدرسة كانت دون شك تؤدي مهمة تستهدف إعداد فنيين في بعض الاختصاصات .

٩٨) Fes Avant le Protectorat P. 463.



الفصل الثاني

فروع جامعة القرويين القديمة والجديدة
الكبرى والصغرى

فروع جامعة القرويين (١) بفاس

عندما نسمع القولة المأثورة أن « أعراف أهل فاس وأقوالهم ، لا بُدَّ أن تجد لها سنداً في أصول الشرع وفي بطون الكتب » ، ينبغي أن لا يأخذنا عجب من ذلك ، فإن علماء القرويين بما نشروه في هذه المدينة من علوم وآداب جعلوا الناس على صلة مستمرة بالحرف والكتاب ، وعلى بصيرة يقظة بما يعنّ من نوازل .

ولم تكن القرويين وحدها لتفي بكل التطّلعات التي يتوق اليها طلاب العلم المنتشرون بمختلف الجهات ، ولذلك زكت لها فروع هنا وهناك في أطراف المدينة[١]، تلك هي المساجد التي أمست مراكز للعلم تتمتع بالإمام والأستاذ ، وأحياناً بالكراسي العلمية ، واحياناً بخزائن الكتب كذلك .

في كل درب ، وفي كل حارة ، وفي كل منعرج وبيت ، سمِّه جامعاً أوزاوية أومدرسة ، فهوعلى كل حال ملتقى للمؤمنين الدارسين الذّاكرين ، لا يبعد أحياناً عن المسكن أو السوق إلاّ بضع خطوات ، يأوي اليه التاجر والصانع والعامل ، بعد أن يتخلص من شغله اليومي ، ليحضر إقامة صلاة ، أو يلتقي بصديق .

كم من الناس كانوا معْدودين في العلماء والفقهاء ، لما تجد في حديثهم من متعة واطلاع ، ومقدرة على الأخذ والرّد . وليست ثقافتهم إلا وليدة حضور هذه المجالس التي تحتضنها تلك المساجد الصغرى .

جلّ أولئك الأساتذة والشيوخ الذين يتصّدون للدرس فيها ، كانوا محسوبين أصالةً على جامعة القرويين ، ولكنهم وهم يدركون عبء رسالتهم كانوا يتقصّدون أولئك الآخرين الذين لا تسمح لهم ظروفهم بحضور مجالس العلم بالمسجد الأعظم . وقد وقفنا في تراجم عدد من المشايخ أنهم كانوا يلقون دروسهم مثلاً في مسجد عياض وفي المدرسة المصباحية ، كما كانوا يفعلون مثل ذلك في جامع القرويين . كما عرفنا من جهة أخرى أن « سائر المؤذنين بصوامع المدينة يخضعون من قديم الزمان لتقليد منار القرويين والاهتداء بإشاراته ، لم يشذّ من ذلك ولا مسجد واحد[٢] .

لقد بلغ عدد هذه المساجد أيام المنصور الموحدي وولده الناصر زهاء اثنين وثمانين مسجداً وسبع مئة مسجد[٣] على ما أسلفنا .

وقدرها بعض الذين زاروا مدينة فاس من الأجانب ، منذ أكثر من قرن . بمئة مسجد وثلاثين مسجداً[٤] وهو تقدير – فيما يتأكد لدينا – خاطئ ، فإنها تصل اليوم الى أكثر[٥] من ثلاثة وثلاثين مسجداً وثلاث مئة مسجد .

وسأحاول أن أورد هنا أسماء بعضها . حرصاً على إحياء ذكرها ولا سيما بعد أن أخذت معاول القِدَم تأتي على بعضها ، وسآخذها على حسب الترتيب الأبجدي . وفيها المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة والمساجد التي يقتصر فيها على الصلوات الخمس .

مسجد سيدي الآبار[٦] – مسجد الأبارين[٧] – مسجد ابن ابراهيم[٨] – مسجد سيدي بن أحمد[٩] – مسجد الأرازين[١٠] – مسجد سيدي اسحاق[١١] – مسجد الأشهب[١٢] – مسجد الأشياخ[١٣] – مسجد الاصدع[١٤] – مسجد آغلن[١٥] – مسجد الأندلس[١٦] – مسجد الأنوار[١٧] – مسجد إيصليتن[١٨] – مسجد الرحيبة[١٩] – مسجد باب درب اللّبَن[٢٠] – مسجد باب السبع[٢١] – مسجد باب عجيسة[٢٢] – مسجد باب المنية الصغرى[٢٣]

- مسجد باب النقبة[٢٤] - مسجد سيدي البدوي[٢٥] - مسجد برزخ[٢٦] - مسجد برقشانة[٢٧] - مسجد البرنوسي[٢٨] - مسجد البطروش[٢٩] - مسجد سيدي بناني[٣٠] - وجامع سيدي بناني[٣١] - ومسجد البيضاء[٣٢] - ومسجد تَاحضْريت[٣٣] - ومسجد تاعياشت[٣٤] - ومسجد التاودي[٣٥] - ومسجد تخربيشت[٣٦] - ومسجد سيدي تميم[٣٧] - ومسجد ابن التهامي[٣٨] - ومسجد التواتي[٣٩] - ومسجد ابن التومي[٤٠] - ومسجد التيجاني[٤١] - ومسجد سيدي جبل[٤٢] - ومسجد جحا[٤٣] - ومسجد الجرف[٤٤] - ومسجد جزاء ابن برقوقة[٤٥] - ومسجد جزاء ابن عامر[٤٦] - ومسجد سيدي جعفر[٤٧] - ومسجد بوجلود[٤٨] - ومسجد سيدي جلون[٤٩] - ومسجد سيدي الجمال[٥٠] - ومسجد الجوزاء[٥١] - ومسجد الجوطية القديمة[٥٢] - ومسجد الجياد[٥٣] - ومسجد سيدي بوجيدة[٥٤] - ومسجد سيدي الحاج[٥٥] - ومسجد حارة الشمس[٥٦] - ومسجد حارة مغراوة[٥٧] - ومسجد الحامية[٥٨] - ومسجد سيدي حبيب[٥٩] - ومسجد الحُجاج[٦٠] - ومسجد سيدي الحجام[٦١] - ومسجد حجامة[٦٢] - ومسجد الحجرة[٦٣] - ومسجد الحدادين[٦٤] - ومسجد سيدي حرازم[٦٥] - ومسجد الحراق[٦٦] - ومسجد الحرة عربية[٦٧] - ومسجد الحريشي[٦٨] - ومسجد ابن الحسن[٦٩] - ومسجد الحضروي[٧٠] - ومسجد الحفارين الأدنى[٧١] - ومسجد الحفارين الأعلى[٧٢] - ومسجد بوحفرة[٧٣] - ومسجد حلق النعام الأدنى[٧٤] - ومسجد حلق النعام الأعلى[٧٥] - ومسجد حمام القلعة[٧٦] - ومسجد الحمراء[٧٧] - ومسجد الحمرة[٧٨] - ومسجد الحنّا[٧٩] - ومسجد سيدي ابن حنين[٨٠] - ومسجد الحوت[٨١] - ومسجد الحوراء[٨٢] - ومسجد سيدي خالد[٨٣] - ومسجد الخبّازين[٨٤] - ومسجد ابن خبية[٨٥] - ومسجد الخشب[٨٦] - ومسجد سيدي خلق الله[٨٧] - ومسجد ابن خلفون[٨٨] - ومسجد سيدي خليل[٨٩] - ومسجد خنفورة[٩٠] - ومسجد سيدي خيار[٩١] - ومسجد سيدي الخياط الأدنى[٩٢] - ومسجد سيدي الخياط الأوسط[٩٣] - ومسجد سيدي الخياط الأعلى[٩٤] - ومسجد دار الدبغ (جرنينوا)[٩٥] - ومسجد دار الدبغ (شوارة)[٩٦] - ومسجد دار الدبغ (الرصيف)[٩٧] - ومسجد دار الدبغ[٩٨] - ومسجد دار الشرقي[٩٩] - ومسجد دار الضمانة[١٠٠] - ومسجد سيدي الدَّراس[١٠١] - ومسجد درب البواق[١٠٢] - ومسجد درب سيدي جلون[١٠٣] - ومسجد درب جنيارة[١٠٤] - ومسجد درب بوحاج[١٠٥] - ومسجد درب الحُريقي[١٠٦] - ومسجد درب حسان[١٠٧] - ومسجد سيدي حسان[١٠٨] - مسجد درب الخضار[١٠٩] - ومسجد درب الزيات[١١٠] - ومسجد درب ابن زيان[١١١] - مسجد درب سلمى[١١٢] - مسجد درب بني شروال[١١٣] - مسجد درب ابن شلوش[١١٤] - مسجد درب الشيخ[١١٥] - مسجد الدرب الطويل[١١٦] - مسجد درب ابن عتيق[١١٧] - مسجد درب الغرابلي[١١٨] - مسجد درب الفواح[١١٩] - مسجد درب القاضي[١٢٠] مسجد درب القليلي[١٢١] - مسجد درب الكاتب[١٢٢] - مسجد درب اللمطي[١٢٣] - ومسجد درب المرتب[١٢٤] - ومسجد درب المريح[١٢٥] - ومسجد درب اللمقي[١٢٦] - ومسجد درب بن يعدس[١٢٧] -- ومسجد دربية البشارة[١٢٨] - ومسجد الديوان[١٢٩] - ومسجد أبي الذئاب[١٣٠] - ومسجد رأس الجنان الأسفل[١٣١] - ومسجد رأس الجنان الأعلى[١٣٢] - ومسجد الرجراجي[١٣٣] - ومسجد رحبة الزبيب[١٣٤] - ومسجد ابن رحمون[١٣٥] - ومسجد الرصيف[١٣٦] - ومسجد سيدي رضوان[١٣٧] - ومسجد الركال[١٣٨] - ومسجد سيدي بو رمضان[١٣٩] - ومسجد رياض السبَّاع[١٤٠] - ومسجد الزَّربطانة[١٤١] - ومسجد سيدي الزروالي[١٤٢] - ومسجد سيدي زرّوق[١٤٣] - ومسجد الزعتر[١٤٤] - ومسجد الزغامرة[١٤٥] - ومسجد زقاق البغل[١٤٦] - ومسجد زقاق الرواح[١٤٧] - ومسجد زقاق الماء[١٤٨] - ومسجد الزليج[١٤٩] - ومسجد زنقة جعدة[١٥٠] - ومسجد زنقة الرطل[١٥١] - ومسجد الزهر[١٥٢]

ومسجد زياد[١٥٣] - ومسجد زيدان[١٥٤] - ومسجد ساباط المسافرين[١٥٥] - ومسجد ساباط الكّدان[١٥٦] - ومسجد الساف[١٥٧] - ومسجد السانية[١٥٨] - ومسجد السجن[١٥٩] - ومسجد سيدي السراج[١٦٠] - ومسجد السفياني[١٦١] - ومسجد السّمارين[١٦٢] - ومسجد ابن سمعون[١٦٣] - ومسجد ابن سودة[١٦٤] - ومسجد سويقة الدوح[١٦٥] - ومسجد سويقة ابن صافي[١٦٦] - ومسجد السياج الأدنى[١٦٧] - ومسجد السياج الأعلى[١٦٨] - ومسجد سيدي بوس[١٦٩] - ومسجد ابن سيّد الناس[١٧٠] - ومسجد الشاطة[١٧١] - ومسجد الشطاء[١٧٢] - ومسجد الشاوي[١٧٣] - ومسجد أبي الشناء[١٧٤] ومسجد الشحامين[١٧٥] - ومسجد الشرابليين الصغير[١٧٦] - ومسجد الشرابليين الكبير[١٧٧] - ومسجد الشرادي[١٧٨] - ومسجد الشراطين[١٧٩] - ومسجد الشرشور[١٨٠] - ومسجد الشرفاء[١٨١] - ومسجد الشريشي[١٨٢] - ومسجد الشعراني[١٨٣] - ومسجد شهبون[١٨٤] - ومسجد الشوك[١٨٥] - ومسجد شيبوبة[١٨٦] - ومسجد الصابرين[١٨٧] - ومسجد الصادقين[١٨٨] - ومسجد سيدي صافي[١٨٩] - ومسجد صفايرة[١٩٠] - ومسجد الصقلي[١٩١] - ومسجد ابن صكون[١٩٢] - ومسجد الصلب[١٩٣] - ومسجد ابن صماصم[١٩٤] - ومسجد الصنهاجي[١٩٥] ومسجد الطاهريين[١٩٦] - ومسجد طريانة[١٩٧] - ومسجد طلوقة[١٩٨] - ومسجد بني عامر[١٩٩] - ومسجد ابن عبّاد[٢٠٠] - ومسجد ابن عباد المزالي[٢٠١] - ومسجد العبادسة[٢٠٢] - ومسجد العباسيين[٢٠٣] - ومسجد مولاي عبد الله[٢٠٤] - ومسجد مولاي عبد الله الشريف[٢٠٥] - ومسجد ابن عبد الله[٢٠٦] - ومسجد سيدي عبد الله المكي[٢٠٧] - ومسجد بنت عبود[٢٠٨] - ومسجد العجالي[٢٠٩] - ومسجد العجم[٢١٠] - ومسجد ابن العربي[٢١١] - ومسجد عزوز[٢١٢] - ومسجد سيدي عزوز[٢١٣] - ومسجد سيدي عزيز[٢١٤] - ومسجد ابن عشرين[٢١٥] - ومسجد ابن عطية[٢١٦] - ومسجد العقبة الزرقاء[٢١٧] - ومسجد عقبة بن طوال الأسفل[٢١٨] - ومسجد عقبة بن طوال الأعلى[٢١٩] - ومسجد عقبة الفيران[٢٢٠] - ومسجد بوعقدة[٢٢١] - ومسجد ابو عليّ[٢٢٢] - ومسجد سيدي بو عليّ[٢٢٣] - ومسجد ابن عليّ[٢٢٤] - ومسجد مولاي عمر[٢٢٥] - ومسجد سيدي عمران[٢٢٦] - ومسجد سيدي العوادْ[٢٢٧] - ومسجد سيدي بو عياد[٢٢٨] - ومسجد سيدي عياض[٢٢٩] - ومسجد عيساوه[٢٣٠] - ومسجد عين ايصلتين[٢٣١] - ومسجد عين الخيل (الجامع الأزهر)[٢٣٢] - ومسجد عين علون[٢٣٣] - ومسجد الغازيين[٢٣٤] - ومسجد أبو غالب[٢٣٥] - ومسجد سيدي الغريب[٢٣٦] - ومسجد (لالة) غريبة[٢٣٧] - ومسجد الغزلان[٢٣٨] - ومسجد الغماري[٢٣٩] - ومسجد ابن الغنام[٢٤٠] - ومسجد فاس الجديد[٢٤١] - ومسجد الفاسيين[٢٤٢] - ومسجد الفخارين[٢٤٣] - ومسجد فرن الكويشة[٢٤٤] - ومسجد الفلاس[٢٤٥] - ومسجد فندق النجارين[٢٤٦] - ومسجد فوارة[٢٤٧] - ومسجد الفيلالي[٢٤٨] - ومسجد القادريين[٢٤٩] - ومسجد القباقبي[٢٥٠] - ومسجد سيدي فجاح[٢٥١] - ومسجد القروي[٢٥٢] - ومسجد القصبة البالية[٢٥٣] - ومسجد القصبة الجديدة[٢٥٤] - ومسجد قصر البطحاء[٢٥٥] - ومسجد بوقطوط[٢٥٦] - ومسجد القفاصين[٢٥٧] - ومسجد القفصي[٢٥٨] - ومسجد القلقليين (حساين)[٢٥٩] - ومسجد القلقليين (الشبربي)[٢٦٠] - ومسجد القلقليين (الشعيره)[٢٦١] - ومسجد القلقليين (النارنجة)[٢٦٢] - ومسجد القلقليين (الأبهري)[٢٦٣] - ومسجد القلقليين حمّوراموش[٢٦٤] - ومسجد القليعة[٢٦٥] - ومسجد قميمة[٢٦٦] - ومسجد قنطرة بورروس[٢٦٧] - ومسجد القيجاطي[٢٦٨] - ومسجد قيس[٢٦٩] - ومسجد بن كاسة[٢٧٠] - ومسجد كحيلة[٢٧١] - ومسجد الكدية[٢٧٢] - ومسجد كرنيز[٢٧٣] - ومسجد كرنيز الجديد[٢٧٤] - ومسجد ابن كعيلة[٢٧٥] ومسجد الكيلاني[٢٧٦] - ومسجد سيدي اللزاز[٢٧٧] - ومسجد ماسان[٢٧٨] - ومسجد ماشان[٢٧٩] - ومسجد ابن محسود[٢٨٠] - ومسجد سيدي المخفي[٢٨١] - ومسجد المخفية[٢٨٢] - ومسجد الخصة[٢٨٣] - ومسجد مدرسة

الصفارين[٢٨٤] – ومسجد مدرسة الصهريج[٢٨٥] – ومسجد مدرسة العطارين[٢٨٦] – ومسجد المدرسة البوعنانية[٢٨٧] – ومسجد الوادي[٢٨٨] – ومسجد مدين[٢٨٩] – ومسجد سيدي أبي مدين[٢٩٠] – ومسجد المرنيسي[٢٩١] – ومسجد المزدغي[٢٩٢] – ومسجد سيدي مساء الخير[٢٩٣] – ومسجد بني مسافر[٢٩٤] – ومسجد المصالي[٢٩٥] – ومسجد سيدي المطرفي[٢٢٦] – ومسجد ابن المعطي[٢٩٧] – والمسجد المعلق (ابن عتيق)[٢٩٨] – والمسجد المعلق (الطالعة)[٢٩٩] – والمسجد المعلق (بوجلود)[٣٠٠] – ومسجد سيدى مغيث[٣٠١] – ومسجد المقلقة[١٠٢] – ومسجد المكودي[٣٠٣] – ومسجد الملاحفي[٣٠٤] – ومسجد ابن الملجوم[٣٠٥] – ومسجد المليلي[٣٠٦] – ومسجد سيدي موسى[٣٠٧] – ومسجد المومناني[٣٠٨] – ومسجد مياره[٣٠٩] – ومسجد الميزاب[٣١٠] – ومسجد النارنجة بفندق اليهودي[٣١١] – ومسجد النارنجة بالكدان[٣١٢] – ومسجد النارنجة بالبليدة[٣١٣] – ومسجد النارنجة بدرب الطويل[٣١٤] – ومسجد ناسي[٣١٥] – ومسجد ابن ناصر[٣١٦] – ومسجد سيدي النالي[٣١٧] – ومسجد النصاصين[٣١٨] – ومسجد نصف الأمير[٣١٩] – ومسجد سيدي نوار[٣٢٠] – ومسجد الهبطي[٣٢١] – ومسجد الهزميري[٣٢٢] – ومسجد وادي رشاشة[٣٢٣] – ومسجد وادي الزحول[٣٢٤] – ومسجد وادي الشرفاء[٣٢٥] – ومسجد سيدي ابن يحي الأدنى[٣٢٦] – ومسجد ابن يحي الأعلى[٣٢٧] – ومسجد سيدي يزرور[٣٢٨] – ومسجد بني يزناتن[٣٢٩] – ومسجد ابن يعجبني[٣٣٠] – ومسجد أبي يعزى[٣٣١] – ومسجد سيدي يعلى[٣٣٢] – ومسجد سيدي ابن يوسف[٣٣٣] – ومسجد سيدي يونس[٣٣٤] .



تعليقات الفصل الثاني

١) تُخصص هذا الفصل للحديث عن مساجد فاس التي كانت بمثابة فروع للجامع الاعظم تؤدى فيها الصلوات وتزاول فيها الدروس ، ونريد أن نؤكد هنا على ان ترتيب ذكر هذه المساجد لا يخضع ابداً لتاريخ التأسيس فان بعضها كمسجد طريانة والقفصي والصابرين ومسجد الجيسة ، ويونس وخلف الله ، وما شان والحناء والرجراجي الخ يرجع لتاريخ مبكر ولكنا اخرناها الى هذا الباب لكي نستوعب ذكرها في مكان واحد جميعاً سواء منها ما بني على عهد المرابطين او المرينيين او العلويين ، بصرف النظر عن زمن انشائها . . .

٢) نذكر أن المسجد الوحيد الذي ظهر أن صومعته تقصر عن مشاهدة القرويين هو مسجد النارنجة بالكدان الذي صدرت الأوامر بالزيادة فيها ليتبع القاعدة . . . جنى زهرة الآس ٥٠ – ٥١ .

٣) روض القرطاس ص ٢٩.

٤) Voyage au Maroc 1886.

٥) نقول «اكثر» ونحن واثقون أن العَدد الحقيقي يفوق هده المحاولة التي اعتمدنا فيها على ما أمكن الوقوف عليه مما هو منصوص في بعض الوثائق .

٦) يقع هذا في حومة الشرشور ، وهو متصل بباب الشرشور يمنة المنعطف لعرصة ابن الصغير ، ويقابل معدة العين والمحجّة الممرور عليها لباب عجيسة ، وهو من المساجد التي وجدنا ذكرها في حوالة سنة ٩٧٤ ، ويعدّ في جملة المساجد الخرِبَة .

٧) يقع هذا المسجد غير بعَيد من مدرسة العطّارين ، كانت فيه (شقلابية) ، سكنها عدد من أهل العلم الذين توافدوا على فاس ، وقد أصلح على عهد السلطان المولى سليمان ، ويدل على أهميته أنه كان فيه كرسيان علميان، كما كانت فيه خزانة كتب ، وعليه أوقاف ، نذكر منها أربعة عقارات وغابة زيتون . راجع صفحة ٣٠٨ .

٨) هذا الى الزاوية اقرب منه الى المسجد ، وينسب الى سيدي محمد بن ابراهيم ، وهو في درب الحرة بالطالعة ، وهو حديث بالنسبة الى المساجد الاخرى . . .

٩) يقع هذا المسجد بالرميلة ، وربما وجد منسوباً اليها ، أما نسبتها الى سيدي محمد بن أحمد فلأن به زاوية تضم ضريح السيد المذكور بحسب الظاهر – الحوالة العبد رحمانية – سلوة الأنفاس . . .

١٠) يقع هذا الجامع في طريق عين علّون ، وأغلب ظني أنه هو المرفوع الذي يصعد اليه بدرج هناك . . . وبهذا المسجد كرسي علم .

١١) نعته بعضهم بسيدي إسحاق الإدريسي ، وهو في درب الشيخ بوادي مصموده ، من المساجد التي ضبطت بحوالة ٩٥٨ السراج : الكتاب الذهبي صفحة ١٥٧ . Fez avant le Protectorat.

١٢) يقع هذا المسجد بدرب الخضار ، والغالب على الظن أنه نسبته الى ابن الأشهب أحد نظار أوقاف فاس ، في المغرب أسرة ابن الأشهب الى الآن كما فيه أسرة ابن الأحمر والأزرق والأبيض والأخضر.

١٣) هذا هو أصل المسجد الأول بمدينة فاس ، ويعرف أيضاً بجامع الأنوار ، وهو في رحبة الأعواد، أعلى عقبة الصفاح عند بداية طريق سيدي بو جيدة . جنى زهرة الآس ص ١٠٩ . Fez avant le Protectorat

١٤) هذا المسجد في حومة فندق اليهودي ، ملاصق للدار التي كانت في ملك الشريف بوشنافة الوزاني ، وكان فيه كرسي علم .

١٥) مسجد آغلن اواغلان ، في نهاية درب الطويل ، وليس هو مسجد سيدي ميارة ، وانما يقابله بانحراف . البحث العلمي ، دجنبر١٩٦٨ ص ٨٩ .

١٦) هذا هو الجامع الذي يعاصر القرويين عند تأسيسه على ما سبق الحديث عنه ، وهو اشهر من أن يعرّف ، كانت فيه سبعة كراسي علمية ، الى جانب خزانتين ، إحداهما للمصاحف بقرب باب المحراب أنشأها السلطان ابو سعيد عثمان (الثالث) ، والأخرى علمية بالمستودع عن يمين الداخل من باب الحفاة ، وممن كانت بيده خزانة المصاحف الحاج حدّو بن النعيم وكانت العلمية بيد الفقيه الكبير بن سودة على ما تقّدم .... الحوالات ... طيراس : جامع الأندلس .

١٧) غير الجامع الأنور السابق ، وهو في حومة الشرابليين بأعلى سقاية الدمناتي المحمل على الساباط هناك قرب دار الدمناتي القديمة (العبد رحمانية) .

١٨) هذا غير مسجد عين إيصليتن أو صفاح ايصليتن كما في حوالة ٩٧٤ . . .

١٩) يعني بالرحبية رحبية وادي الزحول من حومة فندق اليهودي ، وقد يسمى أيضاً مسجد الثوار ، وتحدده « العبد رحمانية » بأنه بيسرة الداخل لكرواوة ، وادي الحريقي .

٢٠) سمي كذلك لأنه يقع على باب الدرب المذكور ، ويوجد في حوالة ٩٧٤ ، ويستمر ذكره الى (العبد رحمانية) .

٢١) هو مسجد باب المكينة بحرم دار المخزن : كان له منار كما في المصادر القديمة . فاس الجديد – مجلة البحث العلمي ١٩٦٧ .

٢٢) عثرت عليه منذ تاريخ حوالة ٩٦٥ هـ حيث تذكر الأوقاف المعينة له ، مما يؤكد انه يرجع الى العهد المريني ، وقد عرفنا من خطبائه أواخر العهد السعدي الإمام عبد الرحمن بن ابراهيم المشترائي ، وكان به كرسيان علميان ، وخزانة . المقري : روضة الآس ص ٣٣٦ – ٣٣٨ .

٢٣) يقع هذا المسجد على مقربة من درب بوحاج بالطالعة .

٢٤) يقع في حومة الصاغة ، وتصفه الحوالة العبدرحمانية بأنه حديث . . .

٢٥) يقع بزقاق الحجر عن يمين الخارج من درب الروم نازلاً في اتجاه المدْرسة الحسنية .

٢٦) ورد ذكره في حوالة ٩٦٢ – ٩٧٤ هـ ، وربما ذكر هكذا سيدي برزخ .

٢٧) أودرب قشانة ، أوبرق شانة ، أويبرقشانة ، منذ حوالة ٩٦٢ هـ ، ومن أئمته القدامى احمد الشمرو ، وورد في كتاب البلدان لليعقوبي (ص ١٣٧) : « وعلى طرف فاس مدينة سكنها برقشانة ، قوم من البربر القدامى » .

٢٨) هو بالذات سيدي احمد البرنوسي الذي يقع خارج باب الجيسة من لمطة (زالغ) على المدينة . وقد كان به ملجأ قديماً يأوي اليه الطلبة . . .

٢٩) هذا المسجد في الدوح على ما تقول بعض الحوالات .

٣٠) هو المسجد الذي في الديوان حيث ضريح الشيخ ابن عبد السلام بناني ، وفيه خزانة علمية تحتوي على عدة مخطوطات ، لا ثحتها في الحوالة العبدرحمانية .

٣١) هو جامع سيدي بناني بن الحسن بأقصى درب الطويل ، وهو غير مسجد سيدي ميارة ، وغير مسجد آغلن . العبدرحمانية . . .

٣٢) في فاس الجديد وسط الطريق العام ، وقد وصفه ماسلوف – Les mosquées de Fez.

٣٣) ذكر في حوالة ٩٧٥ على أنه في عداد الزوايا ، وقد كانت عليه أوقاف خاصة كان من قبضها الحاج عبد القادر فنجيرو السلوى عام ١١٠٥ هـ

٣٤) تاعياشت تصغير عائشة ، وقد ذكر في حوالة ٩٧٤ وهو المسجد المعلق بالطرافين أو (الشاكين) كما كان يسمّي والساباط الموجود هناك يعرف باسم ساباط تاعياشت ، له باب حفاة والمسجد قديم يقال ان مؤسسه هي الست عايشة زوجة يوسف بن تاشفين وام ابراهيم ولده ، وقد عرف ابراهيم هذا بابن تاعياشت . مجلة التربية الوطنية مارس ١٩٦٠ .

٣٥) هو مسجد سيدي عبد الله التاودي الذي يوجد به ضريحه خارج باب عجيسة ، وقد يسمى زاوية .

٣٦) يقع في حومة العيون يربط بين عين البغل ورشم العيون قبالة اسفل زنقة الرطل .

٣٧) يقع في درب الغرباء بجرنيز وربما كان هو مسجد الشجرة ، كانت عليه اوقاف كثيرة وبه كرسي علمي .

٣٨) يوجد في باب درب الحرة من الطالعة ويحمل ايضا اسم زاوية سيدي محمد بن علي ابن التهامي وعليها اوقاف .

٣٩) يوجد قبالة درب اهل تادلة بالطالعة ، والقصد الى زاوية سيدي عبد السلام التواتي التي لها اوقاف برحبة القنديل التي هي درب السراج .

٤٠) هو الجامع الذي يوجد تحت درب الحرة قبيل دار المنبهي ، وقد يسمى مسجد درب الحرة .

٤١) هذه زاوية التيجاني التي ترجع فقط لعام ١٢٤٥ أنشئ فيها كرسي علم ، وعليها اوقاف منها نصيب من دار بدرب الجياد المقابل لها كانت كلها

في ملك الامين التازي الموخا .

٤٢) بمنة النازل من زقاق الماء للشرابليين محمل على الساباط وكان به كرسي .

٤٣) مسجد جحا ذكر منذ حوالة ٩٧٢ ويظهر انه هو نفسه مسجد رياض جحا القريب من الصاغة .

٤٤) لعل له صلة بعقبة الجرف حيث كان باب القلعة الذي خططه الامام ادريس وقد ذكر في حوالة ٩٧٢ كذلك . جني زهرة الآس ص ٢٥ .

٤٥) من المساجد القديمة التي امر السلطان ابو سعيد ببنائها عام ٧٢٦ وينسب للحي الذي يعرف الى الآن هناك باسم ابن برقوقة الذي كانت له صلة بالتّلمذة على ابن تومرت في مسجد طريانة . وقد سجل بحوالة ٩٧٢ – روض القرطاس ص ٣٠١ .

٤٦) يرجع ايضا للعهد المريني ، اسفل المكتب الذي يوجد قبالة زنقة درب ابن سليمان وكان به كرسي علم .

٤٧) يوجد باعلى عقبة الزرقاء، وهو غير المسجد الذي يقع اسفل العقبة الزرقاء، حوالة ٩٧٣.

٤٨) يعرف هذا المسجد في بعض الكتب القديمة بمسجد القصبة الجديدة التي كان الموحدون أسسوها هنا ، كما في الاستبصار ، وهناك عدداً من الرباع الموقوفة على المسجد ، ومن جملة النظار الذين أشرفوا عليها الفقيه سيدي الحسن بن علي السريفي ، وقد كان فيه كرسي علم . الاستبصار ٧٥ –

٤٩) هو في أقصى درب سيدي جلون الذي يحتوي على مسجدّين آخرين : مسجد الطاهرين ومسجد درب سيدي جلون ، وهو من المساجد الخربة .

٥٠) هو سيدي علي الجمال الذي يقع في اسفل الرميلة من حومة الكدان ، ولم يعثر له على حبس .Le plan de Fez avant le Protectorat

٥١) من المساجد القديمة ، وقد ورد ذكره في حوالة ٩٧٧ هـ ، ويظهر أنه مسجد سيدي محمد بن الفقيه (ت ١١٣٦) الذي بين مسجد الحوت وبين ابن شلوش ، فان هذه العقبة كانت تسمى قديماً بعقبة الجوزاء ، وقد جدّد مراراً . وقد كان به مجلس علم وكرسي كان في آخر من درس عليه الشيخ مولاي أحمد العمراني ، ويقال إن ابن الفقيه هذا كان من التلامذة الذين بعثهم الشيخ الكيلاني من بغداد الى الشيخ ابن أبي الذئاب ولا تساعد عليه التواريخ السلوة ١ ٢٨٤ .

وصف بأنه (معلق) ، ولا شك أن للجوطية القديمة موقعاً غير الذي نعرفه اليوم ، وهو تربيعة ابن عيسى التي تقابل تربيعة ابن سالم من جهة الديوان ، ولها باب الى سوق العطارين ، وباب ينفذ الى تربيعة سوق التلّيس .

٥٣) الزنقة التي قبالة ضريح التيجاني ، ويحرفها العوام بالجياف ، وهو مسجد قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ .

٥٤) هو خارج باب المسافرين ، وقد يسمّى مسجد المقابر ، لأنه يضم رفات العلامة الشهيد سيدي بوجيدة ، وهو غير مسجد بني مسافر ، ومسجد شهبون (العبدرحمانية) .

٥٥) يقع في الممر الذي يربط بين سويقة بن صافي ودار عبابو ، فيه أيضاً مسجد سيدي أحمد بن ناصر ، ويعرف هذا الممر بوطا ابن فرخانة .

٥٦) هو في الطالعة ، وقد يسمّى حارة الجنان ، أو الجناوة .

٥٧) مسجد قديم فيما يظهر ، وهو مسجل في حوالة ٩٧٤ .

٥٨) كان بعرصة الحلوي ، كذا ، مدخله من عرصة «حاطّ روحه» ، وهو من المساجد الخربة .

٥٩) هذا في حومة المخفية وكان فيه كرسي علمي – السلوة . . .

٦٠) مسجد الحُجاج او زاوية الحجاج هو الذي يقع اسفل زقاق الحجر ، يصعد اليه بدرج ، وجانب منه على ساباط ، يظهر أن الحجاج الذين كانوا في طريقهم الى الحج من تخوم السوادين ، كانوا ينزلون فيه ، ويأوون اليه وقت موسم الحج ، وعليه أوقاف عدة مما يظهر أهميته ، منها ١٩ حانوتاً في جهات مختلفة ، و١٢ حانوتاً في سوق الخم ، والمطارحيين ، و١٤ بالحرارين ، و١٤ بالعطارين ، و٩ بالقشاشين التي هي سوق الحنّا اليوم ، و٧ بالبلابغيين ، و٦ بالحلفاويين ، و٥ بين السواري والأصدع ، و٢٠ بالطالعة ، و١١ ارضاً حراثية ، و٥ أطرزة ٤ حمامات ، و٦ فنادق ، و١٣ مصرية .

٦١) سيدي علي الحجام قالت الحوالة العبدرحمانية : حديث ، ويقع في حومة الكدان ، وقد دفن معه عدد من الصالحين.
Fes avant le Protectorat

٦٢) مسجد قديم ، وقد ذكر في حوالة ٩٧٤ .

٦٣) هذا المسجد في الكغادين ، وكان في هذا الشارع الذي كانت فيه معامل لصنع الكاغد ، من حوالة ٩٦٢ و ٩٧٤ .

٦٤) القصد الى الحدادين بالنخالين .

٦٥) هو ابن حرزهم ، والقصد الى الذي خارج باب الفتوح مباشرة ، وهو مسجد قديم يرجع الى تاريخ وفاة ابن حرزهم (ت ٥٥٩) الذي يرتفع نسبه الى ابن عفان ، وقد جدد على عهد المولى الرشيد ص ١٩٠

٦٦) هو زاوية الحراق بالمخفية ، وعليها أوقاف عدة تبلغ زهاء سبعة عشر « العبدرحمانية » .

٦٧) نعتت هكذا عربية زيانة ، ويظهر أنه قديم ، وقد سجل في حوالة ٩٦٢ - ٩٧٢ - ٩٧٤ .

٦٨) كان في باب عرصة الحريشي التي كانت بالزيات يسرة المنعطف من شارع باب الحديد لناحية بوجلود ، أدخل في عرصة الكوهن التي هي الآن ملك ابن كيران ، ولا تعرف مساحته ، وهو من المساجد الخربة .

٦٩) هو زاوية سيدي محمد بن الحسن خارج باب عجيسة ، وصف بأنه غير قديم .

٧٠) هو في رأس الشراطين ، قريب من زاوية سيدي مساء الخير المجاور لزاوية الغازيين . .

٧١) الحفارين الأدنى قريبة من سوق العشابين .

٧٢) هذا المسجد منذ حوالة ٩٧٤ .

٧٣) هو جامع سيدي منصور بوحفرة نفسه بفندق اليهودي « العبدرحمانية » .

٧٤) هو في الزقاق الذي يربط الطالعة الكبيرة بالطالعة الصغيرة تحت المدرسة العنانية ، نعتته حوالة ٩٧٢ بأنه قرب سيدي الرجاء ، وقرب مسجد خنفورة ، وتعبر عنه بعض المصادر بالمزدع التحتي .

٧٥) هو الزقاق الذي يربط بين الطالعتين فوق المدرسة العنانية ، ويسمى المزدع الفوقي ، وهو قديم من عام ٧٤٢ هـ كما كتب في رخامة التحبيس ، ولذلك يسميه بعضهم جامع أبي الحسن ، وقد ذكر في حوالة ٩٠٧ هـ ، ويحدده (Bel) بأنه في القسم الأعلى من زقاق الحجر ، أي أعلى الطالعة ، لأن وثيقة مرينية تؤكد أن « زقاق الحجر» يطلق ابتداءً من المدرسة العنانية فما تحت . وتتصل تربيعة حلق النعام بجامع الجنائز من المدرسة المذكورة . صومعته فوق الباب الرئيس : باب الحفاة وقد اصلح على عهد مولاي سليمان ، كمسجد اللبارين والشرابليين ، فيه كرسي للعلم ، وخزانتان للكتب .

٧٦) يقع قبالة حمام ابن عبّاد بأعلى القطانين ، وفيه كرسي وخزانة . .

٧٧) هو في وسط فاس الجديد ، ويقال إنه أسسته سيدة وردت من تافيلالت ، كانت حمراء اللون ، ويذكر بعض المؤرخين أنه نفس المسجد الجديد الذي وصفه ابن بطوطة عند حديثه عن أبي عنان ، وهو مذكور في حوالة ٩٧٤ ، وفيه كرسي وخزانة .

٧٨) هذا المسجد في الشرشور أسفل درب فرن الكوشة الحوالة العبدرحمانية .

٧٩) هو مسجد كان بالقشاشين أي سوق الحنّا الحالي ، وقد جدّد الآن ، وكان شعراء الملحون يتبارون فيه بأنشاد قصائدهم حوالة ٩٧٤ هـ .

٨٠) هذا المسجد كان أحد الفروع المهمة لجامع القرويين على عهد المرابطين ، عرفنا من أساتذته علي الكتاني القرطبي الطليطلي الفاسي . الكتاب الذهبي ص ١٨٤ .

٨١) هو في ناحية العيون ، وقد يسمَّى جامع الحيات ، لأن به صهريجاً به بعض النّون ، اوجامع الحياة ، وقد ذكر في حوالة ٩٧٤ وحوالة ١١٠٥ .

٨٢) من المساجد القديمة في فاس منذ العهد المرابطي ، وقد عرفنا من أساتذته الذين تصدروا للاقراء فيه العلامة اللخمي المعروف بالفلنقي (ت ٥٥٣ هـ) بعد مقدمة من اشبيلية التكملة عدد ٧٠٢ راجع ص ١٨٩ .

٨٣) في درب الأمانة في ساحة النجارين ، تقابله دار ثلثها حبس على كرسي مسجد سيدي موسى ، وتُحرف العامة درب الآمانة بدرب لالة مينة .

٨٤) مسجد قديم ، ورد ذكره في حوالة ٩٧٢ .

٨٥) هو في باب درب ابن عتيق فوق زقاق الرمّان ، فيه كرسي علمي ، وعليه اوقاف .

٨٦) قديم ذكر في حوالة ٩٧٤ .

٨٧) هو في باب عجيسة ، وهو قديم ، ورد ذكره في حوالة ٩٧٣ وضبطته بضم الخاء .

٨٨) مسجد قديم ، لم يحدد مكانه ، وهو مذكور في حوالة ٩٧٢ .

٨٩) هو في جزاء ابن برقوقة ، كان أول ما درس فيه مختصر الشيخ خليل ، وفيه كرسي ، ورد ذكره أيضاً في الحوالة السليمانية . السلوة ١ ص ٣٣٦ .

٩٠) قريب من المدرسة العنانية ، وفيه ضريح سيدي أبي الرجاء ، وقد ورد ذكره في حوالة ٩٠٧ .

٩١) هو في الدرب المقوس من سقاية الدمناتي الحوالة (العبدرحمانية) .

٩٢) هو في حومة بسويقة الدوح يمنة المنعطف من عقبة السبع ماراً الى ناحية سيدي الخياط الأوسط ، سدّ بابه الآن حين تهدّم ، وبداخله ضريح لأحد الصالحين ، وهو خرب ، وقد يسمى سيدي الخياط الدّوح .

٩٣) يجاور عرصة صلاح كما يجاور رَحَى الحَبَّس والمحجة المرور منها الى باب مقور أو مقدن ؟ وقد يميز هكذا مسجد سيدي الخياط الوادي .

٩٤) هو في عرصة ابن جلون المتَّصلة بعرصة ابن الشامي ، وهو من المساجد الخربة ، وهذا قد يسمّى مسجد سيدي الخياط بدون نعت ، وهو أيضاً من المساجد التي خربت .

٩٥) هناك عشرات من دور الدبغ بفاس ، لكن أهمها ثلاثة ، وفي كل منها مسجد يقصده العمال ، وفي مسجد دار الدبغ (كرنيز) كرسي علم .

٩٦) هذا مذكور في العبدرحمانية . . .

٩٧) هنا عقبة المكودي التي توجد قبيل ضريح الشيخ عبد القادر الفاسي .

٩٨) هذا من المساجد التي أسسها السلطان المولى عبد الله . عبد الهادي التازي : انقاذ مسجد دار الدبيغ جريدة العلم المغربية ١٥ مارس ١٩٥٧ .

٩٩) يجاور دار الشرقي بدرب الحرة ، ضاعت أوقافه .

١٠٠) هو تحت دار الضمانة ، دار شرفاء وزان ، وهو محمَّل على الوادي المتصل بالمحجة ، يصلى فيه زمن الصيف ، ويقرأ فيه الحزّابون بقراءة عيساوة ؟

١٠١) من أقدم المساجد في المدينة ، منسوب الى أبي ميمونة دراس بن اسماعيل ، وهو في مصمودة من حومة الجزيرة .

١٠٢) هو في كرنيز ، وقد يسمى مسجد سيدي حرزام . وقد كان من أئمته أخيراً الأستاذ سيدي مَحمد السراج بظهير شريف . وكان فيه كرسي علم .

١٠٣) هو في أقصى درب سيدي جلون ، يقابل زاوية الطاهريين ، وقد خرب .

١٠٤) هو على مقربة من الزاوية التيجانية ، وجنيارة في الاصل قبيلة بربرية . راجع الاستبصار.

١٠٥) محمل على ساباط درب بوحاج ، وهو قديم ، ورد ذكره في حوالة ٩٧٤ .

١٠٦) هو على مقربة من درب الحريقي . . .

١٠٧) هو في البليدة ، وهو غير الزاوية التي هنا (العبدرحمانية) .

١٠٨) هذا زاوية أقرب منه الى المسجد ، لأن به ضريح سيدي حسان ، وهو بالبليدة (العبدرحمانية) .

١٠٩) ينطق به أهل فاس الخطّار بالطاء ، وقد أثر تحريف الضاد طاء يقولون في : ابن القاضي : ابن القاطي ، وفي درب الرضاونة – الرطاونة ، وبمسجد الخضار كرسي .

١١٠) هو في حومة الدّوح . . .

١١١) هو في الدرب المقابل لمسجد سيدي أحمد بن ناصر الذي في وطا فرخانة ، وقد قرّبت الحوالة العبدرحمانية تحديده بأنه من حومة زقاق الحجر ، وله كرسي علم .

١١٢) هذا الدرب بالعشابين قبالة رحبة الزرع ، وقد ورد ذكره في زمام بتاريخ ٩٧٤ .

١١٣) كان باعلى زقاق الرمان ، متصلاً بباب عرصة أولاد ابن عمرو في أقصى الدرب ، وجدرانه قائمة ، ولا سقف له ، ذكر في حوالة ٩٠٧ بالنون بدل اللام ، أنه خرب .

١١٤) درب بن شلوش اسفل عقبة بن صوال .

١١٥) هو في حومة الجزيرة ، له كرسي علمي .

١١٦) لهذا المسجد أوقاف ما تزال قائمة ، وله كرسي .

١١٧) في أعلى زقاق الرمان ، وهو غير المسجد المعلق أسفل فندق عشيشة ، وغير المسجد المعلق على ساباط درب ابن عتيق ، له كرسي علمي .

١١٨) هو في حومة الكدان .

١١٩) هو في حومة الكدّان .

١٢٠) هو في زقاق البغل ، وقد كان من أئمته ابو الحسن علي الحريشي ، نفذها له القائد عبد الله الروسي .

١٢١) جهة العدوة .

١٢٢) هو في وسط زقاق الرمان ، وعن يمينه (حمام ارفع راسك) ، ولعلهم يقصدون محمد بن محمد الكاتب الذي كان ناظراً للأوقاف بمكناس على عهد المولى اسماعيل ، وذلك قبل أن ينتقل من فاس اليها .

١٢٣) في حومة الكدان .

١٢٤) في اعلى مدينة فاس نواحي الطالعة ، وكان عن يسار الداخل للدّرب . وقيل انه من المساجد الخربة .

١٢٥) نعت بالأقصى ، وهو درب ابن يعيش بالطالعة نفسه ، وكان يعرف أيضاً بمسجد سيدي يعيش ، يجاور من الجهتين عرصة الحاج محمد بن العربي السقاط ، وقد ورد ذكر المريج مع الأوقاف بالدوح والزيات ، وقد خرب المسجد .

١٢٦) جوار المدرسة العنانية ، وربما يسمى الدرب (درب مولاي المكتفي) ، وبناؤه قديم ، وكان يتصل بخربة ابن شقرون وقبلة بدار الشرفاء الأدارسة والحمام ؟ وهو من المساجد الخربة الآن .

١٢٧) هو في حومة العيون .

١٢٨) هكذا كان يسمّى ، ويسمّى أيضاً دربة النصارى ، ويقع باعلى زقاق الرواح . ولعل هذا الاسم جاء من ان بعض النصارى من البعثات الدبلوماسية كان يسكن فيه ، والناس يتفاءلون بزيارة المسجد هذا . . !

١٢٩) هو في الديوان بين أسواق فاس ، وكان صغيراً ، فوسعه السلطان المولى سليمان ، وله كرسي علم . السلوة ٣ ص ٢٣١ .

١٣٠) هو سيدي علي أبو الذئاب ، كان الشيخ عبد القادر الكيلاني معجباً به ، ارسل اليه جماعة من تلامذته ، فهم سيدي حكيم ، وابن سمعون ، وابن الفقيه . السلوة ٢٨٤ I-219-284

١٣١) تنعته الحوالة العبدرحمانية بأنه حديث ، وهو قريب من حومة العيون .

١٣٢) فيه كرسي علم ، وكان من جملة المراكز التي تستأثر بالنفّار في شهور رمضان .

١٣٣) هو في حوالة ترجع الى تاريخ ٩٧٤ من دون تحديد مكانه .

١٣٤) هذا هو المسجد المعلّق برحبة الزبيب ، وهو من فروع القرويين القديمة . كان فيه كرسي . وقد عرفنا من أساتذته العلامة الونشريسي . نزهة الحادي ص ٣٠ .

١٣٥) هذا هو مسجد سيدي قاسم بن رحمون له مدخلان من جهة زقاق الحجر ، ومدخل ، ثانوي من جهة درب الأمانة بالنجارين . وكان فيه

كرسي . من آخر اساتذته مولاي احمد العمراني .

١٣٦) حفر أساس هذا المسجد السلطان المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله ، ولكن بناؤه تأخر الى أيام السلطان المولى سليمان عليه أوقاف ،منها فندق النجارين ، وبعض أجزاء من جنات ، وكان فيه كرسي منذ تأسيسه ، وخزانة (العبدرحمانية) .

١٣٧) القصد زاويته في عدوة اللمطيين وليس الى روضته خارج باب الفتوح (ت ٩٩١) ، توجد أوقاف على إصلاحه واطعام القراء فيه ، وكانت به خزانة تضم عدداً من المصاحف والكتب الموقوفة . الاستقصا ٦ ص ٥٨ البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ص ٢٤٨ .

١٣٨) القصد سيدي عبد السلام الركال ، وهو الشرشور ، وفيه ضريح سيدي محمد بن التهامي .

١٣٩) هذا في حومة المنية .

١٤٠) هو في فاس الجديد داخل القصور الملكية .

١٤١) مسجد الزربطانة ، خرب وهو غير مسجد الهبطي ، ويشترك في الحبس مع مساجد أربعة : مسجد بني يزناتن ، ومساجد سيدي الخياط الثلاثة .

١٤٢) لم تحدد المصادر موقعه .

١٤٣) سمي على الشيخ أبي العباس احمد زروق ، لأنه كان يجتمع فيه بفقرائه وأصحاب ورده . وهو في باب عين ايصلتين كما في العبدرحمانية ، أو باب بوحاج مجاوراً للكتاب القرءآني هناك ، كما في تحديد آخر ، ولا شك أن القصد الى الباب الأسفل للدرب ، وهو الذي يجاور عين ايصلتين . هذا ويوجد مكان يسمى رحيبة ابن زروق قبالة مسجد سيدي عبد الرحمن المليلي .

١٤٤) مسجد قديم كما يظهر ، فقد ورد في حوالة ٩٧٢ ، ولكنه لم يحدد الموقع ويظهر أن القصد عقبة الزعتر التي تقع بين العشابين وبين باب عجيسة ، وفيها ضريح سيدي أحمد بن يحيى ، وربما قصد بها أيضاً الفرع المجاور الذي فيه ضريح سيدي عبد الله المكي ومسجد سيدي المطرفي . جني زهرة الآس ٢٥ - ٤١

١٤٥) المكان في أعلى المدينة جهة الطالعة ، والمسجد مذكور في حوالة ٩٧٤ .

١٤٦) مسجد قديم ، مذكور في حوالة ٩٧٤ ، وهو على قرب نظارة الأوقاف الحالية .

١٤٧) ذكر منذ عهد الموحدين ، وكان فيه كرسي للتدريس ، وكان ابن نحوي من اساتذته ، درس فيه قبل أن يتصدّر للاقراء بالقرويين . الجذوة صفحة ٣٤٥ .

١٤٨) من المساجد الأولى في العهد المرابطي ، عرفنا من أساتذته ابا بكر عثمان بن مالك من أشياخ عليّ بن حرزهم ، وفيه قاعة وصحن وميضأة وبيت للمؤذن . وله مدخلان ، وفيه كرسي ، وخزانة علمية جذولة الاقتباس ص ١٠٣ Les mosquées de Fez.

١٤٩) هو في العدوة بدرب الشيخ بحسب حوالة ٧٧٤ .

١٥٠) هو الذي في زقاق البغل محملاً على الوادي . مدخله من الدرب القريب من الفرن هناك ، قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ ، وقد أمسى في بعض الاوقات مكاناً للمدرسة الاسلامية التي كان يديرها الفقيه الرجراجي .

١٥١) على قرب من عين البغل ، وهو قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ .

١٥٢) شيده السلطان أبو عنان سنة ٧٥٩ هـ له باب مزخرف ، وسوارٍ رخامية ، وهو لاصق بالقصور الملكية ، وربما سميّ قديماً « جامع الحجر » .

١٥٣) هذا المسجد في الجياد . Les mosquées de Fez.

١٥٤) كان يقع بفندق اليهودي ، وقد أدخل في عرصة برادة من الزنجفور . العبدرحمانية .

١٥٥) مسجد على ساباط الباب المذكور . وهو غير مسجد سيدي بوجيدة .

١٥٦) ذكر في الحوالة العبدرحمانية .

١٥٧) هو في حومة مولاي عبد الله ملاصق للقصور الملكية .

١٥٨) هو جامع البّلاجين نفسه ، له باب آخر من جهة الغمادين ، فيه شجرة ياسمين . كان من مؤذنيه الحاج العربي البلاج ، وكانت البلاّجين سابقاً تسمّى « جوطية الحزوم » . كنت أذهب مع والدي اليه للصلاة فيه .

١٥٩) في زقاق البغل يسرة الداخل للطّرزات التي كانت هناك . وصف بأنه حديث البناء .

١٦٠) أغلب ظننا أنه في درب السراج بالطالعة ، وهو قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ .

١٦١) هو سيدي الحسن السفياني ، والمسجد في عين ايصلتين من حومة الشرابليين ، وعليه اوقاف معروفة . وله كرسي وخزانة كذلك . العبدرحمانية .

١٦٢) هو جامع البستيونية نفسه الذي على يمين المنعطف من الرصيف لقنطرة سيدي العواد ، وحين ينعتون جامع الرصيف بكلمة الحديث ، فإنهم يتحرّزون عن هذا ، وقد كان فيه باب للحفاة ، بناه سنة ٧٢٦ هـ السلطان أبو سعيد ، له كرسي . القرطاس ص ٣٠١ .

١٦٣) هو في رشم العيون بعد الخروج من تخريبشت ، ملاصق لكتاب مرفوع هناك ، وقد كان فيه كرسي علم .

١٦٤) هو الشيخ التاودي ابن سودة والمسجد في الحومة التي كانت تسمّى المعادي ، وهو قبالة الدار التي كان يسكنها الشيخ ، ثم صارت في وقت من الأوقات مكاناً للمدرسة الاسلامية . وفيه كرسي ، وخزانتان .

١٦٥) كان في هذا المسجد كرسي .

١٦٦) كان فيه كرسي ، وعليه أوقاف خاصة .

١٦٧) هو مسجد الحريري نفسه لما تكون نازلاً لوادي رشاشة قبل أن تصل الى درب الروم .

١٦٨) هو الذي يقع عن يسارك وانت نازل بُعيد دار المجلس البلدي الى وادي رشاشة في بداية المنعطف .

١٦٩) هو في حومة الكدان ، تحرفه العامة الى سيّوس ، وتصفه العبدرحمانية بأنه حديث ، وله كرسي ، وقد كان بيد الفقيه سيدي محمد السراج ، وربما كان الاسم دعوة لزيارة هذا الضريح وتقبيله .

١٧٠) عثرنا عليه في حوالة تحتوي على محاصّات بتاريخ ٩٧٥ .

١٧١) مسجد الشاطة ، في الطالعة قبيل خطوات من الطريق الذي يدخل الى الزربطانة ، ويلاحظ على بابه شوّاف (كيب) . بضع درجات بعد الباب أسسه سنة ١٢١٢ هـ السلطان مولاي سليمان وعلى لسانه قيل :

أنا البيت المقدس في ارتفاع … وتاريخي يرى للناظرينا
بناني من له وَبْلِيٌّ جودٍ … سليمان امير المؤمنينا

الدرر الفاخرة ص ٧٠ .

١٧٢) هو في كرنيز قرب الفرن ، وهو عاطل كما وقفتُ عليه وقد كانت عليه أوقاف كالشأن في الذي يقوم باغلاق باب درب فرن الشطاء ، ويقوم بايقاد سوامر الدرب .

١٧٣) هو مسجد سيدي أحمد الشاوي ، قرب السياج ، له كرسي ، وفيه خزانة .

١٧٤) هو في رحبة قيس ، وفيه تعلم عدد من الجيل الذاهب وقد أصبح مقراً تابعاً لمدرسة النجاح الوطنية . . .

١٧٥) نعت بأنه (معلّق) ، ولم يذكر موقعه ، ورد ذكره في حوالة ٩٧٢ - ٩٧٤

١٧٦) يجاور فيما يظهر المسجد الذي يليه . ورد ذكره في الاسماعيلية ، فيه كرسي .

١٧٧) كان يسمّى في القديم مسجد الصّفارين القدماء ، من مؤسسات أبي الحسن المريني ، واصلح في عهد مولاي سليمان وهو من فروع القرويين الشهيرة ، له كرسي علم ، وخزانة كتب . Bel. P. 176

١٧٨) هو في درب الشيخ ، يقابل مسجد فوارة وجه الآتي من درب الدرج . قالت العبدرحمانية إنه حديث .

١٧٩) في اسفل الشراطين ، يصعد اليه بدرج . ذكر في حوالة ٧٧٤ ، ونعرف من أساتذته أبا العباس الونشريسي في بداية التحاقه بفاس قبل أن يصبح

أستاذاً بالقرويين أو المدرسه المصباحية ، ومما له صلة بالمسجد أنه كانت له خرّاجة لدار محمد الرايس ، فحولها الى مطبخ ، فأثار عليه شكوى الناس ، فأمر الملك باغلاقها في ١٠ ذي القعدة عام ١٣٣٤ هـ الحوالة العبدرحمانية ، مجلة البحث العلمي ١٩٦٥ ص ٤٦ .

١٨٠) هو الى الزاوية أقرب منه الى المسجد ، ومع ذلك فان فيه كرسياً علمياً ، وفيه دفن سيدي الحاج الخياط الرقعي ، وهو غير مسجد الركّال .

١٨١) ثاني مسجد بفاس بعد مسجد الأنوار. وقد تخرب لمضايقة ابن أبي العافية ، فتقدم الناس لإصلاح جدار فيه ، شهر رجب ٨٤١ هـ ، فعثروا على صريح المولى إدريس . كانت فيه كراسي أربعة وخزانة ، وقد صار في مقدمة مراكز التدريس بفاس منذ العهد السعدي . الأزهار العاطرة الأنفاس بفاس صفحة ١٦٦ - ١٧٣ .

١٨٢) في وادي الزيتون بالكفادين . وهو قديم ، ذكر في حوالة ٩٦٢ - ٩٧٤ .

١٨٣) المقصود سيدي عبد الوهاب الشعراني كما ذكرت بعض الحوالات ، وقد سماه (ماسلوف) خطأ مسجد مدين ، ومسجد الشعراني هو في زقاق الحجر يسار الخارج من درب الروم طالعاً الى سويقة بن صافي ، أما مسجد ابن أبي مدين ، فهو قبالة درب اكومي ، وقد كان الشيخ المهدي المري من أئمة مسجد الشعراني على عهد مولاي سليمان الذي يقع قبالة داره . أما مسجد سيدي بومدين ، فشيئ آخر ، لأنه يقع في الرميلة .

١٨٤) هو داخل باب مسافر ، عن يسار الوارد الباب المذكور ، ما زالت به صومعة ، وهو متهدم ، وهو غير مسجد بني مسافر ، ومسجد الساباط هناك .

١٨٥) هو في (حومة الكّدان) ، وقد يسمّى (عين الشوك) ، قديم ، ورد في حوالة ٩٧٢ ، وفيه كرسي علم .

١٨٦) في نهاية الحدادين بين درب اللمطي والمدن ، قرب سيدي مغيث ، مقابل فندق الغرناطي . وهو غير مسجد سيدي مغيث ، وكان يجتمع به عيساوة أصحاب سيدي محمد بن عيسى ، علاوة على مسجد عيساوة بالأصدع ، ويتساءل : هل لهذا الاسم علاقة بباب شيبوبة القديم بفاس ؟

١٨٧) هو الذي فيه اليوم روضة أبي زيد الهزميري ، أو ربما سمي مسجد الهزميري ، يوجد برأس القليعة نفسها ، لا بإزائها كما تقول السلوة . ذكر في حوالة ٩٥٨ - ٩٧٤ ، ومن أوقافه ثلث دار بدرب القليلي بيد القيم . ويذكر أنه كان في الأصل مدرسة مرابطية ، عرفت بمدرسة الصابرين .

١٨٨) النسبة الى ابن عبد الصادق ، والمسجد زاوية كذلك ، وهو أيضاً من فروع القرويين التي لا تبعد عنها . بالمشاطين ، وقد حضرت فيه مجالس علم عديدة صحبة والدي على الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر بن سودة .

١٨٩) نعتقد أنه مسجد العامر الذي يقع غير بعيد عن الشرابليين .

١٩٠) في جرواوة ، وهو من المساجد المتهدمة .

١٩١) المقصود القطب مولاي احمد الصقلي ، وهو أيضاً زاوية ، يقع بالبليدة ، له باب البها ، وله باب للسبع لويات ، ممّن دفن به السيد امين الله مناء محمد التازي موخا ، على عهد السلطان المولى الحسن الأول وقد أدركته الوفاة في فاس صحبة الركب الملكي ، وهناك وليّ أخوه الأمين عبد السلام . الاتحاف ٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ٥١٤ .

١٩٢) في سيدي العواد ، وربما نطق ابن صكوم ، وله كرسي .

١٩٣) هو المسجد المعلق بوسعة العيون ، على الساباط ، بين درب الهكار والوسعة ، على مقربة من المسيد هناك الذي أدركنا فيه الشيخ سيدي عبد السلام الحياني بصلب العيون .

١٩٤) في حومة فندق اليهودي ، وتحتفظ الحوالات بلائحة لما لإمامه ومؤذنه .

١٩٥) في زنقة جمالة ، وتقابل زنقة سيدي يعلى بانحراف ، ويتصل بالمكتب المعلق الذي بباب الزنقة المذكورة ، وقد تهدم بحسب في عداد الزوايا .

١٩٦) هو في درب سيدي جلون يسرة الداخل اليه ، ويعد زاوية ، وليس هو مسجد سيدي جلون .

١٩٧) هو من أقدم فروع الدراسة وأهمها بفاس ، وهو المسجد الذي نزل فيه بعد مسجد ابن الغنام ومسجد ابن الملجوم ، ذكر في حوالة ٩٠٧ - ٩٧٤ ، وربما سمي مسجد المهدي بن تومرت ، أو مسجد المنزه ، يقع على الساباط يمينك وأنت خارج من حلق النعام الأسفل الى جهة الطالعة الكبرى ، وهو اليوم فرع للزاوية التيجانية ، وربما سمي طّريانة باسم دشر ، على مقربة من اشبيلية ، أعطي لهذه الحومة من قبل جالية اشبيلية ، اتخذت مسكناً لها هنا فهو من باب توأمَة المدن والبقاع ، من اوقافه القديمة ثلث فندق عين علون . ولقد جرت فيه اصلاحَات متوالية كان آخرها على عهد السلطان المولى

عبد الحفيظ عام ١٣٢٨ هـ ، وقد نقش على محرابه :

أنظـر لسـر انتظـامـي ... تسمو بنيـل المـرام
واخضـع لغـوث البـرايـا ... أعني التيجـاني إمـامـي
والـزم لـربعـي ، وأرخ ... محـراب أهـل ختـام

اليذق ص ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - توامة فاس والقيروان وتوأمات اخرى مجلة المغرب مايه ، يونيه ١٩٦٥ .

١٩٨) يحرفه العوام سيدي طلوق ، وهواسم لسيد محسن ، له وصايا على المعوزين . قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ وهو في باب السلسلة جهة الصفارين ، أدركت فيه كرسي علم .

١٩٩) في جزاء ابن عامر بين درب الهكار والرصيف ، وهو قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ .

٢٠٠) هو مسجد عين البغل نفسه من حومة العيون ، وهو محمول على العين ذاتها . وله اوقاف ووصايا .

٢٠١) هذا مسجد آخر يحمل اسم ابن عباد ، وهو في درب المشروم حومة فندق اليهودي ، والاوصاف التي ذكروها له تعطي أنه المقبرة التي عن يمين الواصل الى باب عجيسة الرئيس مباشرة ، قبالة السقاية التي هناك ، وقد قالوا : إن فاس ترى منه بما فيها جامع القرويين ، وقالوا : إنه في أعلى عقبة الزعتر ، ويسميه ماسلوف مسجد سيدي علي المزالي .

٢٠٢) هو في عدوة الأندلس قرب درب مساشة ، فيه كرسي وخزانة .

٢٠٣) هو في القسم الأسفل الى حومة لالة غريبة في درب العباسيين من فاس الجديد ، وأظن أنه هو المسمى قديماً مسجد الصفصاف .

٢٠٤) هو المسجد الذي بجوار روضة السلطان المولى عبد الله من فاس الجديد ، التي تضم كذلك جدث الحرة المصونة لالة مباركة بنت برك المغافري الوذي والدة السلطان المولى إسماعيل ، وجدث لالة خناثة زوجته ووالدة السلطان مولاي عبد الله ، وجدث السلطان المولى يوسف لالة الياقوت والدة السلطان محمد الخامس .

٢٠٥) هو في الشرشور ، وهو زاوية .

٢٠٦) هو زاوية سيدي أحمد بن عبد الله صاحب الرحلة عام ١١٠٠ هـ الى بيت الله ، وهو في أقصى المخفية ، عليه عدة أوقاف لقراءة حزب الشاولي وشراء الشمعة والخبزة وتسخين الماء في أشهر الشتاء ، له كرسي وفيه خزانة . ليبا لدى الرحالة المغاربة ، مجلة المجمع العلمي العراقي عام ١٩٧٠

٢٠٧) هو المكي الزيتوني جهة النواعريين ، تحدده الحوالات القديمة بعقبة الزعتر ، وعليه أوقاف فيها ما للامام والمؤذن والنفار أيام رمضان .

٢٠٨) يقع بفرن كويشة وهو قديم ذكر في حوالة ٩٧٤ وهو غير ضريح سيدي عبود بحومة الكدان .

٢٠٩) هو في أعلى زقاق الرمان يمنة المار للشرشور ، يجاور عرصة ابن الصغير ، وهو من الزوايا المتهدمة .

٢١٠) لم نعرف تحديده ، ويوجد في محاصّة خاصة بالزوايا ، ترجع الى سنة ٩٧٥ هـ .

٢١١) هو الإمام أبو بكر بن العربي ، خارج باب المحروق ، ونعيد الى الذاكرة أنه الإمام الذي ذهب الى بغداد صحبة والده في مهمة سياسية لدى المستظهر بالله ، من قبل يوسف بن تاشفين . جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي .

٢١٢) هو في أقصى حومة راس الجنان ، وهو روضة في الاصل ، ولا أوقاف له .

٢١٣) سيدي عزوز هذا مجاور لمحجة بوجلود ، وهو زاوية .

٢١٤) سيدي عزيز يقع بأقصى درب الطويل ، وهو زاوية .

٢١٥) تقول حوالة ٩٦٢ إنه يقع بالملاحة ؟

٢١٦) قريب من (بين المدن) ، وفيه دفن أيضاً سيدي عليّ الحارثي ، ودفن فيه أخيراً الفقيه المفضل بن ادريس السراج محتسب مدينة فاس .

٢١٧) هو في أسفل العقبة محمل على ساباط له كرسي . وهذا غير مسجد جعفر الذي في أعلى العقبة الزرقاء .

٢١٨) هكذا يسمى ، وقد يسمَّى بمسجد ابن البياض ، نقلت اليه قبة خشبية أثرية ، وجدت على قبة الضريح الأدريسي عند تجديده وتوسيعه من قبل المولى اسماعيل . الدرر الفاخرة ص ٤٣ .

٢١٩) هكذا يسمَّى ، وربما سمي أيضاً مسجد سيدي ابن عمران ، وهو يجاور دار مولاي إدريس بن عبد الهادي ، وبه ميضأة . . لك كرسيان .

٢٢٠) تسمى عُقَيْبة الفيران ، وقد يسمى المسجد مسجد المحسنين ، قديم ، منذ حوالة ٩٧٤ له كرسي .

٢٢١) هو مسجد اللبادين نفسه أو مسجد الطرافين الأسفل ، فوق رأس التيالين ، له باب للطرافين ، وباب من جهة بوعقدة ، ذكرت حوالة ٩٧٤ أنه برأس عبْروق ، وله كرسي ، وفيه خزانة علمية .

٢٢٢) قبالة مسجد سيدي أحمد بناصر بوطافرخانة ، متصل بدرب ابن زيان . حديث تقول « العبدرحمانية » ولعله نسبة الى أبي علي الرومي عامل مولاي إسماعيل على فاس .

٢٢٣) في يمنة الصاعد الى رأس القليعة ناحية الكفادين . طوله ٢٤ قالة (ذراع) على ١٢ ، كذا وصف .

٢٢٤) هو زاوية سيدي أحمد بن علي بالشرشور المتصلة بمسجد الركال .

٢٢٥) هو غير بعيد عن مدرسة الصهريج ومدرسة الوادي .

٢٢٦) مسجد قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٢ ، وهو خرب الآن ، موقعه في حومة الكَدان ، ويضم ضريح سيدي السلاسي ، وسيدي ابن الشيخ . وهو غير مسجد ابن عمران الذي في أعلى عقبة ابن صوال .

٢٢٧) هو سيدي محمد العواد المتصل بالكوشة التي هناك ، وله كرسي . وهذا غير مسجد سيدي نوار الآتي .

٢٢٨) هو في الدرب الجديد بالصاغة ، وهو حديث كما تقول « العبدرحمانية » .

٢٢٩) هو في حومة الصاغة ، مسجد قديم ، كان يجتمع فيه القاضي عياض بأصحابه ، وفيه كان يدرس الفقيه محمد بن عبد السلام بناني ، قبل أن يقصد درسه بالصف الأول من القرويين ضحوة كل يوم . الكتاب الذهبي ص ١٧٢ .

٢٣٠) هي التي بالأصدع من فندق اليهودي . به خزانة (العبدرحمانية) ، وهو مركز ثان لعيساوة ، علاوة على مسجد شيبوبة .

٢٣١) مسجد قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ ، في رأس عين ايصلتين ، وهو غير زاوية السفياني ، كما أنه ليس هو مسجد زرّوق .

٢٣٢) هذا هو المسمَّى بالجامع الأزهر ، وهو من المساجد القديمة التي كان لها ذكر منذ عهد الموحدين ، ونعرف ممن درس فيه أبا عبد الله محمد التميمي الفاسي (ت ٦٠٣ هـ) ، وفي هذا المسجد أخذ عنه ابن عربي الحاتمي من حوالة ٩٧٤ وما يزال فيه كرسي . . . السلوة ٣ ص ١٠٤ – الفتوحات المكية ، قسم باب الوصايا (المطبوع) بالأميرية ١٣٠٦ ص ١٢٨ وما يزال فيه كرسي .

٢٣٣) عين علون منها كان يبتدئ سور عدوة القرويين ، وهناك كان باب إفريقية ، وعلون ، فيما يقال ، اسم رجل كان يقطع الطريق حتى قضى عليه الإمام إدريس . جني زهرة الآس ص ٢٥ .

٢٣٤) هو في قبالة ميضأة مدرسة الشراطين ، وعليها أوقاف بحسب حوالة بتاريخ ١٣ جمادي الأولى ١١٩٨ هـ وفيها كرسي ، وقد يسمى زاوية الحضرة لأن الغازيين كانوا ينقطعون فيها للذكر .

٢٣٥) هو سيدي علي بوغالب الذي كان السلطان المولى سليمان ، وسّعه ، وفيه مبرة يلجأ اليها المرضى والعاجزون . وفيه مدفن أشراف آل أبي طالب .

٢٣٦) هو في درب الزيات الأعلى عن يسار المنعطف من باب الزيات لشارع باب الحديد ، ويقابل عرصة الحريشي ، ويجاور عرصة المنجور ، حدّدت مساحته حوالة هكذا ٢٣ قالة على ٢١ ، وفي داخله قبر سيدي غريب .

٢٣٧) هو في فاس الجديد اسس عام ٨١٠ ، وقد يسمى جامع الرياض ، أو مسجد السوق الكبير ، بناه عبد الله الطريفي أحد حجاب السلطان أبي سعيد عثمان الثالث بن أحمد بن أبي سالم ، وجعل فيه خزانة علمية مع الخزانة بجامع الأندلس La Mosquée des Andalus البحث العلمي ١٩٦٧ .

٢٣٨) يقابل درب الذرة من الطالعة ذكر في حوالة ٩٦٢ – ٩٧٤ ، وقد يسمى مسجد ابن غزلان .

٢٣٩) هو سيدي سليمان الغماري في حومة البليدة ، محمل على طراز بداخل عرصة مزور . وفيه قبر سيدي سليمان المذكور لكنه تهدم . .

٢٤٠) لما دخل المهدي بن تومرت مدينة فاس ، نزل فيه أولاً ، ثم بابن الملجوم ، ثم بمسجد طربانة ، ولم يبق له أثر فيما نعرف . البيذق ٦٣ - ٦٤ - ٦٥

٢٤١) هو الجامع الكبير الذي أسس سنة ٦٧٨هـ وقد علقت به الثريا يوم السبت ٢٧ ربيع الأول من السنة، وكانت زنتها سبعة قناطير و١٥ رطلاً، وعدد كؤوسها ٢٨٧. وقد أدخل عليه مولاي الرشيد اصلاحات مهمة، منها العنزة، وقد كان فيه كراسي أربعة، وخزانة. مجلة البحث العلمي، عدد مايه ١٩٦٧ ص ١٨١، Les Mosquées de Fez. - راجع صفحة ٣٩٩ وصفحة ٦٨٤ من هذا التأليف.

٢٤٢) المقصود زاوية سيدي عبد القادر الفاسي التي بين دار الدبغ الرصيف وبين بداية القلقليين ، عليها أوقاف كثيرة ، وقد ادركنا فيها كرسياً للعلم . . .

٢٤٣) كان معدوداً من المساجد الخربة يمين الطالع لناحية باب الفتوح ، وقد أعطت حوالة قديمة مساحته ٢٦ قالة على ٢١ ، وقد أعاد المغفور له محمد الخامس بناءه .

٢٤٤) هو في ناحية قنطرة بوروس ، وفيه كرسي علمي . وممن عرفنا من أساتذته الشيخ ابن عبد الواحد الذي كان يحضر في الوقت نفسه مجلس ابن رشيد شرقي صحن القرويين بين الظهر والعصر . الجذوة ص ٣٤١ .

٢٤٥) يتصل بالسقاية التي في أعلى زقاق الرمان (العبدرحمانية) .

٢٤٦) بناه المولى اسماعيل ، ومما وجد في حوالة العبد رحمانية - الدرر الفاخرة ص ٤١ .

٢٤٧) هو في حومة درب الشيخ ، وهو من الأمكنة القديمة جداً بالمدينة ، يقابل مسجد الشرادي من ناحية درب الدرج . جني زهرة الآس ص ٢٤ .

٢٤٨) الفيلالي هو سيدي مسعود الفيلالي ، ومسجده في حومة البليدة ، وربما سمي مسجد درب الصيفر ، أو الأصيفر .

٢٤٩) هذا مسجد حديث ، وهو زاوية برأس الجنان ، يجتمع فيها الفقراء التابعون للشيخ الكيلاني صاحب بغداد .

٢٥٠) وجدنا ذكره في حوالة ٩٧٤ هـ ، فهو قديم الا أننا لم نهتد الى موقعه .

٢٥١) هذا المسجد في الطالعة بدرب أهل تادلة أسفل كوشة ابن حامد « العبدرحمانية » .

٢٥٢) هو سيدي عبد العزيز القروي ، كان في الزنجفور ، يجاور عرصة الجمايدي وجسوس ، ومساحته بالتقريب ٣٢ قالة على ١٦ ، ويظهر أنه تهدم واختفى ، وكان فيه كرسي ، عليه أوقاف ، كما كانت هناك أوقاف على إنارته .

٢٥٣) هذه القصبة بناها الناصر الموحدي على مقربة من باب الشريعة سنة ٥٨٧ هـ ، أو سنة ٦٠٠ ، وفيها كان يقيم بنو مرين في أيامهم الأولى قبل أن يشيدوا فاساً الجديدة ، ويظهر أنه كانت له أهمية كبرى في الأيام الأولى ، ويظهر أن هذه القصبة كانت بجوار جامع بوجلود . وليست هي (قصبة النوار) التي شيدها العلويون . وله كرسي ، وقد ورد ذكره في حوالة ٩٧٤ . الاستبصار ص ١٨٠ - ١٨١ - جني زهرة الآس ص ٤٣ .

٢٥٤) هذه هي قصبة النوار التي يتضح أن العلويين هم بناتها . أما القصبة التي تحدث عنها صاحب الاستبصار وجني زهرة الآس فكانت في العهد الموحدي

٢٥٥) هذا مسجد كان السلطان المولى عبد العزيز أنشأه في آخر أيامه في حدائق ابي الجنود ، التي كانت في قصر البطحاء التابع للقصور الملكية . وقد تحدث لي والدي عن ظروف بنائه ، فقال : إن البناء تم في ظرف شهر تقريباً ، لأن العاهل مولاي حفيظ كان يعتزم أن يحيي فيه ليلة القدر هذا ولما حاولت الإقامة العامة الفرنسية أن تطمس معالمه ، أصدر المولى يوسف ظهيراً يثبت فيه وجود المسجد ، وكان هذا مما نبه الوطنيين لإعداد عريضة احتجاج في ذي القعدة ١٣٥٢ هـ ، مارس ١٩٣٩ م ضد السطو على بعض المساجد .

٢٥٦) قريب من مسجد سيدي بوعلي السالف ذكره ، يسرة الداخل الى الزنقة المتصلة بعرصة ابن بكار المرور فيها الى وادي الزيتون ، وما زال به أثر صومعة ، وهو متهدم .

٢٥٧) هو الجوطية التي تباع فيها الخضراوات حالياً ، وبجانبه سقاية وميضأة .

٢٥٨) مسجد القفصي في درب العقبية بزقاق البغل ، انتقل اليه في بعض الظروف الأخيرة مقر المدرسة الإسلامية ، وقد كانت في مسجد بوجعدة ، وفي هذا المسجد ميضأة وصومعة ، وهو قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ ، وقد نعت بأنه في سيد الكهف ، لأنه كان يجاور مسيداً « كتاباً » سطا عليه الشيخ الكتاني ،

وجعله في جملة زاويته ، ورد ذكره في الحديث عن جزاء غرزقناطر ثلاثة من ساباط دارالسلاوي في الغارب الأيسر من مسجد القفصي .

٢٥٩) هذا المسجد في جوارضريح سيدي حساين القوّاس ، ولم يوقف له على حبس ، ولعله المسجد المعروف أيضاً باسم الغدير .

٢٦٠) في وسط القلقليين ، وهو المقابل للفران ، عن يمينك وانت تدخل الى القلقليين من جهة بوعجارة ، ينزل اليه بثلاث درجات ، وقد يسمّى بمسجد الشبربي ، أو المسجد الوسط . فيه خزانة كتب .

٢٦١) يسمى المسجد هذا مسجد الشعيرة ، لأن به ضريح الحاج الشعيرة .

٢٦٢) يعرف أيضاً باسم جامع النارنجة ، أو جامع الغزال . . . نارنجة على ساباط ؟

٢٦٣) هذا المسجد في الدور الجدد في أقصى القلقليين ، ويعرف أيضاً باسم الأبهري ، أو الخيضر . ومن الملاحظ أن القلقليين غنية بالمساجد .

٢٦٤) يميز هذا المسجد بمسجد سيدي حمّو الراموش ، وهو حديث على ما تقول الحوالة العبدرحمانية .

٢٦٥) مسجد قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٢ . ورأس القليعة هي في جهة سيدي علي بوغالب (باب الفتوح) .

٢٦٦) هو جامع الزليج أو الزليجة نفسه بالرصيف الأصغر الذي يعرف اليوم برحبة التين ، وممن كان بيده الحاج احمد بن سليمان . كان فيه كرسي ، وخزانة كتب . Les Mosquées de Fez

٢٦٧) قديم منذ حوالة ٩٧٤ ، والمكان في بداية الطالعة الكبرى .

٢٦٨) هو في أعلى زقاق الرمان يسرة المار الى ناحية الشرشور ، وهو قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ . كان يتصل بعرصة ابن عمرو ، ويقابل عرصة ابن الصغير ، ويظهر أنه غير مسجد درب بن شروال .

٢٦٩) مسجد قديم ، ورد ذكره في حوالة ٩٧٤ ، وأغلب الظن أنه قيس الاشبيلي ، ويعرف اليوم برحبة القيس .

٢٧٠) في درب الشيخ بمصمودة ، وقد يسمى مسجد الحجاج ، وهو غير مسجد الحجاج بأسفل زقاق الحجر .

٢٧١) قديم ، وقد ورد بحوالة ٩٧٤ من غير تحديد موضع له .

٢٧٢) هذا المسجد هو المعروف بمسجد الإجاصة ، كان بباب الزنجفور ، قالت إحدى الحوالات : إن طوله ٢٨ قالة من الجهة السفلى ، ومن العليا ٣٢ ، وكان ذا بابين ، تعرف له أوقاف بلغت ٢٧ حظًا .

٢٧٣) القصد الى المسجد المحمل على الساباط قبالة درب الحمام ، وهو قديم ، وجدد .

٢٧٤) هذا مسجد ثان بكرنير ، يظهر أنه هو الذي في أعلى عقبة كرنير مقابلاً للطالع قبيل المنعطف .

٢٧٥) في حومة الجزيرة ، كان من المحبسين عليه الحاج المهدي الرندة .

٢٧٦) هذا مسجد يصعد اليه بدرج ، في بداية رأس التيالين ، وينسب الى الشيخ القطب عبد القادر الكيلاني شيخ بغداد ، وفيه كان أنصار الطريقة القادرية يجتمعون للذكر ، وقد يسمّى خلوة مولاي عبد القادر ، وقد سجلت لها الحوالة العبدرحمانية عدداً مهماً من الأوقاف يبلغ تسعة وعشرين حظًا ، وهذا يدل على ما كان للطريقة القادرية من أتباع هنا ، هذا علاوة على زاوية القادريين في رأس الجنان ، ومن المعلوم أنه وردت من بغداد بعثة من الشيخ الكيلاني الى عليّ بن أبي الذئاب . وفي هذا المسجد كرسي علم ، وخزانة كتب . السلوة ١ ص ٢١٩ — ٢٨٤ .

٢٧٧) هو سيدي محمد اللزاز الذي بسوق القصر فوق المدرسة العنانية ، وهو الذي يقصد الناس الى القَسَم فيه أعتقاداً منهم بأن الذي يحلف فيه على الغموس لا بدّ أن يصاب بسوء ، وفيه كرسي علم . ومن الذين حبسوا عليه السلطان المولى اسماعيل الذي وهب له فندقاً بكامله .

٢٧٨) اسم غريب ، والمسجد في داخل درب سيدي أحمد الشاوي الذي كان سكنى لسيدي جعفر العمراني من شيوخ النظر ، وقد كان كتاباً في الأيام الأخيرة ، وهو غير مسجد ماشان بزقاق الحجر .

٢٧٩) هو جامع زقاق الحجر الذي يقابل الدكاكين هناك مجاور للدرب الذي ينفذ الى كرنيز ، فيه خصة من رخام ، بابه تجاه المحراب ، وله صومعة ، ارتفاعها ١٤ متراً وهو قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ ، فيه خزانة كتب وكرسي .

٢٨٠) هذا مسجد سيدي علي بن محسود ، أومسجد النواعريين ، عليه عدد من الأوقاف ، وهومذكورمنذ حوالة ٩٧٤ .

٢٨١) سيدي محمد المخفي ، بالكدان ، وفيه كرسي .

٢٨٢) في الدرب الجديد من الحومة ، وهوزاوية سيدي يوسف الفاسي . له كرسي ، وقدكان في العهد السعدي بيد الشيخ سيدي الحسن الزياتي الذي كان تلميذاً للقاضي الحميدي ، صار في بعض الأوقات الى يد سيدي عبد الله الفاسي : مرآة المحاسن ص ٤١ .

٢٨٣) مسجد مدرسة الخصة ، والقصد الى المدرسة المصباحية ، وعددناه من المساجد ، لأن قاعته مهيأة للعبادة . وكان فيه – على صغره – مجلسان .

٢٨٤) هوالذي قبالة الداخل للمدرسة المذكورة ، وفيه ثلاثة مجالس ، وكانت به خزانة كبرى .

٢٨٥) هو داخل المدرسة قرب جامع الأندلس ، وفيه ثلاثة مجالس ، وخزانة للمخطوطات .

٢٨٦) هو داخل المدرسة وفيه مجلسان ، وكانت فيه خزانة قبالة المحراب .

٢٨٧) هو داخل المدرسة البوعنانية ، وفيه أربعة كراسي ، وخزانة علمية ، وكان عليه قيّم .

٢٨٨) هو داخل المدرسة ، وفيه كرسي واحد .

٢٨٩) هو المسجد الصغير الذي بزقاق الحجر ، قبالة درب أكومي ، حيث كانت دار التازي التي أشتريت من أكومي ، وهو اشتراها من أبي جلون ، وصارت الى أبي جلون من الفقيه سيدي علال بن جلون . . والمسجد في حوالة بتاريخ ٩٧٤ .

٢٩٠) هذا في الرميلة في حومة الكدان ، وربما سميّ مسجد ابي يعزى . ومما يتعلق به التنبيه على أنه غرزت بمحرابه رخامة أشادت بالعلامة أبي عبد الله الدقاق السجلماسي شيخ أبي مدين المتوفي (أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع) ، دفين خارج باب عجيسة ، لكن هذه المرمره التي كانت مغروزة بجدار روضته هناك نقلت لما سقط الجدار الى مسجد أبي مدين من حومة الرميلة خوفاً عليها من الضياع ، خلافاً لما يعتقده العامة من أنه دفين الرميلة .

السلوة ٣ ص ١٠٢ – ١٠٣ – ١٠٤ « العبدرحمانية » .

٢٩١) في مهبط زقاق الرمان ، قريب من مسجد أوضريح سيدي عبد الله يزرورمن المساجد التي تشتمل على مسكن للمؤذن . « العبدرحمانية » .

٢٩٢) هو مسجد درب السعود نفسه بباب درب السعود ، له كرسي .

٢٩٣) هو زاوية مجاورة لمسجد الغازيين برأس الشراطين .

٢٩٤) هو على يمين الداخل من الباب للمدينة ، صومعته متهدمة ، وليس هو مسجد ساباط باب المسافرين ولا مسجد شهبون فيما يظهر. جني زهرة الآس ص ٧ .

٢٩٥) هو الذي يسمى المزالي أيضاً ، وهو بأعلى عقبة الزعتر . ويظهر لي أنه غير مسجد ابن عباد .

٢٩٦) هو بباب درب النواعريين المتصل بعقبة الزعتر ، وفيه ضريح سيدي المطرفي .

٢٩٧) هو مسجد سيدي العربي بن المعطي بالنواعريين (راجع مسجد ابن يحيى) .

٢٩٨) حمل على ساباط درب ابن عتيق . راجع المسجد المعلق بدرب الحرة ، ومسجد درب ابن عتيق .

٢٩٩) هذا محمل على بيتين للحبس ، وهو أسفل فندق عشيشة درب الحرة .

٣٠٠) محمول على دار الوضوء ، قبالة درب العلوج . وقد حدد بأن طوله ٢٠ قالة .

٣٠١) هذا غير مسجد الشيوبة ، ولكنه قريب منه . « العبد رحمانية » .

٣٠٢) أحدثه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بجانب الحرم الإدريسي عام ١٢٤١ ، يُقيّم فيه أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش في الفترة التي يزورون فيه مدينة فاس ، وعليه ١٩ ربعاً وقفاً ، وإنما يسمى بالقلقلة لأن صلاة الجماعة فيه تسبق الحرم الإدريسي بالنسبة الى الذين يستعجلون .

٣٠٣) هو في فندق اليهودي ، غير بعيد من السقاية هناك ، ولا ننسى أن عقبة المكودي في القديم تعني الطريق يمنة الخارج من دار الدبغ الرصيف في

اتجاه وادي الشرفاء .

٣٠٤) هوزاوية سيدي حمدون بن الحاج ، بدرب الحرة ، قبالة زاوية سيدي محمد بن علي التهامي له كرسي .

٣٠٥) لمّا نزل المهدي ابن تومرت بفاس ، دخله بعد مسجد الغنام ، ثم منه الى طربانة . لم يبق له أثر . البيذق ص ٦٣ – ٦٤

٣٠٦) هو المكان الذي فيه ضريح سيدي عبد الرحمن المليلي برحبية ابن زروق ، ولا بد أن للمليلي صلة بالمليلي الوراق ، وقد كان هذا المكان من فروع القرويين المعروفة . حضرت مع والدي كثيراً بعض الدروس التي كان يلقيها هنا بين العشائين الشيخ سيدي الحسين العراقي . وبالمسجد كرسي ، عليه أوقاف .

٣٠٧) في يسار الخارج من دار الدبغ كرنيز ، وفيه كرسي لقراءة العلم .

٣٠٨) ذكرته حوالة ٩٧٥ في محاصّة الزوايا ، ولم نهتد لموقعه .

٣٠٩) يقع بآغلان من أقصى الدرب الطويل ، وهو غير مسجد أغلان . البحث العلمي دجنبر ١٩٦٨

٣١٠) هو في حومة الأقواس ، ويسمّى أيضاً مسجد مولاي عمر بن عبد الرحمن الأمراني ، لأنه كان إمامه فيما يظهر ، وإلا فهو جميع مع الشريف المولى عبد المالك بوطالب في مشهد سيدي علي بوغالب ، وله كرسي كان في وقت من الأوقات بيد سيدي أحمد سكيرج . الذيل والتكلة ٤ ، مصور بالخزانة العام رقم د / ٢٦٤٦ .

٣١١) هو في باب عرصة ابن يحيى في أقصى فندق اليهودي قرب ضريح سيدي منصور بوحفرة ، فيه كرسي .

٣١٢) هو مسجد الكدان نفسه . أضيف الى صومعته بعض العلو لتتمكن من رؤية منار القرويين كسائر المساجد ، وتقول الحوالة العبدرحمانية إنه مسجد حديث ، وقد كان فيه كرسي علم وخزانة .

٣١٣) هذا اوردته الحوالة العبدرحمانية ، وهو في زاوية الشارع الرئيس للبليدة .

٣١٤) هذا المسجد في وسط درب الطويل .

(٣١٥) لم نهتد لموقع هذا المسجد .

٣١٦) هو مسجد سيدي أحمد بن ناصر الذي يقع بوطا فرخانة مقابلاً لدرب ابن زيان ومسجد سيدي بوعليّ ، فيه كرسي .

٣١٧) هو مسجد سيدي عبد الرحمن التالي بالمعادي ، وقد يسمّى مسجد ابن بياض .

٣١٨) ذكر في حوالة ٩١٥ منذ أيام الوطاسيين ، ولم نهتد لموقعه .

٣١٩) هذا المسجد في العدوة كما تقول حوالة ٩٧٤ . ولكن الاسم اختفى في حوالات أخرى ، ولم نهتد لمعرفة وجه هذه التسمية : نصف الامير . . .

٣٢٠) يقع داخل درب سيدي العواد ، وقد يعرف باسم سيدي العواد . السلوة ١ ص ٣٠٧ .

٣٢١) مسجد الهبطي ، في أول الطريق التي تربط بين السياج وسويقة ابن صافي التي تسمّى قديماً وطا فرقاجة متصل بالرحى التي هناك ، له بابان : أحدهما رئيسي قبالة الطريق المؤدية لسويقة ابن صافي ، والآخر مقابل لجهة الدوح ، ودار وضوئه منفصلة عنه ، وربما سميّ بالمزلجة . وهو غير مسجد قيمة ويشترك مع مساجد أخرى في الأوقاف : مساجد سيدي الخياط الثلاثة ، ومسجد بني يزناسن بأعلى عقبة السبع ، فيه كرسي وخزانة كتب . وأظن ظناً قوياً أن الامام الهبطي (ت ٩٦٣ هـ) كان يلقي دروسه هنا ، أما المسجد فيرجع تاريخه الى أيام بني مرين . الاستقصا ٥ ر٨٧ – السلوة ٢ ص ٦٧ – ٦٨ – ٦٩ (العبدرحمانية) .

٣٢٢) نسبة الى روضة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن الهزميري التي أصبحت داخل باب الفتوح مدرسة مقصودة ، تتمتع بزهاء سبعين عقاراً وقفاً على الطلبة ، راجع الحديث في القسم الأول من الكتاب عن مدارس المرابطين .

يرجع الى عهد بني مرين أيضاً ، وهو في بداية الدرب الذي ينفذ الى حمام سيدي أحمد الشاوي ، له كرسي وفيه خزانة .

٣٢٤) ربما نطق به العوام الزحون ، وهو بين البليدة والعشابين .

٣٢٥) هو المسجد المعلق هناك قرب زاوية سيدي عبد القادر الفاسي .

٣٢٦) هوزاوية سيدي احمد بن يحيى نفسها . يقع في حومة فندق اليهودي بداية عقبة الزعتر ، وكانت فيه خزانة كتب .

٣٢٧) خرب ، يقع وسط عقبة الزعتر متصلاً بفندق يمنة الطابع لباب عجيسة ، ويقابل وجه الآتي من ناحية النواعريين .

٣٢٨) هو مسجد سيدي عبد الله يزرور في زقاق الرمان ، قريب من مسجد المرنيسي .

٣٢٩) هذا المسجد بأعلى عقيبة السبع ، والرحبة المجاورة له كانت تسمى رحبة بني يزناسن ، وفي المسجد كرسي علم ، وعليه أوقاف .

٣٣٠) اسم غريب . وقد حددته بعض الحوالات بأنه في بني شروال في أعلى زقاق الرمان .

٣٣١) هو بالبليدة ، وهو غير أبي يعزى الذي في حومة الرميلة (العبدرحمانية) .

٣٣٢) قرب فندق عشيشة الذي يقترب من سقاية عشيشة القريبة من ملجأ الأيتام سابقاً بالطالعة . له كرسي .

٣٣٣) لعله هو زاوية سيدي يوسف بدون (ابن) ، في المخفية تجتمع فيها طائفة الحمادشة ، أصحاب سيدي علي بن حمدوش الذين كانوا يُطبّرون رؤوسهم في الأزمان الغابرة بأطراف الشواقير ، (انظر حول حمادشة Hes 1923-2 Trim)

٣٣٤) هذا المسجد في درب السراج في رحبة القنديل ، وهو قديم ، ذكر في حوالة ٩٧٤ ، ويظهر أنه غير مسجد سيدي السراج .



الفصل الثالث

الحوالات الحبسية

إصلاح الأوقاف على عهد القرويين - طائفة من الحوالات الوقفية

نظارة الأوقاف - فاس من خلال وصف حجج الوقف

أوقاف القرويين على عهد العلويين

لقد كان ظهور الدولة العلوية عاملاً قوياً على الالتفات الى هذا الجهاز المهم الذي تعتمد عليه الدولة لتكوين مختلف اطرها السياسية والقضائية والتوجيهية اضافة الى ما يجده المؤمنون فيه من ملاذ يأوون اليه عند الاضطرار.

والى السلطان الجليل المولى الرشيد يرجع الفضل الأعظم في احياء سجل الأوقاف في المغرب الأقصى ، فان ما مر بالبلاد من ازمات متوالية بعد عهد بني مرين واواخر ايام السعديين ، كل ذلك شوه من سجلات الاوقاف وقلصها ، ومسخها . فقد استبد بعض بما تحت يده ، وغضَّ هذا الطرفَ عن ذاك .

وبالرغم مما تحمله المولى الرشيد من عناء في سبيل هذا الاحياء ، استطاع بعزمه ان ينقذ املاك القرويين ويعيدها الى مصادرها الاولى بمساعدة الناظر السيد مسعود الشامي(1) .

ولهذا نرى السلطان المولى الرشيد يقوم بجولة مهمة في املاك الاوقاف في سبيل تحديد كامل لكل ما تتوفر عليه هذه القرويين التي كان مدينا لها في ايام دراسته .

* * *

ومن اهم الاصلاحات التي ستظل مبرة لا تنسى في عهد السلطان المولى اسماعيل ، وتعد الخطوة العملية بعد الاصلاحات التي عرفها العهد المريني بصدد ضم سائر المساجد الى أوقاف القرويين قيامه بتشريع الاصلاحات السابقة واقرارها وهوما يمكن ان نقرأه من خلال الفتاوى التي صدرت عن كبار العلماء على عهده فقد ورد في الأجوبة الكبرى للشيخ عبد القادر الفاسي (ت ١٠٩١) لما سئل عن وجه ضم احباس المساجد والمدارس الى الجامع الأعظم : القرويين ، وجعلها جميعها الى ناظر واحد « ان ذلك بناء على ان ما كان لله فانه يجوز صرف بعضه في بعض » .

لقد كان من رأيه ان ضم الاوقاف بعضها الى بعض له وجهة من بُعد نظر لان ذلك التركيز من شأنه ان ينصب على الاوقاف جميعها حراسة دائمة ساهرة على النظار والشهود ليلاً تطول على الوقف السنون تحت اشراف افراد قد يدعون ملكيته كما وقع فعلاً في عدد من العقار الموقوف ، وبعد هذا قيام السلطان المولى اسماعيل لاول مرة في تاريخ الاوقاف بتدريس سجلات الاوقاف على اساسين : الاول ما تمحض لجانب القرويين والعلماء والطلبة والسير المادي للجامع من حيث إنارته وسقيه وفرشه ، والثاني ما تمحض لاعمال البر والاحسان ، مما يمكن ان يدرج في اوقاف « المارستان » .

منذ تأسيس المارستان في فاس على ما اسلفنا ، تنبهت مختلف الفئات الى اهمية هذا الجانب الذي يعني بالانسان المعذب ، الانسان المحروم ، ومن ثم أخذت تتبارى في ابتكار وجوه المعروف لتحبس عليها من اموالها .

وهكذا عمد الاصلاح الجديد الى تقسيم الرباع فميز بين ما يكفي لسير القرويين وجعلت له حوالة خاصة وما يفضل عنها ويصرف في المشاريع الأخرى ، وجعلت له حوالة بعنوان اوقاف المارستان.

وقد تم هذا باشراف كل من قاضي المدينة ابن ناجي ، وقائدها أبي عليّ الروسي ، وكانت الميزة الوحيدة التي

لسجل القرويين على سجل المارستان ان الدولة عدّت الاول بمنزلة وثيقة تضم أيضاً التزامات الملوك والمسؤولين فيما يمس التبرعات والعطاءات الموجهة مثلاً الى الديار المقدسة .

كما وان من الاصلاحات التي اقرتها تلك الحركات العمل بمبدأ كراء الرباع على أساس المزايدة العلنية ، لا على اساس الاتصالات المباشرة بين المؤجرين والقابضين(٢) ، وقد حرص السلطان المولى عبد الله على اتباع نهج والده المولى اسماعيل في متابعة النظار ، وجعل الاشراف عليهم من خصائص ناظر النظار ، وتحتفظ اضابير الدولة العلوية بوثائق مهمة في الموضوع ، نُشير منها بصفة خاصة الى الظهير الذي يجدد لابي القاسم المسطاسي ما كان عليه من النظارة في أمور الأحباس ، في جميع الاقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر ، ويوصيه ان يكون مثلاً لسائر النظار الذين يحاسبهم (٣) .

وقد كانت « النظارة » على الاحباس في القديم من أشرف ما تطمح اليه الانفس ، ولا يختارلها الا شديد الشكيمة في الدين ومدافعة المعتدين ، لا يبالي بالخلق ، في مضايق الحق ، يعدل في القسمة ، ولا يمنع مستحقاً ، بما في ذلك أداء الزكوات المستحقة .

ولأهمية وظيفة الناظر ، نجد القضاة انفسهم يتقلدونها بل ان التاريخ ليسجل ترقي الشخص من الوزارة للنظارة (٤) . فكم من شيخ عظيم قدم لها في القديم ، من امثال المزوار المشرف على بناء مدرسة العطارين ، والمزدغي المشرف على المدرسة المصباحية ، وابن الاشقر المشرف على مدرسة أبي عنان ، وأبي شامة محمد بن ابراهيم المشترائي الدكالي ، وشيخ الاسلام أبي عبد الله القصار القيسي ، وابي الفضل عبد الوهاب بن أبي حامد العربي بن أبي المحاسن الفاسي . . وامثال الشيخ العربي بردلة الفاسي . . .

° ° °

وقد كانت مقصورة الخطيب هي بالذات المكان الذي تجتمع فية هيأة المشرفين على الاوقاف بما فيهم الناظر والمكتبة والقبضة والاعوان ، ونحن نعلم ان مستودع الاوقاف كان اول الامر في شمالي شرقي القرويين ، وقد ورد في ترجمة أبي الجمال الفقيه طاهر ابن عبد السلام بن الطيب القادري الفاسي المتوفى سنة ١٤٢ هـ « قلد خطة الشهادة بمقصورة القرويين . ولا زال ناظر الاحباس او نظارة يجلسون فيها بعض الاحيان (٥) » .

الحوالات العلوية

اما حوالات الدولة العلوية فان اولها حوالة سيدي محمد الاول عام ١٠٥٢هـ ، ويلاحظ ان التقييد كان يعتمد على اواقي النقرة وكسورها ، كما يلاحظ خلوّ دكاكين السماط من اسماء العدول . ثم حوالة ١٠٥٨ تشتمل على زمام للأكرية ايضا عن اذن الناظر الفقيه ابي محمد عبد الوهاب بن الفقيه العربي الفاسي .

وحوالة ١٠٥٩ كانت مكتوبة على رق الغزال ، وما يزال الناظر هو نفسه في السنة السابقة ، ويلاحظ ان اسماء العدول اخذت تظهر الى جانب دكاكين السماط ، ويدل ذلك على ان المدينة اخذت تسترجع هدؤها ، وتنسى الفتنة التي تميزت بها اواخر ايام السعديين .

وحوالة ١٠٧٥ عهد المولى الرشيد وقد امسى الناظر هومحمد العربي بن الشريف سيدي محمد الشفشاوني ، وكاتب الحوالة هومسعود بن عبد القادر الطليط الذي كان دكانه هوالسادس عن يمين الخارج من باب القرويين (الشماعين).

وحوالة ١٠٧٩ نلاحظ فيها ان الكتاب اخذوا يبدؤون في عد حوانيت سماط العدول من التي توجد يمين الخارج من باب القرويين المقابل لسوق الشماعين ، وكانوا يبدؤون يسار الخارج من السوق ، وقد ترك مكان اسم الناظر بياضا ، ونعتقد انه المصلح الكبير النزيه سيدي مسعود الشامي .

وحوالة ١٠٨٠ كان الناظر المشرف عليها هو ابا سالم ابراهيم بن الحاج محمد مسامح الاندلسي المكناسي .

وحوالة ١١١٥ كانت هي الحوالة الاسماعيلية [٦] التي تمتاز بما لم تسبقها اي حوالة قبل من حيث مقياسها ومسطرتها ومن حيث ضبطها واتقانها .. وقد تميزت كذلك بما كتب في صدرها وماكتب في خاتمتها من وثائق مفيدة ، من شأنها ان تشعر بتحديد البداية والنهاية ، وقد كتبت – ولاول مرة – في نسختين مكررتين زيادة في الاحتياط لما عساه يحدث .

كانت مسطرتهما معا ٣٨ على ٢٦ ، وهما لا يكادان يختلفان الا في بعض اسماء العدول الذين استأثرت بهم رحمة الله ، وقد ورد اسم القاضي محمد العربي بردلة ، واخيرا القاضي احمد بن محمد ناجي ، وورد كذلك اسم القائد عبد الله الروسي والناظر عبد الوهاب حجاج . ومما جاء في مقدمة الحوالة :

« ولما بنى نصره الله وغرس ، وقعد واسس ، توجهت وجهته وجهة حذر وتحرّ وتوخّ وتبرّ ، للنظم في جملة الأحباس . فراى أيده الله وأرشده أن يعين على ذلك خديمه وأمينه المغتبط بخدمة البساط المولوي والقائد ابا محمد عبد الله الروسي ، فقام بأمرها واجتهد ، فمنها ما هو لاعانة الفقهاء والمدرسين ، ومنها ما هو للمرابطين بالثغور والمجاهدين .. ومنها ما هو على الخطباء الواعظين ، ومنها ما هو لتعليم الصبيان وتكتيب المبتدئين ، ومنها ما هو لتنبيه المصلين لتعديل الصفوف بجامع القرويين ، ومنها ما هو طعمة للفقراء والمساكين ، حتى جمعها الجمع الكامل الشامل ... الخ » .

وقد جاء بعد كل فصل من الحوالة : الحمد لله ما ذكر أعلاه تحت ترجمة كذا هو من أوقاف الجامع الاعظم : جامع القرويين المذكورة والمنصوصة بحوالاتها القديمة والحديثة ، ومما هو فخور بحوزها ومحترم بحرمتها وتحت نظر ناظرها وتصرفه بالاصلاح وعقد الكراء وقبضه وسائر التصرفات الوقفية كلها ممن علم ذلك وتحققه قيده مستدعي منه أواسط ذي القعدة عام خمسة عشر ومئة وألف ، ويظهر طابع الجدية التي ميزت العهد الاسماعيلي لضبط ميزانية الاوقاف بما كان يصدر تقريباً كل عام من محاسبات على النقير والقطير في كل مرفق من مرافق القرويين : المساجد والمدارس والزوايا . [٧]

وقد عرفنا عددا من القباض على هذا العهد ممن كانوا يشرفون على الواردات [٨] كما وقفنا على عدد من أوجه الوقف التي فوض النظر فيها أحياناً للقاضي واحيانا للمفتي [٩] .

وقد اهتمت الحوالة الإسماعيلية عند ترتيبها بالتمييز بين الرباع الموقوفة على جامع القرويين باعتبارها مسجداً وجامعاً للفقهاء والعلماء والطلبة ، وبين الرباع الموقوفة على المارستان باعتباره مبرة تخصص الاوقاف فيه على سائر المشاريع التي تقصد بصفة خاصة النواحي الانسانية كما تقدم .

ثم حوالة ١١٤٢ أيام السلطان المولى عبد الله (الولاية الاولى). وقد تمكنا من الوقوف فيها على نشاط الناظر السيد أحمد بن محمد قصارة الذي أمره المولى عبد الله باحصاء شامل لما كان في المستودعات والمخازن بالقرويين : مخزن الزيت ومخزن الحصور [١٠] .

وتتضمن « الحوالة العبدلاوية » لائحة مهمة للمخطوطات التي اهداها للقرويين السلطان المولى عبد الله (في ولايته الرابعة) في ٢٢ شهر رجب ١١٥٦ هـ [١١] .

أما حوالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) فقد كانت حوالة جده المولى اسماعيل احتفظ بها تبركاً وتادباً ، وكان يضيف اليها ما تقضي الحاجة باضافته ، كالتزاماته للحرمين واهل الحجاز ومصر والاسكندرية وللشيخ احمد زروق بمصراته من ليبيا ومن المعلوم أن هذا العاهل قدم للقرويين أيادي بيضاً في مختلف المجالات [١٢] .

ثم حوالة ١٢١٩ السليمانية مقياسها ٤٠ على ٢٨ ، وتعد من أجمل الحوالات القروية وأدقها ، ان لم تفقها فقد اعتنى بالأوقاف اعتناءً فائقاً حتى لتخال أن جهوده كلها صرفت في ذلك ، وقد كان الناظر على عهده السيد الحاج عبد النبي بنيس ، وتقول « الحوالة السليمانية » إنها تعتمد على حوالة قديمة من عام ٩٩٤ هكذا بالارقام العربية اوبالغباري [١٣] رسم ٣٧٨ .

وقد اهتمت الحوالة السليمانية أيضاً بالتميز بين ما خصص للقرويين وما خصص للمارستان .

ثم حوالة ١٢٤٥ للسلطان المولى عبد الرحمن ، مقياسها ٣٠ على ٣١ .. وهي بالرغم من أنها صورة طبق الأصل لما سلكه الملوك السابقون ممتاز بما أضيف اليها من مساجد وزوايا حديثة [١٤] .

وتنص الحوالة « العبد رحمانية » على مقدمة بخط جميل ، وقد جمعها على يد قاضيه مولاي عبد الهادي الحسني العلوي ، وكان الناظر آنئذ هو السيد علال الشامي .

ويلاحظ أن الناظر المذكور أحضر سائر أعيان الحوم ، فاطلعهم على اللوائح . وقد رمز لما أضيف الى الحوالات الثلاث [١٥] قبل هذه بحاء مهملة بلون أحمر علامة على كلمة « حديث الدخول ».

وقد تضمنت لائحة طريفة لعدد السوامر (الفوانيس) التي كانت توقد بعد غروب الشمس لانارة الأمكنة المظلمة من فاس مصحوبة بلائحة الموقوفات على ذلك [١٦] .

وبهذا تعد الحوالة العبد رحمانية أضبط وأشمل حوالة وقفنا عليها [١٧] .

وكما كانت حوالة فاس قدوة للمولى اسماعيل بالنسبة الى بعض المدن الأخرى ، فقد كانت كذلك بالنسبة الى السلطان محمد بن عبد الرحمن الذي أعد سنة ١٢٨٥هـ حوالة لمدينة سلا ، قال في مقدمتها : « إنه يريد أن تكون على نسق حوالة فاس الغراء .. وقد عهد للفقيه أبي بكر عواد النظر في امرها ....».

وقد تميز عهد الملك الحسن الأول بتفقد حازم لسائر أملاك القرويين ، لإعداد نسخ مكررة لأنواع العقار المحتبس عليها وقد عين خيرة الناس للإشراف على تسلم الواجبات التي بجانب الوقف ، كان منهم عدد من الأشراف الطاهريين وجماعة منهم محمد بن العربي العراقي وعبد السلام المزوار والطالب بن محمد بن سودة ومحمد بن عبد العزيز الغرديس

وأبويعز المجاصي ، وأولاد بن نعيم ، ومحمد بن رحمون ، ومحمد بن حموطاهر ، ومحمد بن عبد السلام بن القاضي وأحمد الوزير ، وعبد السلام بن أحمد الغمارشي ، وعبد الله بن عمر الفاسي ، والماواسيين ، والعربي بن إبراهيم بن أحمد ومحمد بن أحمد بن سودة .

وكذا كانت حوالة القرويين قدوة للسلطان المولى عبد العزيز فامر عام ١٣١٥هـ بانشاء حوالة لمدينة الدار البيضاء وكان لذلك معنى ومغزى لا يخفى ، فقد شعر العاهل بما تمليه ظروف « اختلط فيها الحابل بالنابل » وأصبحت البلاد مهددة بالغزو الأجنبي الذي لا يعرف حاجزاً في طريقه [١٨] .

وفي سنة ١٣٣٢هـ كانت الحماية الفرنسية قد تمكنت من فرض سيطرتها على البلاد . ولما كان السلطان المولى يوسف يستشعر القولة السائرة « اذا رأيت مالك في خطر ، فأدرك بعضه » ، فقد اتجه الى « البعض الأهم » ، ولم يكن « هذا البعض » في نظره إلا الحفاظ المطلق على عنصرين اثنين الدين واللغة .

وبهذا نفسر عنايته بالحوالات السابقة وامره بتجريدها وتجديدها ، وبخاصة الحوالة السليمانية منها وكان منه ذلك رحمه الله بمثابة إعلان عن تخوف منه لما يهدد مصير ممتلكات جامع القرويين الحارس الامين على اللغة والدين.

وبهذه الروح أصدر مرسوماً يقضي باعانة الأوقاف من ميزانية الدولة إذا ما عجزت عن أداء متطلباتها ، فان كل شيء يمس القرويين غدا مهدداً ! كما أصدر ظهيراً بادماج حبس ضريح الإمام أبي العربي في أحباس القرويين حتى لا يتلاشى من بين المقابر الأخرى هناك [١٩] .

وقد دأب عهد المغفور له محمد الخامس على الغيرة المتناهية على الأوقاف بصفة عامة ، واوقاف القرويين بصفة خاصة ، ظل يعززها ويقويها ويشد من أزرها . إن كثيراً من املاك الاوقاف التي كانت بالامس في مراكز رفيعة من المدينة العتيقة ، أضحت اليوم بعد تأسيس المدينة الجديدة والدور العصرية لا تسمن ولا تغني من جوع ، وهكذا كان دور محمد الخامس أن يقف الى جانب تلك الأوقاف ، ليطورها وينميها بما تقتضيه المصلحة العامة ، وهكذا استطاع أن يحتفظ لها بجدتها ، ويأخذ بيدها بالرغم من العراقيل التي كانت تقف في طريقه الى ان اعاد للبلاد استقلالها حيث عاد القرويين طريفها وتليدها [٢٠] .

* * *

عندما نستعرض تلك الوثائق جميعها نجد انفسنا فعلا امام عالم قائم بنفسه ، في جهازه ، موظفيه ورجاله ، معامله ومصانعه .

ان للائمة والخطباء والموقتين والمؤذنين والنظار والوكلاء والحراس والمتعهدين .. اصبح كل واحد من هؤلاء يجد بيتا يركن اليه كانما هو ملكه الخاص واصبح له اجر معين يأتيه رغدا من كل مكان : عطايا ، وصايا من كل جانب من الذكور والاناث .. اضطر وكلاء الاحباس الى تشييد نحو من عشرين معملا لصنع مواد البناء لترميم ما يتهدم او يوشك ان يتلف من املاك المسجد ، عشرون معملا للاجر كلها رصدت لاصلاح تلك الاملاك التي كانت تدر يوميا مائتي دكة على ما يقول أبي الوزان ...

وبالرغم من تسرب بعض الايدي لتلك الاملاك تارة بالتفويت الصريح ، وتارة بطريق التعويض المغشوش فقد

ضمت تلك الحوات عددا كبيرا جدا من مختلف انواع العقار بلغ في بعض الاحيان الى زهاء الاربعة الاف في داخل فاس وحدها [٢١] . .

هناك لوائح للعقار المحبس على الاسبوع الاعلى ، واخرى للاسبوع الاسفل وهذه تقييدات لجملة من الرباع المختلفة منها ما حبس على الذين يتلون القرآن بباب المحراب وبباب الرواح الوسطي وبظهر الصومعة ، وظهر خصة العين وبالمستودع الاوسط وقرب باب الصالحين ، وظهر عنزَة القرويين وتحت الثريا الكبرى ورباع اخرى خصصت لمن يقوم على تكتيب المبتدئين من المتقدمين في السن الذين فاتهم التعليم في وقت الصغر [٢٢] .

تلك الرباع التي جعلت للموقت وللمؤذنين الأربعين وقوّام الليل في منار جامع القرويين والرباع التي جعلت تحت تصرف المفتي والقاضي ، ومنها دار الثقات [٢٣] .

ثم أوقاف الكراسي العلمية ، كل كرسي على حِدَة .. الكرسي القريب من الثريا الذي كان للواعظ والارشاد ، والكراسي الخاصة بالنحو ، والخاصة بتفسير الثعالبي ، والخاصة بالفقه المقارن . والخاصة بتدريس صحيح البخاري شريطة استيعاب أقوال الحافظ ابن حجر ، ذاك قرب مصرية المفتي ، وهذا جوار باب الرواح العليا ، والثالث قرب باب الصالحين ، والرابع في مستودع ابن عباد الخ . ثم أوقاف الخزانات العلمية المرينية – السعدية – العلوية .

وقد عنيت الحوالات فيما عنيت ، بتوزيع المياه الفاضلة عن القرويين وعن مدارسها ، وعن بعض السقايات العمومية على عدد من الدور أيضاً في مقابل تعويض تستفيد منه مصالح الجامع ، وهكذا نجد فصلا خاصا بعنوان فيوضات المياه الجارية .

وقد كان للعلماء والفقهاء والطلبة من كل تلك الأموال حظ رفيع ومغر ، حتى لقد كان الفقهاء أثرى من أي موظف في الدولة .

كان في الموقوفات علاوة على سماط العدول حوانيت في سوق الشماعين والكتبيين ، وفي الفراشين[٢٤] واللحامين واللبانين[٢٥] والقيسارية ، وفيها سوق البرنس وقبة الصدّيني[٢٦] وسوق الحولي[٢٧] وسماط الحليّ وسماط الصرف والأبارين ، وحارة قيس[٢٨] وفندق ابن خنوسة[٢٩] ، وفندق الزيت[٣٠] ، وتربيعة ابن سالم[٣١] وتربيعة الكاتب ، ابن عيسى[٣٢] ، والقشاشين[٣٣] ، وسوق الديوان[٣٤] ، والقُبيب الناقص وبين السواري[٣٥] ، والقصاصين[٣٦] ، والمرقطال القديم[٣٧] ، وسويقة الأصدع[٣٨] ، وزنقة الجياد[٣٩] ، ورحبة الحاكم[٤٠] والشناكين[٤١] ، والصفارين[٤٢] القدماء ، والدرامين[٤٣] ، وساباط مسجد المهدي ابن تومرت[٤٤] ، وفندق السراجين[٤٥] ، وزقاق حلق النعام[٤٦] الأعلى ، ودربية النّصارى[٤٧] ، وحمام القلعة[٤٨] ، وحمام ارفع راسك[٤٩] ، وتربيعة مكة[٥٠] ، ومنجرة القرويين[٥١] ومعصرة الزيتون بالقطانين[٥٢] ، والأحجار[٥٣] ، ودار الشمع بالشراطين والحلفاويين[٥٤] ، والصيقليين[٥٥] ، وناحية اشنخين[٥٦] ، ورحبة التفاح[٥٧] ، وعقبة المكودي[٥٨] ، وأفران الزجاج[٥٩] ، ودار الدبغ الكبرى[٦٠] ، ومصانع الكاغد، وفندق العطارين[٦١]. وفندق مولاي بن ريسون هو (فندق النّجارين)[٦٢] والزقاقين[٦٣] ومصانع الصابون ومعامل الاجر وغابات دار بن عمرو[٦٤] وظهر المصلي والعشرات من دور الصنعة[٦٥] خارج أبواب فاس فيها ما كان بجنات جولان[٦٦] نفسها كما كان "بين ا لقناطر" منه.. هذا الى العدد الكبير من الأجزية[٦٧] في مختلف أنواع الرباع ومن شتى جهات المدينة...

تعليقات الفصل الثالث

١) ذكر الزياني في الفية السلوك انه اقترح على المولى الرشيد منذ البداية اسم الفقيه مسعود الشامي يكون مشرفاً على الاوقاف .

٢) حدث في بعض المزايدات ان شغَّب احد المتزايدين على زميله ، ليثقل كاهله ، فاخذ يزايد عليه ، ثم انسحب تاركاً العبء الثقيل على صديقه . ولما شكا هذا للناظر ما وقع عليه من حيف مقصود لارهاقه ، تدخل الناظر ، وبعد استشارة مع شيوخ النظر أسقط عن ذلك المكتري ربع اوقية من كل شهر ، راجع حوالة عام ٩٠٩ .

٣) الاتحاف : ٤ ر٤٨١ – الطنجاوي ، مجلة المغرب ماية ١٩٦٣ .

٤) ظل العمل حتى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن على ان النظر في امر الأوقاف يرجع الى القاضي الذي هو نائب عن جماعة المسلمين ولا دخل فيه للمخزن الا من جهة « شد العضد » على حدّ تعبير ظهير ملكي بتاريخ ٣ جمادى الأولى عام ١٢٩٠ . الاتحاف ٣ ر٣٦٦ .

٥) عثرنا في حوالة ٩٨١ على ما يفيد ان محل الناظر كان في الحانوت رقم ٥ يسار الخارج من باب الموثقين ثم صار بعد مقصورة الخطيب ، وقد صار محل النظارة فيما بعد بالقطانين لموضع يعرف بالمنجرة ثم اصبح بمكان كان منذ اعوام يعرف بدار بوعلي (الرومي) من حومة زقاق البغل .

٦) لم يقتصر اهتمام السلطان المولى اسماعيل على الحوالة الوقفية لجامع القرويين ولكنه رأى فيها مثلاً يحتذى لسائر المساجد الكبرى في المدن الهامة ولهذا نراه يأمر بكتابة حوالة مكناس اواسط شعبان ونراه يخصص حوالة لفاس العليا في نفس هذه السنة وهي ولو انها ضعيفة لكنه لا تخلو من فائدة وقد كان كاتبها محمد بن محمد الكاتب ومن الطريف فيها الحاق المدرسة العنانية بفاس العليا كما سبق ان قلنا في بحث المدارس ، البحث العلمي يناير ١٩٦٥ ص ١٠٠

٧) من ذلك المحاسبة التي أنشأها العربي بن أحمد بردلة المقدم للنظر في جميع الأحباس مع الطالب الاجل عبد السلام بن أحمد الغمارشي .

٨) كان من هؤلاء الحاج عبد القادر فنجيرو ، والسلوى الأندلسي ، والحاج أحمد عرشون ، وعبد العزيز البادسي .

٩) من ذلك عدد من الربع الموقوف على الطعام الذي يوزع على الضعفاء في الأشهر الحرم .

١٠) بالرغم مما جرت به العادة في بعض الأضرحة من الفرش بالزرابي ، احتفظت القرويين دائماً بطابع التقشف الذي ينبغي أن تتميز به المساجد ، وقد اقتدى بها سائر مساجد المغرب ، وظل الحصير شعار الجامع .

١١) كان منها المصاحف العديدة ، ومنها مصحف في مجلدين بربيعة ، وعدد من التفاسير والحديث والسير والتصوف والوعظ والفقه والاصول واللغة والقراءات والنحو والبيان والمنطق وفهم الكلام . . وقد كان من كتب الطب بها كتاب (عمل من طب لمن حب) لابن الخطيب ، والجزء الاخير من التذكرة للانطاكي ، وتأليف الطب لمحمد الصنهاجي ، والقانون لابن سينا في الطب ، مع تأليف له في الفلاحة ، وكتاب الذيل في أوصاف الدواب والخيل ، الى كتب اخرى .

١٢) لقد كان في أهم ما تميز به السلطان سيدي محمد بن عبد الله جرأته على الاسترشاد بروح النصوص فيما يتعلق بأملاك الأوقاف ، فقد كان يرى أن القصد هو روح التشريع ، لا لفظه ، ولهذا نراه يصدر امره عند هدّ الزلزال مساجد مدينة مكناس ببيع بعض الأوقاف من أجل إصلاح المساجد ، وبهذا سن رحمه الله عادة جعل الوقف متحركاً بحسب المصلحة العامة لأنه أدرك أن جموده لا يحصل غرض المحبس ، التاودي : النوازل ص ٧٧

Le Maroc de demain, jornal Istiqlal 23–Avril 1960.

١٣) نلاحظ ان هذه المرة الأولى التي نرى فيها الحوالات تتعمد استعمال الارقام العربية . . .

١٤) نذكر منها مسجد فندق النجّارين الذي كان السلطان مولاي اسماعيل بناه ، وكذلك جامع الرصيف الذي بناه السلطان مولاي سليمان ، كما تضمنت ضريح الإمام ابن العربي الذي أعاد بناءه السلطان مولاي اسماعيل .

١٥) نعني الحوالتين الاسماعيليتين والحوالة السليمانية ...

١٦) عرف من هذه السوامر ثمان وخمسون سامرة ، منها : سامرة باب دار ادراق بسيدي العواد ، لأنه طبيب ، وسامرة بساباط القلقليين تسرج في العشرة

الأخيرة من أشهر (المحاق) ، وسامرة بساباط رشم العيون يسرة المار من تخريبشت لمسجد ابن سمعون ، وسامرة بفرن الشاطة ، وجلها يرجع الى عهد الحوالة الاسماعيلية هذا طبعاً الى سوامر حرم القرويين .

١٧) من الأمكنة التي وردت في الحوالة العبدرحمانية : المرقطال القديم المعروف قديماً بحراريّ الشرابة والحرارين العليا المتصلة بقبة القيسارية والحرارين السفلي ، ويعرف قديماً بالحولي (لأنه محل بيع الحولى اي البرنس ، وهو اسم ما يزال معروفاً في ليبيا) ، ثم المرقطال الجديد : وتربيعة جراوة ، وتعرف اليوم بتربيعة الخياطين (قبالة باب المجادلين) والقشاشين ، ويعرف الآن بسوق الحناء حيث كان سيدي فرج ، كما تضمنت الحوالة المذكورة لائحة بالكتب المحبسة على مسجد ابن عباد بعين البغل من العيون ومسجد الصلب المعلق بوسعة العيون وكرسي الرسالة وكرسي التوريق ، وخاتمة في (المسايد) الكتاتيب التي في فاس ثم بمجموع الكراسي التي في فاس وعددها على حسب تقديره الحوالة ٥٣ عدا جامع القرويين وجامع الأندلس ومسجد الشرفاء .

١٨) من المدن التي اختفظت بحوالاتها طنجة Archives Marocains T. 23.

١٩) كان السلطان المولى يوسف في صراع مستمر مع الاقامة العامة فيها يمس الأوقاف ، وخاصة بعض المساجد التي كانت تقع في أماكن تعوق نشاطهم . وقد حاولوا أن يهدموا مسجداً كان قد شيده حديثًا السلطان المولى عبد العزيز ، لأنه وقع في عرصة أبي الجنود التابعة للاقامة العامة . ولكنه رفض هدمه وأصدر ظهيراً (مرسوماً) بتسليمه لإدارة الآثار ، وكان يقصد بذلك تثبيت وجود المسجد ، فنبه الوطنيين المغاربة للاحتجاج في ذي القعدة عام ١٣٥٢ هـ . مارس ١٩٣٩ م مجلة اللقاء مارس ١٩٦٩ ص ٤٠ -

٢٠) لعل آخر ما وقفت عليه من تحبيس هو ما كان في عهد الاستقلال بتاريخ ١٩ صفر ١٣٧٨ (٤ شتنبر ١٩٥٨) حيث وقفت الحاجة الطام بنت الحاج محمد نبونة من حومة مصمودة رقم ١٢٧ عقاراً يرجع في النهاية الى جانب القرويين وذلك على يد الناظر الاستاذ الحاج الحسن بو عياد . . .

٢١) بلغت على عهد السلطان المولى اسماعيل ٣٤٥٦ بقعة ووصلت في عهد السلطان المولى سليمان ٣١٩٩ . . وان هذا العدد على ضخامته ليس الا صورة مختصرة لما كانت عليه الأوقاف . . ومع ذلك فهو يفسر لنا معنى الدعاء الذي جرى مجرى المثل في المغرب وفي فاس بصفة خاصة ، فقد داب الناس اذا طلبوا من الله مزيداً من الرضى على أحد ما ان يقولوا : « الرضَى عليك حبس ما تحبس على القرويين والأندلس » يعني على عدد ما حبس على الجامعين : القرويين والأندلس .

٢٢) من المواضيع التي كانت معروفة لتكتيب المبتدئين من الكبار ، السارية التي باعلى العنزة ، وقد ذكر من الأوقاف عليها دار بزنقة الجياد تتصل بدار سيدي المشاط مع دارين بفران الكلاعي . . .

٢٣) كانت الدار قبالة مسجد الشراطين من حومة القطانين ، وكان الزوجان المتناوشان يسكنانها بين قوم صالحين حتى يعرف الظالم منهما ، من حوالة ١٩٧١

٢٤) الفراشين واللحامين ، هما الطريقان اللذان يتفرعان من سوق الشماعين ، تلك على اليمين ، وهذه على اليسار ، وفيهما اليوم المضايميّون .

٢٥) هو الطريق الذي يجمع بين الفراشين واللحامين السابقين ، ويربط القطانين اليوم بالحرم الإدريسي وفيه درب كان يعرف باسم درب ابن ولال ، ويذكر شيوخ المدينة أن باب فاس الأول كان هنا .

٢٦) لا بد أن تكون للصديني هذا صلة بالعالم الجليل الذي خطط الساعة المائية في القرويين : جني زهرة الآس ص ٥١ .

٢٧) تباع فيها الأردية والأكسية ، وما يزال الناس في ليبيا يسمون رداءهم بالحولي .

٢٨) في حوالة بتاريخ ٩٧١ : حارة قيس الإشبيلي .

٢٩) هو فندق رحبة القيس المقابل لزنقة حجامة ، حيث كانت مساكن الأشراف الطالبيين وتسميه الحوالة السليمانية الفندق الجديد .

٣٠) اصبح اليوم مركزاً للبريد في رحبة القيس .

٣١) هي التربيعة التي لها بابان أحدهما للعطارين ، والآخر للديوان قبيل جامع الديوان .

٣٢) تقابل تربيعة ابن سالم من جهة الديوان ، وكان في أعلاها بلاطة (مسجد) ، ولها باب ينفذ الى سوق العطارين ، ويمر الى سوق التلبس .

٣٣) هي سوق الحنا حيث سقاية العين وسيدي فرج (المارستان) .

٣٤) كان في القديم حوانيت للصيرفيين .

٣٥) هو رحبة الزرع الحالية بالعشابين .

٣٦) حيث الجوطية اليوم : سوق الخضّارين .

٣٧) هو الذي اصبح ميضأة للحرم الإدريسي بعد التوسعة والإصلاح الذي أجراه المولى اسماعيل في الحرم الادريسي .

٣٨) هي السوق الصغيرة التي تقرب من جامع باب الجيسة .

٣٩) يحرفها العوام الى الجياف . وهو الدرب الذي يقابل زاوية التيجاني ، وفيه كان يسكن الأمين الحاج محمد التازي مونخا .

٤٠) هي ساحة سقاية النجارين راجع صفحة ٤٦٩ .

٤١) هي الطرافين التي تجاور رأس التيالين .

٤٢) هي الشرابليين اليوم .

٤٣) يمين الخارج من درب بو حاج .

٤٤) هذا في الطالعة الكبيرة ، على مقربة من ساعة المدرسة العنانية ، وفيه ثلاث بلاطات من الشرق الى الغرب . وكان السلطان مولاي اسماعيل أصلحه ، وهو اليوم فرع للزاوية التيجانية .

٤٥) هو المكان الذي بنيت فيه سينما بو جلود ، وقد كان فندقاً للحمالة .

٤٦) هو الدرب الذي في أعلى الطالعة الصغرى الذي ينفذ الى الطالعة الكبرىٰ ، ويعرف باسم المزدغ الفوقي وتحته حلق النعام الأسفل ، وهو درب كذلك يربط الطالعتين ، ويسمى المزدع التحتي ٢٨٣ .

٤٧) في ناحية سويقة ابن صافي ، وتعرف اليوم بدربية البشارة ، ويظهر أن الدرب كان مسكناً في القديم للجالية الأروبية .

٤٨) هو حمام سيدي محمد بن عباد اعلى القطانين ، وقد كان ابن عباد (ت ٧٩٢ هـ) ، أوصى بأن يشترى من مالٍ تركه في خزانة عقاراً ويحبس على القرويين ، فكان المشترى هذا الحمام على ما يذكر ، وكان يجاور سجن القلعة المعروف بحبس زقاق البغل .

٤٩) اسم غريب لحمام كان في زقاق الرمّان عن يمين الخارج من مسجد درب الكاتب رقم ١٢ ، وقد تهدم وأصبح اروى تلاحظ في داخلها أقواس كأثر للحمام ، وانما سمي كذلك لأنه منحدر السقف فكأنّ الاسم بمثابة منبه للناس للحذر. وقد كان ممن التزم كراءه عام ٩١٨ هـ عبد القادر بن محمد الهداجي بأوقيتين اثنتين وخمسة أثمان الأوقية من الدراهم الكبار السكية لكل شهر. هذا وقد أتى لابن الوزان الفاسي بحديث ممتع عن الحمامات بمدينة فاس بأقسامها الثلاثة البراني والوسطاني والدخلاني ، وقد أكد أن أغلب الحمامات في المدينة ملك لأوقاف القرويين ،
Description de l'Afrique I, 188–190.

٥٠) هو فندق القطانين الكبير وقد كانت وارداته توجه الى ضعاف أهل مكة كما سلفت الإشارة الى ذلك .

٥١) كانت خاصة بتغطية حاجات أملاك القرويين ، كالشأن في معامل الأجر الخاصة بترميم ما قد يتهدم من عقارها .

٥٢) نلاحظ شيئاً من التغيير طرأ على سوق القطانين الذي كان يضم معاصر الزيتون .

٥٣) يعني بالأحجار الأرحية في الحوالات القديمة ، روض الوطاس ص ٢٨ .

٥٤) الحلفاويين هي المعروفة اليوم بالعبادرين ، وهي قريب من الصفارين الحالية التي فيها (مدرسة الحلفاويين) .

٥٥) هي الحدادين في باب السلسة .

٥٦) هي الناحية التي تقرب من باب حفاة جامع الأندلس ، وهنا مكتب يسمى مكتب أشنيخني .

٥٧) هي التي يحرفها العوام برحبة الصفاح .

٥٨) تعطي الحوالات وصفاً لموقع عقبة المكودي عندما تتحدث عن أوقاف معدة ماء السبيل في الحانوت الرابع يمنة الخارج من زنقة دار الدبغ بالرصيف

٥٩) كانت معامل الزجاج في الكغادين ، وهي تدل على الأزدهار الصناعي الذي كان في فاس .

٦٠) من المعلوم أن عدد دور الدبغ كان على عهد الموحدين ٨٦ داراً ، كما أن عدد الأفران المختصة بالجامع بلغت على عهد ابن الوزان زهاء العشرين .

٦١) كان فندق العطارين في الأصل تربيعة للخضّارين ، وحوله السلطان المولى سليمان الى فندق ، وقد كان يباشر حانوت الحكيم أدراق التي صارت للأمين الحاج محمد التازي الموخا ، ثم الى ابنه السيد محمد وهي تحمل رقم ٩ ، وقد احترق الفندق ، وضرب على بابه اليوم بسور.

٦٢) هو فندق النجارين الذي يجاور درب الأمانة ، ولا ندري شيئاً عن مولاي ابن ريسون هذا ، وإنما نعرف ان السلطان المولى اسماعيل هو الذي بنى هذا الفندق أو جدده .

٦٣) الطريق القصير الذي يربط بين أسفل زقاق الحجر وبين رأس التيالين بعد المزارة التي المسماة (مزارة النبي) .

٦٤) دار ابن عمرو هي خارج باب الفتوح ، يضرب بها المثل في الثراء الرفيع ، فيقال : «كأنه يملك دار ابن عمرو ! » .

٦٥) نعتقد أن دور الصنعة (L'Arsenal) ترجع في الأصل الى عهد الموحدين ، وقد كانت محلاً لصنع المراكب النهرية والحربية ، لأنها بحسب الوصف في الحوالة تتصل بقنطرة سبو وساقية العسال ابن صاحب الصلاة ص ١٤٤ - ٤٨١ .

٦٦) خولان هو مدثر سيدي حرزام الذي اشتهر بالعين المعدنية ، وبنيت اليوم فيه مسابح وفندق ومستوصفات .

٦٧) الأجزية : جمع جزاء ، تعويضات تعطى مقابل استفادة من بناء على مكان ليس لك ، كأن تسمح الأوقاف بغرز قناطر من بيتك في ملك ما من أملاك الأوقاف ، وقد ينطق به المغاربة جميعاً معقدة، وفي فاس حومات كاملة كان الناس يؤدون للأوقاف الجزاء عنها ، يعني عما فيها من دور وحوانيت ومصانع بنوها في تلك البقاع ، مثل جزاء ابن عامر ، جزاء برقوقة ، جزاء بن زكون . ويقال إن الأصل في هذا يرجع الى أيام الإمام ادريس لما قال : «كل من بنى موضعاً واغترسه قبل تمام السور فهو له هبة لله تعالى » . قال الجزنائي : فيظهر من هذا أن من بنى شيئاً بعد تمام السور ، إنما يكون باستجار الأرض ، وهو سبب الجزاء في بعض جهات فاس ، وفي الحوالات حديث عن جزاء الأفران والأرجية والحوانيت والفنادق والطرازات والجنّات .



الفصل الرابع

التاريخ الفكري للقرويين في عهد الدولة العلوية

اعتماد الدولة على القرويين واهتمامها بتطورها – عادة سلطان الطلبة وتطورها عبر السنين – القرويين في المثل المغربي – مرحلة التنظيم بالقرويين – اتجاه القرويين ايام السلطان سليمان – الدراسة بالقرويين في حديث ابن السنوسي وباديا ليبلش – الخطوة الثانية نحو التنظيم – ظهور المطبعة – علماء القرويين وصلتهم بالمشرق – البعثات الى المشرق والى البلاد الاروبية – القرويين والغزو الخارجي – مكافأة العلماء – القرويين والسلفية – علماء القرويين في حديث الاروبيين – الحماية الفرنسية والقرويين.

(عرض تاريخي)

لم يكن غير الملوك العلويين أكفاء لاسترجاع الهدؤ الى المغرب بعد تلك الأيام القلقة التي ضعف فيها العلم أواخر السعديين [1] ، وقد كان جدهم المولى عليّ الشريف على صلة تامة بعلماء فاس ، وكان أول ملوكهم توفيقاً واسعدهم حظاً هو السلطان المولى الرشيد بن عليّ الشريف الذي دشن أيامه الأولى بالالتفات الى الناحية العلمية بالمغرب . ثم كان المولى إسماعيل الذي نعمت البلاد على عهده باستقرار ظل مضرب المثل في الشرق والغرب ، واستطاع أن يصفي الاستعمار في المهدية وطنجة والعرائش واصيلا ، فتحركت عبقرية الشعراء ، وتنفس العلماء الصُعداء ، واستعاض الشعب عن الأحذية السود بالنعال الصفر [2]

واثر وفاته حدثت بعض الاضطرابات ، لكن الأمور لم تلبث أن رجعت الى نصابها ، وواجه السلطان العالم سيدي محمد بن عبد الله مشكلات لم يلبث أن تغلب عليها .

واستطاع مع ذلك أن يربط علاقاته بمختلف الدول في الخارج ، ثم كان المولى سليمان خريج القرويين الذي عاصر الحركة « السلفية » في الشرق . وكانت له مع رجالها مفاتحات هنالك ، واعتلى المولى عبد الرحمن بن هشام على العرش المغربي ، فواجهه الواجب بمناصرة المقاومة الجزائرية التي كان يقودها حليفه الحاج عبد القادر محي الدين ضد الاستعمار وبعده كان ولده السلطان محمد الرابع الذي شعر بأن الاقتصار على معارف كلية القرويين لا يكفي . وقد ظهر الملك الحسن الأول فشاطر والده هذا الرأي ، وأقر بعض الأنظمة التي كان يراها ضرورية للمحافظة على الكيان ، بَيْدَ أن المنية عاجلته ، وتتابعت « المناورات » ، وما إن حلّتْ سنة (١٣٣١ هـ) (١٩١٢ م) حتى فرض نظام الحماية على المغرب ، ونقلت العاصمة على أثر الاحتجاجات الدامية من فاس الى الرباط . وبالرغم من أن بعض فصول معاهدة الحماية كانت تعطي (المخزن) صلاحية ، دأبت السلطات الاستعمارية تعمل على تجريده من كل مظاهر السيادة ، ووضعت يدها على سائر اجهزة البلاد ، لكن المغرب بعد نحو من اربعين سنة في الكفاح استرجع بقيادة جلالة المغفور له محمد الخامس سيادته ، وطفق يبني استقلاله على أسس متينة ورشيدة ، ملتفتاً في صدر ما التفت له الى هذه الجامعة التي ظلّتْ ملاذاً للمؤمنين ومثابة للقاصدين .

اعتماد الدولة على القرويين واهتمامها بتطورها

لما ظهر السلطان سيدي محمد بن المولى الشريف (محمد الاول) اعتمد في صدر ما اعتمد ، على مساندة العلماء الذين ظلوا مصابيح الأمة ، وقد كان العاهل يعتز في رسائله الى بعض رجال القرويين بأنه تلقى في بداية ايامه مبايعة أربع مئة عالم من ذوي الاقدار والاحساب والاخطار .

ولعل من المفيد ان نستعرض ما جاء في اعتراف مارمول (Marmol) بالنشاط العلمي في القرويين قرابة هذا التاريخ ، فقد جاء في ترجمة مذكراته عن زيارته لمدينة فاس : انه درس الفلسفة والرياضيات والعلوم الاخرى في المدارس المجاورة لجامعة القرويين ، مما يفيد من جهة ان الحياة الفكرية لم تنقطع عن الجامعة ، وأنها ظلّت تستقبل الطلاب الأجانب في قاعات مدارسها الداخلية .

وقد وصف « مارمول » الجوالطلابي على عهده بأن الظروف العصيبة التي كانت تمر بها البلاد في اثناء انتقال السلطة من يد حاكم الى آخر ، كانت تؤثر في منح الطلبة بيد ان سكناهم لم تتأثر على كل حال [٣] .

° ° °

وقد كان أول عمل قام به المولى الرشيد لما خلف اخاه الملك محمد الاول ، تنشيط النهضة العلمية في البلاد واحياء ما كاد يندثر من معالم العلم واثار العلماء ، ثم انه مع اهتمامه بالعلاقات الخارجية [٤] نشط العلم ، وبذل الجهود المختلفة في نشره ، وحضر مجالس العلماء في القرويين ، وزارهم في دروسهم الخاصة ، واعطى الصلات المهمة لحاملي راية التدريس ونشر العلم [٥] ، وكان لا يخرج في كل شؤون الدولة عن استشارة العلماء والاخذ بآرائهم ، وكان هؤلاء مخلصين في مهمتهم ، باذلين أنفسهم وارواحهم في سبيل نصرة المثل العليا ، فكان هناك تآزروانسجام بين حملة الشرع وحاميه . . .

وكما فعل بنو مرين عندما رحبوا بمقام بني العزفي حاكمي سبتة السابقين حيث أحلّوهم العاصمة العلمية للاستفادة من ثقافتهم ومعارفهم ، فكذلك كان عندما انتهت مهمة رجال الزاوية الدلائية في بداية الدولة العلوية ، فقد نقل علماؤها الى فاس واسندت اليهم الوظائف واستفاد العلم منهم على ما تنبغي الاستفادة دون ما مس بكرامتهم او نيل من مركزهم [٦] .

وقد اسس المولى الرشيد مدرسته براس الشراطين [٧] ، وأنشأ خزانته بمسجد فاس الجديد [٨] .

وبعد المولى الرشيد ، ورد السلطان المولى إسماعيل ، فاغدق على الحركة العلمية بخيره ، وحدب عليها بعطفه ، فكان يستدعي أعيانَ الفكر والعلم ، وهو الملك الاول في الدولة العلوية الذي اقنع علماء القرويين بضرورة الشعور بان عليهم ان يعتبروا أنفسهم وقفاً على اراضي المغرب كلِّها ، ولذلك جعل من القرويين جامعة متحركة لا يجد فيها الفاسي حرجاً في الالتحاق بمكناسة ، ولا المراكشي تعباً في العمل بمدينة وجدة

وبمقدار ما كان عليه السلطان إسماعيل من عظمة وقوة ، فإنه كان ينسى مركزه امام العلماء ، وهو الذي يحدث التاريخ انه كان يقوم بصب الماء على أيدي ضيوفه منهم ، امعاناً في تشجيعهم وفتح افاق الأمال في وجوههم . وقد كان يجد في نصحهم شأن من سبقه من السلف الصالح ، ما كان يدخل البهجة عليه ولا سيما من صلحائهم وصادقي النية منهم [٩] ، خصص جرايات نقدية لرجال الفلك والهندسة ، ليثير انتباه المتعاطين للعلم الى ضرورة العناية بالرياضيات ، فاتسعت حركة التأليف في عصره ، وكان يعوض الفراغ الحاصل عن قلة المطابع بالخطاطين الذين يجمعهم اليه لينسخوا من جليل المؤلفات ما يرى من الخير ان يصبح لا من ممتلكاته الخاصة فقط ، ولكن مما تضمه رفوف الخزائن العامة ، وقد جاء في وصف الخزانة العلمية الاسماعيلية أنها جمعت من التصانيف ، وحوت من انواع الدفاتر واسماء التآليف ما لم تحوه خزانة بغداد ، ولا علق بذهن الداني الاستاذ ، وقد عرفنا عن مساعيه الدَّولية لانقاذ الكتاب العربي من ربقة الأسر في بعض البلاد الاروبية [١٠] .

ويدلنا على ازدهار الحركة العلمية في البلاد . وفي فاس بصفة خاصة ، هذا العدد الضخم من العلماء والفقهاء والادباء والمؤلفين ممن خصصنا لهم ذكراً مفصلاً في اعلام هذه المرحلة ، من امثال أبي زيد الفاسي ، والقاضي بردلة ، والمجاصي ، واليوسي ، وابي علي بن رحال ، والرحالة العيَّاشي ، والقادري ، والبناني ، وجسّوس . . .

ويمتاز العهد الإسماعيلي بانه فتح سلسلة من المحاورات بينه وبين علماء المغرب ، ومع بعض مشايخ جامعة القرويين في شأن مسألة شغلت البال في ذلك العهد ، ونعني بها مشروع القائد عليلوش ، او قضية العبيد : عبيد البخاري كما تعرف في مختلف المصادر المغربية .

لقد كان من رأي السلطان المولى اسماعيل اعطاء الاسبقية المطلقة للمحافظة على كيان الدولة بتكوين جيش قوي يحافظ به على الأمن ، ويستطيع به ان يغزو الاجنبي الرابض على سواحل البلاد ، وهذا ما حدا به على الاخذ بالمشروع ، وتحرير رسائل الاستفتاء حول اصحاب « الجلد الأحمر » ، يعني الأرقاء وهوكذلك ما دفع بعض العلماء للجهر برأيهم بحسب ما تقتضيه اوامر الشرع لقد كانت قضيةَ الوقت حقاً [١١]

حظ الفتاة من التعليم

وفي اظهر ما سجلته كتب النوازل الحديثة العناية بتعليم المرأة المغربية على شكل اوسع مما عهد في العصور السابقة . وقد عرفنا من اشهر زوجاته الأميرة العالمة الحاجة خناثة صاحبة التعاليق على الحافظ بن حجر والتي حاجّت علماء المشرق [١٢] . . . وفي معرض جواب عن سؤال : هل تكون المرأة امامة أو شيخة ؟ اعرب الشيخ عبد القادر الفاسي (ت ١٠٩١ هـ) عن وجهة نظره مفيداً ان النساء على عهده كن يجتمعن على بعض السيدات ويشيخنهُن ويتصدرن للقراءة والفتوى [١٣] .

عادة سلطان الطلبة

عرف جو الطلاب بفترات مرح كانوا يقضونها احيانا بصحبة اساتذتهم ، واحيانا فيما بينهم ، ظاهر المدينة بين المتعة والفائدة ، وقد سمعنا منذ ايام الموحدين عن تقاليد وعادات تجعل على الطلبة رئيساً ينتخب كل عام مرة [١٤] ، كما عرفنا في نظام العطل ما اخذ يتميز منذ دولة بني مرين بترؤس ملوكهم للاحتفالات التي تقام تكريما للطالب المتفوق [١٥] .

لكن هذا المرح لم يكتس طابع النظام في الوقت وفي الكيفية الا عندما ظهر السلطان المولى الرشيد . لقد وقف الطلبة الى جانبه للقضاء على احد الاقطاعيين اليهود بنواحي تازة : هارون بن مشعل [١٦] الذي استغل فرصة اختلال الامور بفاس اواخر دولة السعديين [١٧] ، فحدثته نفسه بتأسيس مقاطعة يهودية في نواحي بني يزناسن ، ويصبح حاكماً لتازة وفاس ! وهكذا تطوعت طائفة من نحو خمس مئة من الطلبة في فجر الدولة العلوية للاجهاز على تخطيط بن مشعل [١٨] .

ونذكر ان الحيلة كانت تواعد الطلبة المذكورين على ان يأتوا متفرقين الى دار بن مشعل ، وكان المولى الرشيد قد تقدمهم ، فاحاطوا بالدار . . ، على ان هناك روايات أخرى اشبه ما تكون بقصص الف ليلة وليلة[١٩]

وبهذا نجح الطلبة في لفت الانظار اليهم على الدوام ، وقد كان في صدر من اهتم بهم ورفع من شأنهم المولى الرشيد فكافأهم بأن نصب منهم سلطانا على رأس كل ربيع تقديراً منه لتضحيتهم ، وبعد ان كانت القرويين لا تعرف شيئاً عن عطلة الربيع ، اصبحت لها ايام ضاحكة خصص للطلبة فيها اعتمادات للقيام بنزهة ربيعية .

وكما تعرف الامم في اوربا [٢٠] اوغيرها حفلات تقليدية ، وكما تعرف الاوساط الجامعية في بقية الدول اياما مرحة وممتعة فإن القرويين ايضاً تعرف ظروف استرواح وفكاهة ، ولكنها لا تصل بحال الى ما اعتيد عند بعض اصحاب الحي

« اللاتيني » كما يقول الأستاذ « لوتورنو » بل ان الطلبة يقومون بسهراتهم في جو من الدعابة البريئة الطاهرة .

لقد اعتادوا عند كل ربيع حوالي منتصف شهر ابريل ان يقيموا بمدينة فاس وبمدينة مراكش كذلك ، منذ ان حل بها السلطان سيدي محمد بن عبدالله (٢١) ، سلطنة تدوم زهاء ثمانية ايام ، فحين تتفتح الطبيعة عن اكمامها ، تلتمس الطلبة الاذن من الحكومة لهم باقامة سلطنتهم السنوية ، وعند الترخيص لهم بذلك يجتمعون عصر الاربعاء الموالي ، وقد كان هذا الاجتماع يكون في احدى المدارس العلمية التي يسكنها الطلاب .

وعندما يكتمل الجمع يقف دلاَّل خاص ، ويكون عادة من دلاَّلي المخطوطات الذين لهم صلة بالعلماء والطلاب وينادي مفتتحاً ببيع السلطنة بالمزاد العلني ، ويكون لكل طالب الحق في ان يبتاعها لنفسه ما دام يستطيع ان يزيد في ثمنها على غيره ، فإذا وصلت المزايدات إلى نهايتها وانتهت الرغائب ووقف ثمنها على طالب ما ، سجل العدلان الشرعيان اللذان يكونان حاضرين هذا المزاد وهذا البيع على الطالب المحظوظ ، ثم ينفض الطلاب معلنين سلطانهم .

وقد بلغ سعر السلطنة منذ نحو من قرن خمسين دُورو (ريالا) ، أي ما كان يعادل مئتي فرنك وخمسين فرنكاً ! ثم ارتفع الثمن الى ثلاث مئة فرنك ، ثم بلغ في عام ١٩٠٣ م الى مائة ريال وعشرين ريالا ، وفي سنة ١٩١٧ م بلغت السلطنة بسعر ثمانين وتسع مئة دورو أي ما يعادل اربعة الآف فرنك ، وفي سنة ١٩٢٠ م ، بلغت ١٢،٢٥٠ فرنك ، وفي سنة ١٩٢٤ م وصل الثمن الى ٢٢،٥٠٠ (٢٢) .

ويلاحظ ان شراء السلطنة خاص بالطلبة الآفاقيين ، فهو محظور على غيرهم من الطلبة الفاسيين ، ولعل هذا الامتياز قُصد اليه لترغيب الغرباء من الطلاب في ورود مناهل العلم من كليتي القرويين بفاس وكلية بن يوسف بمراكش ، وتشجيعهم عليه بإدخال أسباب الغبطة والانشراح عليهم .

أما مهمة هذه السلطنة فهي قيام سلطان الطلبة على رأس حاشية يختارها من أعيان زملائه ، بتنظيم نزهة على شط وادي الجواهر بضواحي فاس. وقد كان هذا الموكب في هيئته المؤلف منها صورة مصغرة لموكب ملك البلاد الحقيقي .

وفي أول جمعة تلي الأربعاء الذي تم فيه الشراء ، يهدي ملك البلاد الى سلطان الطلبة كسوة فاخرة من نوع ما يلبسه الملوك تقريباً ، وفي هذا اليوم أيضاً يقوم سلطان الطلبة بتأليف هيئة حكومية من نخبة أصدقائه ، ومن بينهم وزير المالية والمحتسب الذي يختار عادة من البارعين في النكتة والفكاهة (٢٣) ، وتقوم الحكومة المغربية بتنظيم موكبه الرسمي ، وعند الساعة الحادية يتحرك هذا الموكب من المدرسة التي يتفق أن سلطان الطلبة ساكن فيها ، فيركب جواداً مطهماً ، وترفع المظلة الملكية فوق رأسه ، ومن حوله الحراب التي يحملها الحرَّاس ، وتتبعه حاشيته وجمهور غفير من رعاياه الطلبة مشاة ، ثم أصحاب الطبول والمزامر ، وتحيط بالجميع ذات اليمين وذات الشمال ، سلسلتان من الشرطة والعسس ومقدمي الحارات ، ويخترق الموكب الأزقة والشوارع سائراً بين أمواج صاخبة من الأهلين الى أن يصل الى جامع الأندلس ، فيؤدي فيه « السلطان » صلاة الجمعة ، ثم يتابع الموكب سيره لزيارة ضريح الملك العظيم الذي كان سن هذه الاحتفالات وهو المولى الرشيد ، بداخل قبة الشيخ أبي الحسن عليّ بن حرزهم (٥٦٠ هـ) خارج باب الفتوح ، فهم يترحمون على ضريحه أولاً ، قياماً بواجب شكره وتذكاراً لعهده اللامع ، وبعد صلاة العصر يعود الموكب من حيث أتى ، والوجوه تطفح بشراً ، والنساء من أعلى السطوح يملأن الفضاء بزغاريدهن الحادّة .

وفي عشية اليوم التالي السبت يخرج سلطان الطلبة بعد صلاة الظهر في جامع القرويين ، في موكبه الرسمي كهيئته

الأولى ، ماراً بسوق العطارين ، ثم الطالعة ، ثم باب المحروق ، الى وادي فاس حيث تضرب خيام « دولة الطلبة » في سهول خضر ، على مقربة من الوادي ، يتوسطها سرادق كبير له ولحاشيته ، وقد تبلغ هذه الخيام زهاء مئة خيمة : خمسون منها تنصبها الحكومة للطلبة ، وباقي الخيام ينصبها اهل فاس ممن يلذ لهم ان يقضوا نزهتهم الربيعية بجوار الطلبة ، وتكون هذه فرصة لقيام وفود عن أهل الحرف والمهن من الخرازة والصفارين والتجاروالدلالين وفقهاء الكتاتيب ، بزيارة أعضاء حكومة سلطان الطلبة (٢٤)

وتقوم واردات الميزانية لهذه « الدولة » العابرة من ثمن السلطنة الذي يدفعه سلطان الطلبة ، ومن الهدايا التي يقدمها عاهل البلاد الى الطلبة على يد سلطانهم ، وتتكون عادة من الأغنام واكياس الحنطة والسكر وغيرها ومن المال الناضّ أيضاً ومن العطايا التي ينفح بها أهل فاس الطلاب تشجيعاً واحتسابا ، وممن كانوا يتقدّمون بهداياهم تجار اليهود . كما أن من موارد النزهة الضرائب التي يجبيها سلطان الطلبة من وجوه البلاد وتجارها بمراسيم تصدر بامضائه وتختم بطابعه ، يؤديها هؤلاء عن طيب خاطر (٢٥) ، وكذلك من « الذعائر » التي تتجمع بواسطة محتسب السلطنة الذي يرتدي حلة خاصة في هيئة مضحكة ، يجعل على عنقه سبحة عقودها من التين المجفف ، يلتهم منها الواحدة تلو الأخرى من حين لآخر ويتجوّل هكذا في شوارع المدينة راكباً بغلة ، واضعاً أمامه صندوقاً مغلقاً ، ما ينفكّ يدخل فيه – من خلال شقّ فيه – ما يجمعه من صغار التجار وكبارهم ، كذعائر يرتبها عليهم في عين المكان ، نتيجة غش مزعوم في البضائع أو المواد التي يبيعونها ، أو نتيجة اختلال في الموازين والمقاييس ، أو زيادة في الأسعار !

وفي خلال أسبوع هذه « السلطنة » ينصرف الطلاب جميعاً الى المرح واللهو بقلوبهم وعقولهم معاً . ويعيشون حياة بعيدة عن الجامعة فيها متعة النفس وصفاء الحديث وطرب القلب .

فإذا مضت ستة أيام ، وأقبل يوم الأربعاء ، تهيأ معسكر الطلبة لاستقبال جلالة الملك – أو خليفته إن لم يكن في المدينة – في مشهد عظيم ، يقصده جل سكان مدينة فاس .

ولقد اعتاد عاهل البلاد أن يشرف مملكة الطلاب الصغيرة في موكب حافل ، ليقدم هداياه الخاصة ، وعند الأصيل ينتظر سلطان الطلبة مع هيئة حكومته سلطان البلاد ، حتى إذا لاح موكبه عن قرب ، نزل الطالب عن فرسه ، ودنا من العاهل ، ليقبّل يده الكريمة ، ويرفع اليه الكتاب المتضمن طلبه الخاص الذي يؤمل من جلالته الأمر بتنفيذه (٢٦) ، ثم يتراجع الى الوراء ليركب فرسه ويقف قريباً من الملك .

وهنا يتفضل عاهل البلاد (٢٧) ، فيتحدث الى سلطان الطلبة حديثاً ودياً ، ويستأذنه سلطان الطلبة في سماع خطيبه الذي يكون ممتطياً ناقةً أو فرساً !

وقد يكون الخطيب هو عين المحتسب الذي يعلق على صدره ساعة كبرى من خبزة مستديرة رسمت فيها الساعات يبدأ الخطيب بملاحظة الساعة (الخبزة) ، وكأنه يريد أن يقول لملك البلاد : إن وقت الوصول لم يكن مضبوطاً ، وفيما يحاول أن يضبط الساعة يقتطع منها جانباً ويلتهمه مع بعض حبات السبحة التي يحملها من كومة التين !

هذا ويتقدم الخطيب ليخاطب جلالة الملك بصوت جهوري أمام ألوف من الناس بنحو قوله : « كيف استطعت وأنت ملك كسائر الملوك العاديين أن تقف الى جانب أكبر ملك في الدنيا يخضع لأوامره ملايين الحشرات والهوام ؟ ! فيرد عليه الملك بنكتة أو ابتسامة تعبر عن روح المرح لدى الملوك حيال طلبتهم . . ويبادر سلطان الطلبة فيعرب عن قبوله

لجلالة الملك ضيفاً على دولة الطلاب ويرحب به احرّ الترحيب ، ثم يخطب المحتسب خطابه الهزلي من النثر المقفى ، وكله لا يخرج عن الاشادة بالمآكل والمشارب ، في اسلوب بديع رفيع ، يثير ضحك الناس ومرحهم (٢٨) !

وعند الفراغ من هذه المظاهرة يستأذن جلالة الملك سلطان الطلبة في الانصراف ، فيأذن له بعد اداء الاحترام الواجب ، ويعود جلالته في موكبه الفخم الى قصره العامر.

وفي الجمعة الموالية يقوم سلطان الطلبة في حاشيته باداء فريضة الجمعة في جامع القصبة «مسجد أبي الجنود» ثم يرجع الى مقر دولته التي لا يبقى على انهيارها الا يوم واحد ، اذ انه في مساء اليوم التالي يكون الطلبة على أهبة العودة الى مدارسهم حيث تستأنف الدراسة في الكلية صباح يوم الاحد.

ومن الطريف ان الطلبة يستيقظون صباح يوم السبت يبحثون عن سلطانهم ، فلا يجدونه . انه يفر ليلة هذا اليوم محتمياً باجنحة الظلام خوف ان يصبح على ابواب ثورة عارمة من رعيته التي اعتادت - وهذا داخل في تقاليد هذه المظاهرة - ان تنْقَضَّ على سلطانها يوم انتهاء سلطنته لتقذف به في وادي فاس بثيابه الفاخرة ، حتى لا يدخل في روعه انه قد اصبح سلطاناً حقيقياً ! وان واجبهم عليه ان يخضعوا ويقروا بالسلطنة !

القرويين في المثل المغربي

لكثرة ما ارتبطت الحياة المغربية بالقرويين وبفاس فإننا نسمع عن ترديدهما وما يتصل بهما ، على السنة الناس ، في البيت وفي السوق ، في الحاضرة وفي البادية . .

فهم يقولون في معرض الحديث عن المتعة الخيالية الموقوتة : التي لا تعدو سبعة أيام : « سلطان الطلبة » !

وهم يجيبون السائل حول مدى جوْدة اومتانة الشيْ : « اللي يحبّ الصحيح تيمشي للقرويين » يعنون لا تضمن جودة ولا متانة في غيرها . . .

ومن هذا القبيل قسمهم بالقرويين لاثبات دعواهم . . .

والوالدان عندما يريدان الدّعاء على ولدهما بالرضى المستمر وبدون حدود ، يقولان : « الرضى عليك حبُس (بضم الباء) ما تحبّس على القرويين والاندلس ! » .

وفي معرض تفضيل الشيْ على الشيْ مع التسليم بسمّو مركزهما معاً يقولون : « القرويين سبقت الأندلس » ! وفي معرض التنافس على الاصالة والاقدمية في استيطان فاس والانتساب اليها ، يقولون« حتى واحد ما خرج من خصّة القرويين » يعني ان سكان فاس كانوا جميعاً من الواردين وليس لاحد ان يدعي فضل الاصالة فيها ! !

وقد تباهت الامثال بامتلاك الدور في حرم القرويين : في السبع لويات وزنقة حجامّة على ما اسلفنا وكثيراً ما نسمع : « الحكمة المخفية في سيدي خليل والالفية » ونسمع : « بيت من التّحفة تيسَوَى كبش » (٢٩) ! ونسمعهم يقولون في حديثهم عن استيعاب شخص ما من الاشخاص : « في رأسه كتاب القرطاس » وقالوا : « مشى للسبكي وخلاّ الجرومية تتبكي (٣٠) » .

وقد قالوا : « ما بقي ناس بعد فاس » ! ردّا على البكري القائل : فاس بلا ناس » ! وقالوا : « اللي شرب من ماء سبوتينسَى حسبُه[٣١] » وقالوا : « الكلب اذا دخل لفاس تيقولو له : « مولاي الكلبون » !

مرحلة التنظيم بالقرويين

لقد استمرت القرويين تقوم بواجبها في المراحل السابقة ، ولكن ذلك كان يتم في الاغلب تلقائياً ، فكان الاساتذة يختارون من الكتب ما يشاؤون ، ومن الفنون ما يتفق مع أذواقهم ، وكان يمكن ان تكون هذه الحرية ذات جدوى على القرويين لو لم تؤد الى الاضرار بالمستوى الثقافي المنشود ، وقد اصبح من المؤكد ان يُفكّر في سنّ نظام لهذه القرويين . وهكذا فاذا كانت المرحلة الاولى تمتاز بانها مرحلة تأسيس ، وكانت المرحلة الثانية تمتاز بانها مرحلة تتويج ، فإن هذه المرحلة يصح أن تنعت بأنها مرحلة تنظيم .

اننا الآن في بداية حياة جديدة من عمر القرويين ، ان للطلبة ان يعطلوا ابتداء من الآن اياماً معينة من فصل الربيع ، وان عليهم ان يشتغلوا ابتداء من هذا الوقت إلى ذلك الوقت الآخر .

لقد كان الذي وضع الحجر الاول لصرح النظام بالقرويين هو السلطان العظيم سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) فهو الذي فتح للقرويين «ملفاً» خاصاً بها[٣٢].

ولم يصرفه انكبابه على معالجة المشكلات الدولية الكبرى التي كان يوليها كبير اهتمامه ، الأمر الذي تشهد به مئات من الوثائق ، وعشرات من السفارات التي بعثها او استقبلها مما تزخر به ارشيفات دول اوربا وآسيا وامريكا[٣٣] .

ولم يشغله كذلك الانقطاع الى البناء والتشييد والتجهيز في سائر اجزاء بلاده مما نشاهد معالمه الى الآن ظاهرة شاخصة[٣٤] .

ولكنه الى جانب هذا وذاك اهتمّ اهتماماً بارزاً بالحياة الفكرية في البلاد ، فعهد الى العلماء بالتأليف[٣٥] وعقد الندوات والمناظرات مع العلماء ، شأنُه في ذلك شأن والده السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل الذى كان له ناد علمي يجمع فيه علماء المدينة[٣٦] ، اضافة الى اهتمامه بالشؤون الاخرى[٣٧] .

وقد زاد في اهمية التفاتة السلطان سيدي محمد بن عبد الله للحركة الفكرية تطلّع الرجل من حياض المعارف والمذاهب . وكان من الثقة بنفسه وبعمله أن كان يختار من الآراء المطروحة ومن الفتاوى المعروضة[٣٨] ما يراه موافقاً ، وهو الذي كان يقول عن نفسه «إنه مالكيّ المذهب ، حنبلي الاعتقاد » وقد كان يجنح الى رأي بعض المتقدمين ممن كانت لهم ظروفهم الخاصة في تلقين العلوم والفنون...[٣٩] .

وهكذا أصدر « منشوراً ملكياً » سنة ١٢٠٣ هـ (١٧٨٨ – ١٧٨٩ م) يوجه فيه الخطاب الى شيخ القرويين وعميدها على ذلك العهد :

لقد كان من رأيه أن الكتب المختصرة مضيعة للأعمار ، وخير أن نلتجئ الى الأمهات الواضحة . ومن جملة ما قال في منشوره : « ليعلم الواقف على هذه الفصول المذكورة في هذا الكتاب أننا نأمر باتباعها والاقتصار

عليها ، ولا يتعداها الى سواه».

والمنشور يحتوي على عدد من الفصول :

الفصل الأول : يتعلق بأحكام القضاة الذين يعتمدون على الفتاوى الواهية التي لم يرتفع سندها الى كتب الأقدمين ، إن قضاة من هذا النوع لا يتحرَّون ولا يعتمدون على الصحيح من القول جدير بالفقهاء أن يفصلوهم . . . [٤٠] .

الفصل الثاني : ويتعلق بإمام المسجد الذي لا يرضى عنه « أهل الفضل » لسوء سلوكه ، فلهم حقّ المطالبة بفصله عن هذه الخطة ، لأنه إمامهم ، ولا بد أن يكون متوفراً على تزكيتهم له.

الفصل الثالث : وهذا يتعلق بالمدرسين بجامعة القرويين وسائر فروعها ، - ويقول فيه السلطان محمد الثالث - طيب الله ثراه - : إننا نأمرهم أن لا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره . ومن كتب الحديث المسانيد والكتب المستخرجة منها ، والبخاري ومسلماً وغيرهما من الكتب الصّحاح ، ومن كتب الفقه المدونة والبيان والتحصيل والمقدمة لابن رشد والجواهر لابن شاس ، وكتاب النوادر والرسالة لابن أبي زيد ، وغير ذلك من كتب الاقدمين . وعلى الذين يريدون تدريس مختصر الشيخ خليل أن يدرسوه بشرح الشيخ بهرام الكبير [٤١] والموّاق والحطاب والشيخ عليّ الأجهوري والخرشي الكبير ، لا غير . وما عدا هذه الشروح الخمسة كلها ينبذ ولا يدرس به ، وان من عدل عن الشراح المذكورين واشتغل بالزرقاني وامثاله من شراح الشيخ خليل ، فان شأنه كمن يهرق الماء ، أو يتبع السراب ، على حد تعبير المنشور [٤٢] .

وعلى العلماء أن يدرسوا سيرة النبي عليه السلام بالكلاعي وابن سيد الناس اليعمري . وكذا كتب النحو فان الدراسة ينبغي أن تعتمد على كتاب التسهيل والألفية وغيرهما من كتب الفنّ المتخصصة . وعليهم أن يدرسوا علم البيان بكتاب الإيضاح والمطول ، وكتب التّصريف ، ودواوين الشعراء الستة [٤٣] ، ومقامات الحريري ، والقاموس ولسان العرب وأمثالها ، مما يعين على فهم كلام العرب ، لأنها الوسيلة الوحيدة لفهم كلام كتاب الله وحديث رسول الله.

ومن أراد علم الكلام ، فعقيدة ابن أبي زيد رضي الله عنه كافية شافية ، يستغني بها جميع المسلمين.

وكذلك الفقهاء الذين يقرؤون الأسطرلاب وعلم الحساب ، فينبغي أن يأخذوا حظهم من الأوقاف ، لما في ذلك من المنفعة العظيمة والفائدة الكبيرة لأوقات الصّلاة والميراث [٤٤] .

ومن أراد أن يخوض في علم الكلام والمنطق وعلوم الفلسفة وكتب غلاة الصّوفية وكتب القصص ، فليتعاط ذلك في منزله مع رفاقه الذين لا يدرون أنهم لا يدرون !

ومن تعاطى ما ذكرنا في المساجد ، ونالته عقوبة . فلا يَلُومَنَّ الا نفسه ، وهؤلاء الطلبة الذين يتعاطون العلوم التي نهينا عن قراءتها ، ما مرادهم بتعاطيها إلا الظهور والرياء والسمعة ، وأن يُضَلِّلوا طلبة البادية ، فإنهم يأتون من بلدهم بنية خالصة في التفقه في الدّين وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فحين يسمعونهم يدرسون هذه العلوم التي نهينا عنها ، يظنون أنهم يحصلون على فائدة بها ، فيتركون مجالس التفقّه في الدّين واستماع حديث رسول واصلاح ألسنتهم بالعربية ، فيكون ذلك سبباً في ضلالهم..» إلى ان يختم المنشور بهذه العبارة : « ونأمر الفقيه السيد التّاودي أن يكون عمله ما في هذا الكناش...».

وقد تعمدنا الإتيان بالنصوص جميعها ، لأنها كانت تشتمل على إصلاح جوهريّ للمادّة المدروسة بالجامعة على ذلك العهد.

وينبغي الوقوف عند بعض العبارات الواردة في الكنّاشة ، ممّا يتضمّن الاهتمام بالرّجوع الى أصول الشريعة وينابيعها ، والأخذ بالسلفية الصحيحة الأولى.

ومما يتضمّن كذلك الرجوع عند دراسة كتب الفروع الى شروح معينة ، عرفت بالوضوح والاختصار للفائدة العاجلة ، ومما يتضمّن الحرص على التكوين الأدبي الكامل الذي يؤدي وحده الى الفهم الصحيح للكتاب والسنة.

على أن هناك أمرين بارزين في « الكناشة » أولهما العناية الظاهرة بالرياضيات ،

وهكذا كانت دراسة الحساب والأسطرلاب من ابرز ما كان يهتم به السلطان سيدي محمد ، ولا شك انه اهتمام كان وليد حبّ ودراية ، فاننا نعلم أنه هو الذي كان يشتغل بأسطرلاب غريفة جامع القرويين ، وهو الذي بعث لأوربا يطلب صناعة نسختين من الآلة المذكورة على ما قلناه في حديثنا عن صومعة القرويين [٤٥]

وبعد هذا ، فهناك الى جانب ثقته المطلقة بالعلوم والأرقام ، نلاحظ شكوكه في جدوى علوم الفلسفة ! وهي نظرية بالغة الأهمية في الصواب ورجاحة الفكر ، ولا نظن أن هناك في القادة العالميين الذين عاصروه من جرؤ على المناداة صراحة بأن مصلحة البلاد هي في العناية بالرياضيات ، وليس في الفلسفيات ، وهي حقيقة ظهرت صحّتها للحكومات في السنين الأخيرة ، فرفعوا أصواتهم بمراجعة برامج الكليات ، وفي قادة العالم المعاصرين من تساءل عن مصير كلية الآداب؟ ! وهل تساعد حقيقة على تكوين « الإنسان النافع » في القرن العشرين [٤٦] ؟ !.

على أن هناك امراً آخر في المنشور الملكي له وزنه لدى المهتمين بدراسة الحياة الفكرية للجامعة ، ذلك هو التحذير من كتب « غلاة الصوفية » ، فبقدر ما نشعر بالاهتمام بالتصوف على انه سلوك مثالي ، نحس بالخطر الذي يعده المنشور ملازماً للمغالاة والمبالغة اللتين من شأنهما ان تعزل الانسان عن واقع الحياة وواقع المجتمع [٤٧] .

وتشير الوثائق التاريخية الى ان العاهل المغربي لشدة اقتناعه بهذا الإصلاح ، واعتزازه به ، بعث بنسخة منه الى علماء مصر ، مع وفد كان على رأسه الامير مولاي عبد السلام ، يطلب منهم اعمال النظر فيه ، فما ظهر لهم انه صواب اقروه بخطوطهم ، وما كان غير صواب نبهوا عليه كذلك ، ليرجع عنه ان ظهر له انه حق [٤٨] .

ذلك هو السلطان محمد الثالث الذي اثرى خزانة جامعة القرويين واغناها نبغت على عهده جماعة ما تزال الكتب الى الآن عاطرة بذكرها مقدرة لجهودها.

اتجاه القرويين ايام السلطان سليمان

كان في ابرز الحيثيات التي رجحت ترشيح المولى سليمان لكرسيّ الامارة انه ، علاوة على الشرط الاساسي الذي يتوفر عليه باعتباره من سلالة الرسول ، كان من العاكفين على العلم السابقين. وقد أثر اسمه في الاناشيد الشعبية على أنه من ملازمي سواري القرويين[٤٩] وقد وقّع بيعته منذ اللحظات الاولى اعيان علماء القرويين ومشايخها[٥٠] .

وقد اثر عنه انه كان يتميّز بمشاركته شخصياً في تسيير الدروس والاشراف على الامتحانات ، وكان ولوعاً

بجمع المخطوطات من سائر الجهات ، ومن الاقطار المشرقية ، وقد علمنا عن المبالغ الوافرة التي بذلها للحصول على اصل الامام البخاري بخط الحافظ الصدفي عام ٥٠٨ هـ ، من طرابلس الغرب (٥١) .

وهو وان كان يتفق في كثير من المناهج التعليمية مع والده السلطان محمد بن عبد الله ، يرى ان الاشتغال ببعض الشروح والحواشي من شأنه أن يشحذ الفكر ، وينمّي طاقة المناقشة في الطلاب ، وفيما يتعلق بمختصر الشيخ خليل نجد انه بمقدار ما كان الوالد يرى في أسلوبه عائقاً عن الفائدة ، كان الولد يرى انه على العكس من ذلك ، اسلوب يساعد على اقتحام غوامض الامور ، بل انه اضاف اليه العناية بمختصر ابن الحاجب (٥٢) .

ومع ذلك كانا يتفقان معاً على ان الرجوع الى السلفية هو الطريق الاقوم الاسلم .

ويدل على ذلك موقفه من « وفد الوهابية » الذي وصل اليه بمدينة فاس بعد تولي آل سعود على الحرمين الشريفين .

فقد جمع علماء القرويين لمدارسة الآراء الواردة مع سفارة صاحب الحجاز ، وبعث ولده الأمير المولى ابراهيم على رأس وفد كان فيه الفقهاء : ابن كيران ، والساحلي ، ومولاي الأمين ، وطلب اليهم أن يستوضحوا عن بعض الأسئلة لأن الاصداء التي بلغت المغرب عن الحركة السلفية في نجد ، كانت تستدعي ذلك .

وبتأكد أن أجوبة آل سعود نالتْ استحسان المولى سليمان ، كما تفسره رسالته المشهورة التي يُحذّر فيها من التّغالي في التصوّف ، ومن التوسل بالأضرحة (٥٣) ! وقد بلغت أصداء هذه الرسالة علماء الزّيتونة في تونس الخضراء (٥٤) الأمر الذي يفسره كثير من الإصلاحات والبوادر التي ظهرت من السلطان المولى سليمان (٥٥) .

وقد كان مما ساعد الحركة العلمية على الازدهار في عهده ، تصدّيه هو – على نحو ما كان من والده – لمناقشة العلماء في آرائهم بالمذاكرة أحياناً ، وبالتآليف تارة ، أخرى (٥٦) .

وقد تضمّنت بطون كتب النوازل والتّاريخ عدداً لا يستهان به من استفتاءاته لهم في عدد من المسائل والمشكلات الوطنية التي تحدث ، ممّا يفسّر اعتزازه ببناء تشريعات البلاد على مشورة رجال العلم (٥٧) .

ومع ذلك فان العاهل المغربي لم يتردد في مصادرة بعض الفتاوى التي كان يظهر له ان القصد منها فسخ حق ، اومناصرة باطل ! ولا يلبث ، اذا ما تأكد من عودة الامور ، ان يرفع الحظر عن حركة المفتين الذين كانوا يتوسلون دوماً ، ليرفع عنهم الحرمان من حقهم في الافتاء (٥٨) .

اول اضراب للطلبة بالقرويين...

واذا كانت المدرسة المستنصرية في بغداد عرفت حركات الاضراب منذ سنة (٦٨٣) (٥٩) فان جوّ الهدوء والاطمئنان ظل يهيمن على اوساط الطلاب بمدينة فاس الى مطلع سنة ١٢١٢ عندما صدر الامر بهدم اربعة عشر حجرة من المدرسة المصباحية في غيبة عن الشيخ التاودي ابن سودة ، الامر الذي عمم الاستياء في اوساط الطلبة الآفاقين وتطورت المشكلة الى تدخل الفقيه السفير ابن عثمان ، وقد شاهد المؤرخ (الضّعيّف) هذه المظاهرة (٦٠) .

ومن الطريف أن نقف على وصف شاهدي عيان للحياة العلمية في جامعة القرويين على عهد السلطان المولى سليمان ، وكلاهما دليل ناطق على الحيوية التي تملكت القرويين على عهد هذا الملك العظيم.

واول هذين الشاهدين الامام المجاهد ابن السنوسي (ت ١٢٧٦ هـ) الذي ورد على مدينة فاس لاخذ العلم عن رجال الجامعة المذكورة.

لقد ورد في ترجمته انه وصف العلوم التي كانت تدرس في القرويين في ذلك العهد ، وذكر منها علم الفرائض والحساب والاسطرلابين وصناعتهما ، والرياضيات والهندسة ، والهيئة ، والطبيعة ، والارثماطيقي [٦١] وأصول قواعد الموسيقى ، والمساحة ، والتعديل ، والتقويم ، وعلم الاحكام ، والينس[٦٢] (بكسر النون) ، والوقف ، والقواعد الجفرية ، وأصول الزايرجية ، والبسط والتكسير ، والجبر والمقابلة ، وغيرها.

وقد آثرت أن أذكر هذه الفنون كما وردت في النصوص المنقولة وإن كان بعضها قد يندرج في بعض آخر حفظاً لأمانة النقل.

ولا بد أننا سنلاحظ أن النقل أغفَلَ ذكر بعض الفنون والعلوم ، ممّا عرف بالضّرورة وجودُه في القرويين على الدوام ، كالتفسير والحديث والفقه بما فيه العمل الفاسي [٦٣].

كذلك لا بدّ أن نلاحظ وجود المادة الرياضية بمختلف أقسامها وأنواعها ، بالإضافة الى فن الموسيقى الذي كان للناس اعتناء به كبير في مختلف الجهات ، على ما يؤكّده العلميّ في ترجمته للموسيقى البوعصامي [٦٤].

وفي عداد المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الأيام ، نذكر على الخصوص شخصية إسبانية معروفة باسم علي باي العباسي.

وهو في الواقع باديا ليبليش (D. Badia Y. Leblich) الذي رحل الى البلاد الاسلامية في إفريقية وآسية ، فلقد حاول أن يعطي وصفاً مستفيضاً للحالة التي كانت عليها جامعة القرويين على عهد السلطان المولى سليمان سنة ١٢١٧ هـ. (١٨٩٣ م) ، وهذا العرض من جانب السنيور باديا ، مع بُعده عن الحقيقة في كثير من الأمور ، فان كل واحد منا يُستشفّ منه مدى الحيوية التي كانت تجري في شرايين القرويين آنذاك.

وقد ورد في حديثه أن « فاساً كانت في إفريقية من حيث مركزها الثقافي تحاكي أثينا في اروبا ... » ، وأن ذوي العلم الواسع – يقول باديا – من أولئك العلماء هم الذين يحاجون الى الأبد ! والذين لا يجدون مستنداً يعتمدون عليه غير ما كان قاله شيخهم فلان ، أو ما ورد في سطر كذا من صفحة كذا من كتاب كذا دون ما تروٍّ ولا تبصّر... ولقد حاول – باديا – أن يعمل على تطوّر أفكار العلماء ، فكيف كانت خطوته الأولى؟ لقد قرر بادئ بدء أن يقذف في قلوبهم الشك حول ما يعتقدونه في تلك الكتب ، فاذا ما تم له النجاح في هذه الخطوة اتجه بهم نحو الخطوة الثانية ، ولكن نفوسهم كانت تأبى عليهم ان يتحوّلوا عن مبادئهم الأولى.. » الى أن يختم

كلامه بهذه العبارات :

« تلك كانت العلوم بفاس هذه المدينة التي كان في استطاعة المرء أن ينظر اليها على أنها « أثينا » إفريقية ، لكثرة أساتذتها ، وكثرة الذين ينتسبون إلى العلم فيها ، وبالتالي لوفرة مدارسها التي تكتظ بالطلبة ».

تلك شهادة ابن السنوسي ، وهذه حكاية « باديا ليبليش . والحقيقة أن سوق العلم كانت نافقة ، وعدد الفقهاء والمساجد والمكاتب في تزايد[٦٥] » ، ومدارس الطلبة كانت مكتظة حتى لأصبح التنازل عن مفتاح الغرفة في المدرسة ، يُدِر على صاحبه الأرباح الباهظة [٦٦] .

وقد كان لمشايخ علماء القرويين تأثر في تدريسهم بالمجالس العالية التي عرفت بها العهود الأولى ، فكانوا يتعبون طلبتهم قصد حملهم على أخذ الطريق الأصعب .[٦٧]

وورد في ترجمة أبي الفيض حمدون بن الحاج – وهو من أعيان علماء الطبقة الأولى [٦٨] – أن عادته في إقراء التفسير التحري من نقص عما يحتاج اليه في إيضاح المعنى ، أو زيادة لا تليق بالغرض ، وكان يراعي المعنى الحقيقي والمجازي ، والتأليف والغرض الذي سيق له الكلام ، ويواخي بين المفردات ، فيبتدىء بتحقيق الألفاظ المفردة ، ويتكلم عليها من جهة اللغة ، ثم التصريف ، ثم الاشتقاق ، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب ، فيبتدىء بالإعراب ، ثم ما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع ، ثم يبين المعنى المراد ، ثم أسباب النزول ، ثم علم الحديث والأثر ، ثم علم المناسبة ، ثم الاستنباطات ، ثم الاشارات ، ثم لا يبقي ولا يدع من الاستدلال ضد أهل الأهواء والبدع .[٦٩]

خطوة ثانية نحو التنظيم

ان لائحة الرجال والنساء [٧٠] كذلك من الذين عرفتهم المجالس العلمية على عهد المولى سليمان ، وحدها تعبر عن الترف الذي كان ينعم فيه الفكر بمدينة فاس العاصمة ، فلقد بلغوا خمس مئة عالم كانوا كلهم منارا يهتدي بهم في الحاضرة والبادية والسهل والجبل [٧١] .

ولكن هل وقف اصلاح نظام القرويين عند الحد الذي رسمه السلطان محمد الثالث ؟ ان منهاج الدراسة بالقرويين اصبح في حاجة الى قانون ، ولاسيما بعد النشاط الملحوظ الذي عرفته زوايا القرويين ايام السلطان المولى سليمان ، ذلك النشاط الذي رددت صداه مجالس المشرق وبعض جهات اوروبا .

لقد فتح ملف القرويين ثانية ، وكان الذي فتحه هذه المرة هو السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام ، فهوالذي وجه اهتمامه الى تنظيم التعليم وترتيب الدروس .

وسنستعرض معا هنا الخطاب الملكي الذي وجهه لشيخ القرويين وقاضي القضاة المولى عبد الهادي [٧٢] في ١٢ المحرم ١٢٦١ هـ (٢١ يناير ١٨٨٥) .

... وبعد ، فلقد بلغنا توافر طلبة العلم على العادة ، وجدّهم في الطلب ، غير انه قل التحصيل والافادة ،وذلك لمخالفة الفقهاء في اقرائهم عادة الشيوخ ، واعراضهم عما ينتج التحصيل والرسوخ .

فان الفقيه يبقى في سلْكة [٧٣] سيدى خليل العشر سنين ، وفي الالفية العامين والثلاثة لكثرة . يجلب من الاقوال

الشاذة ، والمعاني الغريبة الفاذة وكثرة التشعيب بالاعتراضات وردها ، ومناقشة الالفاظ وعدها ، ويخلط على المتعلم حتى لا يدري الصحيح من السقيم ولا المنتج من العقيم ، وفي ذلك تضييع للأعمار – التي هي أنفس المتاجر! – بلا فائدة ، وتعمير الاوقات – التي يرتجى نفعها – بلا عائدة . فتجد الطالب يرحل في طلب العلم من بلاده ويتغرب عن اهله واولاده ويقيم المدة المتطاولة لا يحصل مع كثرة دأبه على طائل ولا يقف على محصول ولا حاصل فترى الفقهاء يكثرون على المبتدىء من نقول الحواشي والاعتراضات وينوعون الاقوال والعبارات حتى لا يدري ما يمسك ولا اي سبيل يسلك ، ويقوم من مجلس الدرس اجهل مما كان. . . وما هكذا كان يفعل أهل الإفادةوالتحرير ، فقد كانوا يسهلون لهم طرق العلم واستفادته ، ويرتكبون ما يقرب تحصيل العلم وزيادته ، وينزلون إلى عقول الطلبة على قدر أفهامهم ، ويحتالون على حصول الفهم والعلم للمتعلمين بلطيف عبارة كلامهم حتى يحصل اللبيب على مراده في أقرب أوان. . .

فبوصول كتابنا هذا اجمعْ المدرسين وارشدهم لما فيه المنفعة العامة والفائدة التامة وهو الاقتصار في التقرير على حل كلام المؤلفين وافهامه للسامعين المتعلمين مع التنبيه على ما فيه من خطأ وتحريف اذ المقصود هو حصول الفهم والافادة . والمناقشة في الالفاظ انما هي لغو وزيادة . . وما تقدم قراءة النحو والبيان والمعقول الا لتحصيل الملكة التي يتوصل بها إلى فهم المنقول ، ولا ينبغي في الفقه مناقشة الالفاظ ولا نقل كل ما سوده الحفاظ ! فلا يجاوز الفقيه في سلكة خليل العام وان طال ففي عامين . . ولا يتجاوز في الألفية الشهر أو الشهرين كما كان يفعل جهابذة العلم من نقاده بل كانوا يسردون خليلاً في أربعين يوماً ، والالفية في اقل من ذلك ويحصل الطلبة في ذلك على علوم جمّة . . ومن جملة الامور الموجبة لقصور فهم المتعلمين تقصير مجلس الالقاء وخفته فلا يجاوزمن اطال من الفقهاء الساعة ، مع ان من رحل للطلب من بلده يستغرق الاوقات ويعرض عن الراحة واللذات . (٧٤)

هذا هو الظهير الذي خاطب به السلطان المولى عبد الرحمن شيخ العلماء بفاس منذ ازيد من قرن . . ولقد يخيل لمن يقرأه انه كان انتقاداً لسير بعض الدروس على هذه الازمان.

والحق ان صدى هذه الوثيقة كان مدوياً بين اوساط العلماء والطلبة آنذاك فلقد تحولت الاتجاهات واصبحت الكفاءة العلمية تقاس بمقياس غير الذي كانت تقاس عليه بالامس .

وقد كان العاهل من انصار (الطريقة المشدالية) ولهذا نراه يشدّد على ضرورة تنزل العلماء لطلبتهم عند القاء الدرس لانه كان لا يرى من نفع في تحليق الاستاذ إلى المدارج وترك طلبته في تقديراتهم يعمهون . . . (٧٥)

وقد صحبت هذه التّغييرات حركة علمية نشطة تجلّت في ميدان الافتاء الذي ازدهر نظراً للأحداث (٧٦) التي جدّت باحتلال الجزائر من قبل الاجانب ، وبمحاولة بعض اليهود الحصول على امتيازات لم يقرّها لهم العرف بالمغرب فيما قبل(٧٧) . .

ولم يضعف من اوار تلك الحركة العلمية الا المضايقات الفرنسية فقد كان على المغرب بما يقتضيه حق الرحم وواجب الجوار ان يحمى الثورة الجزائرية في بداية امرها (٧٨) فزودها بالثلاثة : الخيل والسلاح والمال . الامر الذي اغضب الفرنسيين فصبوا جام غضبهم على المغرب وهكذا تأثرت الحياة الداخلية بالمغرب نتيجةً لتلك المناوشات المتتابعة وبالتالي انصرف العلماء إلى الهاب المشاعر استعداداً للدّفاع عن حوزة البلاد .

وكما كان بالامس عندما تضاءلت مرتبات العلماء نتيجة للحرب اواخر دولة بني مرين فقد عانى الفقهاء كذلك في هذه الفترة من نقص الاموال الموقوفة التي استفاد منها السلطان المولى عبد الرحمن تقوية لجيشه وامداداً لثوار الجزائر (٧٩) .

وقد حركت هذه القضية : الاخذ من اوقاف القرويين لصالح الدفاع ، حركت من همم رجال الافتاء : فاطبقوا جميعهم اوكادوا على ان النصوص الشرعية لا تناهض اطلاقاً التصرف في اموال المحبسين متى كان الهدف هو السعي لحماية الجماعة الاسلامية ذاتها ، وهكذا كان العلماء يستخدمون مداركهم ومعارفهم مسترشدين بروح النصوص ومعانيها لا بالفاظها ومبانيها (٨٠) .

ظهور المطبعة

كل الكتب التي كانت القرويين تعتمد عليها حتى الآن ، وخاصة ما كان من تأليف مغربي ، كان جميعها يعتمد على أنامل النساخين الذين كانت فاس تتوفر على العدد العديد منهم ، وقد كان لهم نقيب خاص يشرف عليهم ويفصل في واجباتهم عند الحاجة ، وكان لا بد لنجاح عمل الناسخ من شيء ثان ، هو مراقبة ما يسمى بالمقابل الذي يكون بمثابة المحرر يجلس للمقابلة مع الذي ينسخ الكتاب .
وكثيراً ما كان الطلبة يقومون هم بنسخ الكتب التي يتدارسونها وربما استعان بهم مشايخهم في انتساخ ما يتوقفون عليه ، او ما يؤلفونه من كتب (٨١)

ونحن نعلم ان مدينة فاس اشتهرت ، منذ ايام المرابطين والموحدين ، بأنها كانت تحتوي على اربع مئة معمل من الكاغد (٨٢) ، اي انها عرفت الورق قبل ثلاثة قرون من معرفة فرنسا له (٨٣) .

ومع ذلك ظلت المدينة العالمة تئن تحت الحاجة إلى ما يسهل ظهور نتاج علمائها ، والى ما يعمم النفع بما يظهر فيها من مخطوطات نادرة . وهكذا فقد كانت القرويين تتلقف الكتب بمزيد من الحرص والشوق .

ويظهر ان احد مبعوثي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (محمد الرابع) إلى المشرق عاد يتحدث عما شاهده في المشرق من أمر هذه المطابع .

وكان هذا احد اسباب المراسلات التي تمت بين العاهل المغربي وبين اسماعيل باشا في طلب المساعدة على ارسال مطبعة ، واذا كانت المصادر ما تزال تخذلنا في عدم الحصول على نص الرسالة المغربية ، فإنها على العكس من ذلك اعطتنا معلومات عن الرسالتين المصريتين اللتين كانتا من انشاء عبد الله فكري باشا في شوال عام ١٢٨٣ (٨٤) .

ويظهر انه ، نتيجة لهذه المراسلات ، استوردت اول مطبعة إلى فاس من الشرق ، مع المواد اللازمة لها ، ومع خبير من اصل تركي .

وقد كان من اوائل ما طبع على عهد محمد الرابع كتاب الخرشي الصغير في مجلدات (٨٥) ، ستة فكان ذلك مما اثار اعجاب الفقهاء وحرك الادباء (٨٦) .

لقد كان أثر المطبعة في تنشيط الحركة الثقافية أثراً بالغاً لا في فاس وحدها ، فيها وفي مختلف المدن المغربية أيضاً ، وكان في صدرها مدينة المحمدية (تارود انت) ، وهكذا كتبت عقود في هذا الصدد بين السيد الطيب الروداني ومحمد القباني بمصر عام ١٢٨١ للاشتغال بتارود انت (٨٧) .

وقد أخذت المطبعة طريقها نحو التقدم ، وسنرى أنها ستزداد ازدهاراً على عهد السلطان المولى الحسن الأول الذي دشن المطابع الجديدة بإصدار كتاب شرح الإحياء للشيخ مرتضى الزبيدي في عشرة اجزاء ، وتأليف نصير الدين الطوسي في تحرير أصول الهندسة لإقليدس (Euclides) منجم القرن الثالث عشر ، وهو مؤلف نادر حتى في اوروبا في عصر النهضة [٨٨] .

وقد أخذ المغرب يشعر ببعض الاكتفاء ، فشرعت الدولة في توزيع مطبوعات فاس على مكتبات العالم الاسلامي : للحرمين الشريفين والقاهرة والقسطنطينية [٨٩] .

وقد وجه الملك الحسن الأول بعدد من الورّاقين الى استنبول وإسبانيا ، ليستفيدوا من خبرة الوراقة هناك ، ويعودوا بما جد في هذا الفن .

علماء القرويين وصلتهم بالمشرق

وكما لاحظنا في المراحل السابقة لتاريخ جامعة القرويين [٩٠] ، سنلاحظ هنا كذلك على هذا العهد أن الاتصال بعلماء المشرق ظلّ في نمو واطراد ، فما فتئ المغاربة يترددون على تونس ، وعلى مصر ، وعلى الحرمين الشريفين ، موثقين عهود المودة واواصر الرحم بينهم وبين زملائهم في تلك الديار .

وقد ظل اسم الرحالة العلامة العياشي (١٠٩٠ هـ) منقوشاً على كل عتبة في المشرق بما سجله من انطبعات وما حققه من لقاءات .

وكان الشيخ الجامعي (١١٤٤ هـ) من الجسور القوية التي ربطت بين جامعة القرويين وجامعة الزيتونة في اوائل القرن الحادي عشر .

وقد تحدثت كتب التراجم عن أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن ابن زكرى الفاسي (ت ١١٤٤ هـ) عن احتفاء علماء مصر بمقدمه ، وتحدثت عن المناقشات المجدية التي كانت لعلماء الأزهر معه ، وبخاصة في مسألة شرب الدخان الذي لم يعتّد علماء المغرب على استعماله في ذلك العهد ، بخلاف إخوانهم في المشرق [٩١] .

وقد نقل الينا العلامة أبو محمد الشرقي الاسحاقي (ت ١١٥١ هـ) في رحلته ما تركته الأميرة العالمة لالة خناثة زوجة السلطان المولى اسماعيل من ذكر جميل بين الفقهاء والمفتين ، بما كانت تبديه من صواب راي وسداد نظر . . كما حكى الاسحاقي عن اجتماعاته المتوالية بعلماء المشرق ، مختلف طبقاتهم ، وعلى شتى مذاهبهم ، سواء منها مذاهب الفروع ومذاهب الاعتقاد . وهو الذي اشاد – عندما قارن بين الحال هناك والحال في المغرب – بما عليه الديار المغربية من الاقتصار على مذهب الإمام مالك في الفروع ، ومذهب الإمام الأشعري في الاعتقاد ، محبذاً الجادة المغربية التي لا بنيّات فيها على حد تعبيره .

وقد حضر الإسحاقي مجالس العلم في الأزهر الشريف ، ولاحظ ، على عادته ، أن الدروس التي كانت تلقى آنذاك لم تكن في مستوى الأزهر المعروف قديماً بفطاحله ورجاله .

وقد احتفظ المشارقة على الدوام بذكر طيب للعلماء المغاربة يدل على ان هؤلاء كانوا مثار ملاحظة وعناية .

ولما كان الشيخ الإسحاقي في ضيافة الشيخ الحنفي رئيس علماء الأزهر في المعقول والمنقول جرى حديث طريف

خفيف بين العالمين يدل على روح المرح التي كانت تسود جو المأدبة الأزهرية .

لقد كان مما احتوته سفرة الطعام صحنان : أحدهما للعدس وقد وضع عليها ليمون ، والاخر صحن للأرز الذي تعود المشارقة تنأله كل وجبة ، فاعجبه الإسحاقي الصحن الأول ، فأقبل عليه ، ولم يلتفت للأرز بالرغم من عرضه عليه مرارًا من الحنفي[٩٢] .

وقد أكد أنه يفضل العدس لأن معه مسوغاً ، وهو الحامض ! فعقب الحنفي قائلاً : جعلت طعامي نكرة تحتاج إلى مسوغ ، فأجاب الإسحاقي : بل كلاهما معرفة ، الا أن في العدس مسوغاً للابتداء به ! وما وسعه إلا أن يقبل على صحن الأرز !

وكيف ننسىَ الحديث عن الشيخ أبي العباس المكودي (١١٧٠هـ) الذي ربط الصلة قوية بين علماء القرويين وبين علماء الزيتونة ، فكان قدوة مغربية لرجال الفكر بتونس[٩٣] .

وابو القاسم العميري (١١٧٨ هـ) قاضي الركب الأميري الذي كان له في كل بلا د مجلس ، وفي كل مجلس مناقشة ، وفي كل مناقشة دور العالم الفحل الذي ، لا يجارى ، والذي ترك أصداء هناك يتناقلها الناس جيلا عن جيل[٩٤] .

و أبو عبدالله محمد بن سودة المري الذي قدم مصر عام ١١٨٧هـ ، فعقد لهم درساً حافلاً في الجامع الأزهر برواق المغاربة في الفقه المالكي أمام جموع حاشدة[٩٥] .

ولا بد أن لا ننسى وفادات رسمية أخرى إلى الديار المشرقية ، كتلك التي بعثها السلطان المولى سليمان في أمر الدعوة التي وجهها الأمير عبد الله بن سعود حول الوهابية إلى بلاد المغرب والعراق والشام ومصر. تلك البعثة التي ضمت أعلاماً من أمثال القاضي أبي الفضل العباس ابن كيران ، والفقيه أبي عبدالله محمد العربي الساحلي[٩٦] .

وقد كان أشهر رسل القرويين الى المشرق الإمام ابن السنوسي ، الذي كان من أصدق من عرف بالقرويين في تلك الجهات، هذا السنوسي الذي يرجع اليه الفصل الأكبر في هداية (برقة) وأمنها واطمئنانها ، بعد أن كان أجتيازها يحاكي ارتياد القمر اليوم ، ويستحق الناجي فيها التهنئة والتحميد بالسلامة !

وكثير غير هؤلاء وأولئك ممن ألمعنا اليهم في معجم أعلام القرويين ، وهكذا لم تتوقف الاتصالات على الا طلاق بالرجال في الخارج حتى في أحلك الظروف واعتاها تدهوراً .

البعثات إلى المشرق وإلى البلاد الأوروبية

ولقد فتحت الأحداث عيون المغرب على بعض الحقائق التي كان عليه أن يعرفها ، فقد توالت الأطماع في الأرض المغربية ، سواء من المستعمر الذي تمكن من ناصية الجزائر فأخذ يحاسبنا على مساعدة الأمير عبد القادر[٩٧] ، أو من الشمال حيث امتدّت يد الاسبان إلى بعض الثغور العزيزة علينا .

وكل ذلك كان يقتضي أن نتعرف عن كثب أولئكَ الذين يحاولون السطو علينا ، ولن يتم ذلك الا عن طريق المدرسة .

لم تكن الرحلات العلمية ، ولا البعثات السياسية المغربية التي ظلت تنتقل من الخارج ، كافية وحدها لتنقل

بواطن الأمور ودواخلها .

ولذلك أصبح من المتحتم أن تتطوّر البلاد بالتفتح على الخارج ، وكان من الحكمة أن تتم التجربة الأولى بالبعثات إلى مصر القاهرة ، وكانت الأيام أيام محمد سعيد .

وهكذا وجه السلطان محمد الرابع طائفة من الطلبة لتلقي العلوم الرياضية ليكونوا سنداً حيّاً للعلوم في جامعة القرويين بعد أن تخرجوا من مدْرسة المهندسين بفاس الجديد[٩٨] .

وممن نبغ من أوائل الطلبة أبو محمد عبد السلام العلمي[٩٩] وأبو العباس أحمد شهبون[١٠٠] ، وأبو عبدالله محمد بن كيران[١٠١] .

وقد وجد السلطان المولى الحسن نفسه أمام أعباء جدّ ثقال في أعقاب الكَبْوة التي حلت بالمغرب بسَطْو اسبانية على تطوان ، فكان يشعر أتمّ الشعور بضرورة الدفع بالبلاد إلى الأمام .

وقد اقتفى الملك الحسن الأول خطوات والده في توجيه البعثات إلى الخارج . وأعرب عن رغبته لبعض رؤساء البعثات الأجنبية المعتمدة بالمغرب ، وكان أن توجهت بعثة مهمة من الشباب إلى انكلترة وفرنسة وايطالية واسبانية[١٠٢]

وبالرغم من أن الظروف لم تساعد هذه البعثات على الاستفادة الكاملة فإن الجهود لم تضع تماماً .

فقد تمرن بعض الطلبة على استعمال اللوغارتيم لحساب المواقيت والخسوف والكسوف ، وكان الطالب محمد بن الكعاب الأودى من الذين تابعوا دراستهم في مرسيليا[١٠٣] ، وحمل معه عام ١٣٠٩ هـ جداول اللوغارتيم لفقيه فاس وعلاّمتها الميقاتي المعروف الشيخ محمد بن علي محمد العزاوي ، وهو الذي تولى نشره بين أوساط الطلبة بالقرويين ، وقد أدركنا الاعتماد عليه في الجامعة فيما يمس علم الهيئة .

وهكذا حرص العاهل رحمه الله على أن يلقّح العلوم الرياضية التي توارثتها القرويين جيلاً عن جيل ، بما يبعث فيها الجدة والنشاط ، ضماناً لحياة القرويين نفسها .

القرويين والغزو الخارجي

هناك حدثان خطيران ، نالا عناية علماء المغرب بصفة عامة ، وعلماء فاس بصفة خاصة ، أولهما استيلاء الاسبان على مدينة تطوان ، وثانيهما انتهاز المطامع الأجنبية فرصة وضع المغرب لاملاء المواقف عليه[١٠٤] .

وقد كان للحدث الأول صدى في بيئة العلماء والطلبة ، لان تطوان ظلت ربيبة فاس وحبيبتها بمن احتضنتهم من قادة ورجال .

وقد أناخت الديون التي فرضتها المصلحة ، بكلكلها على الخزينة المغربية : عشرون مليونا من الريال ، ولم يكن في بيت المال الا اربعة ملايين ، وتوجه العاهل إلى العلماء باستفتاء عام : هل يفرض الدّين على الرعية حاضرها وباديها حتى يتمكن المغرب من انقاذ تطوان ؟ ونشط العلماء ، وكان جواب مولاي احمد العراقي إمام الضريح الادريسي[١٠٥] .

أما الحدَث الثاني فانه اقل اهمية من الأول بحسب الظاهر ، ولكنه كان يهدف الى ارباك المغرب ، ودس عناصر الفتنة فيه ، ويتعلق الأمر بتشجيع الحمايات الاجنبية ، ومحاولة ليونيل روتشايلد (I' Rothschild) (وهو

من أثرياء اليهود في لندن) التدخل في شؤون يهود المغرب ، والتوسل لدى العاهل المغربي بطلب « الحرية » لهم أسوة بيهود مصرا وقد عرض الامر على العلماء ، وعلى فتواهم اعتمد العاهل من غير شك لما اصدر ظهيرا في ١٢٨٠ هـ يضرب صفحا عن الطلب ، ويكتفي بتذكير المسؤولين « بأن يعاملوا اليهود بما اوجبه الله من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الاحكام » [١٠٦] .

ولقد ازداد المغرب اتصالاً بالعالم الخارجي مع فرنسة ، مع اسبانية ، مع انكلترة ، مع ألمانية ، مع البرتغال ، مع أميريكة ، مع بلجيكة ، مع البابا ، مع الدولة العثمانية .

ولئن كان اتصال المغرب بالامس مع هذه الدول اتصال الندّ بندّه والنظير بنظيره ، إنه أمسى هذه الأيام مشوباً بنوع من الخطر الذي يهدد البلاد ، فان أطماع الدول تتزايد .

ولا بدّ من التفكير جيّداً في تطوير حالة التعليم ببلادنا ، وهذا ما كان يحاوله الملك الحسن الأول ، وهو ما كان يريده من إيفاد الطلاب وتحريك العلماء في القرويين لمواجهة المسؤوليات التي تنتظر البلاد .

وكما كان بالأمس ، فقد وضع عدد من المسائل التي كان العاهل المغربي يطرحها بدوره على علماء فاس .

ولنضرب لذلك مثلا قضية الوسق الذي طلبته بعض الدول من المغرب ، بعد أن أرضت المملكة طلباً سابقاً لأمريكة [١٠٧] .

عرض الراي على العلماء بواسطة باشا فاس ، فكان جوابهم يقضي بعدم إسعاف طلبات الدول وعدم مساعدتها ، لكنهم استدركوا بأن « ليس لهم بين يديه كلام ، ولا لهم مع وجود عزته جواب ولا خصام ، وأين عقول سائر الرعية من عقله ، وذكاؤها من ذكائه ونبله ؟ » .

وقد أحسن العلماء صنعاً عندما أبدوا الرأي ، وتركوا للعاهل أمر الفصل . لقد كان يرى ما لا يرون بحكم اطلاعه المباشر على ما يجد في العالم . ولذلك أجابهم ، رحمه الله ، يشكرهم على النصيحة التي هي شرط في البيعة ، ولكنه أفهمهم هذه العبارات : «ولما كانت المصلحة في هذا الوقت اقتضت ما استشرناكم فيه ، وأوجبت بطريق النَّظر تسكين ما ينافيه ، قدمناه ريثما تقترن طوالع العزم ان شاء الله في بروج سعده ، ويأتي الله بالفتح من عنده ، وما زلنا ولا نزال بحول الله نصرف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح ، ونذود عن جانب الرعية بسهاك رامح [١٠٨] » .

نوع من التشاور الصريح بين الراعي ورعيته ، واننا لنقرأ في جواب العلماء حسن النية وسلامة الطوية ، ونلمس في جواب الملك حصافة الرأي وبعد النظر . ومع ذلك نقف ، من خلال سطور السؤال والجواب والتعقيب ، على نوع مما نقوله عن ضرورة تطوّر في تقدير الأشياء .

مسائل تجدّ كل يوم ، وتريد الدولة معها أن تكون بجانب المصلحة ، ولكن من غير أن تغفل نظر العلماء . وهذا مسألة استيراد الاعشاب (طابا) والتجارة فيها مع العلم ان في البلاد جالية أجنبية .

نريد أن نقول أنه بمقدار ما كان السلطان المولى الحسن يولي اهتمامه للأحداث الدولية التي تتطور بسرعة وبخاصة فيما يمس المغرب ، وبمقدار ما كان مشغولاً بأمر استقرار البلاد جنوباً وشمالاً حتى قيل ان عرشه كان على صهوة جواده ! كان مشغولاً بأمر الحياة الفكرية في البلاد . والسير بالقرويين نحو مدارج الرقيّ ، ولكن مع الحفاظ على التراث .

كان يقترح على بعض العلماء أن يؤلفوا في الاستدلا ل على صحة الكيمياء ، في الوقت الذي يشجع فيه على استظهار متن الشيخ خليل .

والعلماء كانوا في حيرة ، فالجميع كانوا يخافون من الغزو الأجنبي في أي مظهر كان ، ويرون بعين الشك كل بادرة من بوادر الأجنبي ، فإذا طلب منا موادّ ، خفنا ان يكون فيها عنصر يكسبه قوة علينا ! واذا اقترح الأجنبي انشاء القطار او التلغراف ، شككنا في مقاصده .

وهكذا فمن شدة الغيرة على استقلا ل البلا د كان بعض العلماء يتمسكون بسياسة اغلا ق الباب في حين كان فيه اخرون يرون ان الحفاظ على الا ستقلا ل يقتضي التفتح على الدنيا ، وكان العاهل العظيم يحاول الجمع بين المدارك كلها من غير اهمال للمصلحة العليا .

مكافأة العلماء

وقد اغدق المخزن على العلماء بصلا ته وعطائه علاوة على ما كان لهم من اوقاف ينتفعون بها او وصايا يتصرفون فيها . . وتدلّ بعض الوثائق على ان وزير المالية كان يشرف بنفسه على تكريم الفقهاء وارضاء رغباتهم وفق الأمر المولوى [١٠٩] .

وقد حفظ التاريخ مقادير بعض ذلك البذل مما يدل على توفير الراحة والا طمئنان لرجال القرويين ، ليظلوا متفرغين لواجباتهم الكبرى [١١٠] .

وبالاضافة إلى كل هذا كان العاهل المغربي يؤثر كبار العلماء بأوسمة فكرية رفيعة في شكل ظهائر بالتوفير ، يصدرها لبعض العلماء ، ليحمَلوا على كاهل المبرة والإعظام والرعي الجميل المستدام ، ومحاشاتهم مما عسى أن يخطر ببالِ من يريد تكليفهم ما يكلف العوام ، رعايةً لمنصب العلم الشريف [١١١]

وقد كان لهذه الخطوات المتوالية ، المادّية والروحية ، أثر قويّ في متانة معارف القوم وتضلعهم وتمكنهم ، حتى لكان قاضي فاس هو الذي يرجع اليه أمر سائر قضاة المغرب .

القرويين والسلفية

وفي هذه الأثناء كانت أصداء الحركة السلفية في المشرق ما تنفك تدوّي في بيآت العلماء الذين عرفوها منذ زمن وخاصّة منذ أيام السلطان محمد الثالث والمولى سليمان ، وهكذا بلغت أفكار جمال الدين الافغاني ١٨٩٧ أو «جنجال الدين[١١٢]» كما يسميه الافغان ، وتلميذه الشيخ محمد عبده - عن طريق الحجاج الذين كانوا يترددون على مختلف الطبقات من العلماء .

وقد كان في أشهر من ورد من المشرق على عهد السلطان المولى الحسن الشيخ عبدالله السنوسي الذي عاد مقتنعاً بالدعوة فاتصل برجال القرويين ، وحضر العاهل دروسه الحديثية بمدينة فاس ، حيث صدع بوجوب إصلاح العقيدة وفتح باب الاجتهاد والأخذ برأي الدعوة السلفية .

ونستطيع أن نتصور موقف العلماء والطلبة من الأفكار الواردة . لقد كان من الصعب على بعضهم أن يتقبلها ،

لكن البعض الآخر كان يستطيب الحديث[113] ، ويتوق أن يسمع بالقرويين ما كان الشيخ عبده يردده في مجالسه بالأزهر الشريف ،

ولما كانت أيام السلطان المولى عبد الحفيظ ، تعزز جانب المذهب بعودة الشيخ أبي شعيب الدكالي من المشرق ، وقد كان يدرس في الأزهر في الوقت الذي كان فيه الاستاذ الإمام محمد عبده يلقي دروسه في التفسير ، وكان يطالع مجلة المنار التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا . وعاش علاوة على مصر في مدينة الحجاز ، حيث كانت أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد عمت اطراف البلاد .

لقد عاد الشيخ شعيب يدعو الى تحرير الفكر من قيود التقليد ، وفهم الدين على طريق سلف الامة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى . « لقد كان الأعرابي على عهد الرسول يتعلم عن عباداته الشخصية في مجلس واحد ما يكون به مسلماً ، فصار يتعذر على المسلم الآن ان يتعلم مذهبه الديني الموروث في عدة سنين » .

« على المسلمين أن يأخذوا العقائد من القرآن من غير فلسفة فيها ، وعليهم أن يستدلُّوا بالطريقة السهلة التي سلكها الإسلام في الاستدلال . إن ما وقع فيه الخلاف في صدر الاسلام هو غير واجب ، والأمر فيه على الخيار ، فمَن ترجح عنده شيء أخذ به . »

ان الهدف هو القضاء على الخرافات الدخيلة في الإسلام ، وعلى الاعتقادات المبتدعة في الأولياء ، وعلى ما تدعو اليه الطرق المتصوفة من ضلالات وترهات . إن الهدف الحث على تربية البناتَ والبنين ، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم . . . هكذا كان الشيخ يردد في المجالس العلمية .

ولقد عمد بادئ بدء الى تدريس التفسير الذي كان يشاع « ان قراءته تنذر بموت السلطان » وأن « الخوض » في القرآن مما لا يناسب ، أفكار كانت تهدف الى إبعاد الناس عن أصول القرآن وموارده الأولى حتى يسهل تضييعهم في المعارج والمنعطفات .

وقد استعان الشيخ شعيب بنفوذه في البلاط الملكي ، ففسر ودرّس القرآن ، وحمل بعض العلماء على « الخوض » في بحور القرآن [114]

وكتب اليه . . أحدهم ساخراً : « يا شعيبُ ما نَفْقَهُ كثيراً مما تقول ، وإنَّا لَنَراكَ فينا ضعيفاً ، ولولا رهطك لَرَجَمْناك ، وما أنتَ علينا بعزيز» ، ولكن شعيباً كان ماضياً في طريقه ، يدعو بالتي هي أحسن ، وهكذا استطاع خلال الثلاث سنوات التي قضاها بفاس أن يكوّن (مدرسة) لأفكاره. وهكذا ايضاً اتجه الناس يستعرضون تلك « القائمة » من المصلحين السلفيين ، من ابن تيمية وابن حزم إلى جمال الدين وعبده ورضا .

وقد برز بعض المتأثرين بالدعوة الى الميدان ، ينتصر للسلفية ويندفع لتلك الافكار ، وهكذا نشأت(حركة)في جامعة القرويين تدعو للقيام على البدع التي كانت تزرى بسمعة البلاد ، وتدعو إلى المطالبة بوضع نظام اصلاحي للتعليم بالقرويين .

علماء القرويين في حديث بعض الأوروبيين

لا بد أن كل واحد من المهتمين بتاريخ الأندلس لاحظ الروح التي عالج بها بعض المؤرخين الأوروبيين الوجود العربي والإسلامي هناك . فقد كان المسؤول الوحيد عن « العبء » الذي كانت تنوء به الجزيرة هم الفقهاء الذين « أفتوا » بالامس لمصلحة الاستجابة من أجل إنقاذ الأندلس ، والذين كانوا يقفون وراء المرابطين والموحدين في أيامهم المشهورة . وكان كل ذلك كافياً في تصوير الفقهاء والعلماء على أنهم مصدر كل المتاعب وعنصر كل شر .

وعلى قياس ذلك اشتهر علماء القرويين في العالم الخارجي ، وفي اوروبا بصفة خاصة ، على أنهم وراء كل التشنّجات التي تنعكس ضد مخططاتهم ومشاريعهم داخل تراب المملكة المغربية . فأن الملوك دابوا على عرض الشاذة والفاذّة على أنظار العلماء االفقهاء ، فعن رأيهم ينفذون ، وبنور فتاويهم يهتدون (١١٥) .

ومن أجل ذلك اتجهت الأنظار الى « تقيّم » هذه القوة التي تكمن وراء الجدران بين أركان المساجد وخلا يا المدارس .

والحقيقة أن العلماء منذ كانوا وهم الساعد الأيمن لرئيس الدولة ، يرون في إسداء النصح له جانباً من جوانب الطاعة الواجبة له ، والإخلاص المتحتّم لجنابه . كيف والنصيحة شرط في البيعة على مايعتقد العلماء .

والعلماء في التّقدير الصادق لسائر الذين خبروهم عن كثب يتميزون بصفة شاخصة ، يسميها أصدقاؤهم « تركيزاً » ويسميها خصومهم « تركيبا » .

ذلك « التركيز » أو هذا « التركيب » ، يجعل تسخيرهم وتذليلهم أمراً ليس بالهين على كل حال ، فهم اذا أمروا لا بدّ أن يحسبوا الحساب لآثار هذا الأمر ومدى الفائدة من امتثاله ، فهم لا ينفّذون بسهولة ، وهنا كان الخلاف في : هل يدل هذا « التركيز » على أنهم أصحاب أصالة في عقيدتهم ووطنيتهم واستقامتهم الزائدة ، أو هو « تركيب » يجعل منهم ناسا مترددين موسوسين متشككين فيما يملى أو يعرض عليهم من أقوال وأفكار .

كنت محتاجاً الى هذه المقدمة لأحاول شرح نفسيةٍ لطبقة مهمة من طبقات المجتمع ، تنعم على الدوام بمركز مرموق فيه ، وتظل تفرض نفسها على مختلف الفئات فيه ، وأظنني مؤهلا – بحول الله – للقيام بتلك المحاولة ، لأ نني أعد نفسي – وهذا رصيد ثمين بالنسبة اليّ – واحداً من اولئك الذين عاشوا فترة مهمة من حياتهم بين تلك الأركان والأساطين .

ما انفكت زيارات الأوروبيين تتوالى على فاس باستمرار ، على ما رأينا في مختلف العصور ، في العصر الأول من تاريخ القرويين ، وفي العصر الثاني ، وفي هذه المرحلة كذلك .

وقد قرأنا عن باديا لوبليش (BADIA LEBLICH) الذي زار فاسا على عهد السلطان المولى سليمان ، حاول « أن يلقي الشك – على حد قوله – في معلوماتهم لكي يصلح من احوالهم ! »

ويلاحظ أن الرغبة في « اصلاح الأحوال » أخذت تتضاعف مع اقتراب الأطماع ، وهكذا نجد العامل الصّليبي يتضافر مع العامل السياسي ، لتجنيد كل الطاقات ضدّ كثافة الحجاب التي حرص العلماء على ضربها بينهم وبين الأفكار الدخيلة !

ولنسمع الى حديث القبطان اركمان (ERCKMANN) الذي كان يرأس البعثة العسكرية الفرنسية (١٨٧٧ – ١٨٨٣م) في المغرب ، فقد قال في كتابه « المغرب العصري » Le Maroc Moderne في علماء القرويين بصفة خاصة : . . . وهم ذو رؤوس قوية تتبوأ مكاناً في دار المخزن والسلطنة ، ومواقفهم في المعارضة مشهورة . وقد كان لهم تأثير في اختيار الملك وتعيينه .

وهذا وحده دليل على أن لهم ضلعاً قوية في الميدان السياسي ، فهم اذن ليسوا مقتصرين على الدّين كالشأن في الرهبان . وانه على منابر القرويين تتلى مراسيم الدولة ذات الصبغة الخطيرة [١١٦] . . .

وقد كان مما شجّع المتكلّمين ضدّ القرويين ضعف العلوم البحتة في بيآت الجامعة للحصار الذي ضرب عليها بالرغم من المحاولات المتعددة للاستفادة مما جدّ مما تفسره البعثات إلى الخارج .

وقد وجد المغرضون ترويحاً عن النفس فيما حكاه الكاتب المتطرف رونان (RENAN) ١٨٢٣ – ١٨٩٢ عن الفقهاء والعلماء [١١٧] الذين يفترسون الوثائق ولا يهضمونها ، يبتلعون العبارات كما يحفظونها ، ولا ينسقون بين معارفهم ، حتى إنك لو حاولت استخراج ما عندهم لا ستطعت أن ترْجع كل جملة الى مصدرها ، وكلَّ قولة الى صاحبها . . .

بمثل هذه التقديمات كان بعض الكتاب من الأوروبيين يقدمون العلماء ، وما من شك في أن القصد ليس النيل منهم بقدر ما هو قصد للنيل من الحكم بالمغرب الذي يحتمي بمثل هؤلاء ، واظهاره على أنه أداة عاجزة .

ويظهر أن في بعض الجهات الأوروبية الحرة . من تشككت فيما كانت تنقله التقارير الأجنبية عن هؤلاء العلماء فقرّرت أن تبعث بعض مندوبيها للاتصال مباشرة برجال القرويين ومحادثتهم ، وإعطاء فكرة عن مستوى تفكيرهم .

وقد بعث موليراس من لدن الأكاديمية الفرنسية في مطلع القرن العشرين (١٩٠٠م) ليتصل برجال الفكر في المغرب ، لكن قنصلية فرنسا في مدينة فاس كانت ترى أن من التجاهل لمقامها أن يباشر مثل هذا العمل من غير أن يكون على طريقها ، أو بالحري انها كانت ترى ان الاعتماد على تقاريرها وحدها كافٍ .

ولما ضربت « الأكاديمية » صفحا عن القنصلية ، أوعزت هذه الى أحد صنائعها آنذاك ، وطلبت اليه أن يعمل على إحضار أحد المنتسبين للقرويين ، ثم « شحنت » فكرة هذا الذي سيحضر بأن الذي سيخاطبه يريد شراً فعليه أن يضلّله في الجواب ويعمّي عليه الطريق [١١٨] ! !

وهكذا قامت القنصلية بدور « دمْنة » فكان الحديث التالي الذي ظل « لازمةً » ترددها جل المصادر المغرضة التي تحدثت عن القرويين .

كان اليوم الاثنين من ابريل ١٩٠٠ م حيث جمع الميعاد بين الشيخ أبي بكر بناني والاستاذ موليراس الذي كان يصحبه ثلاثة : كَابار ، وهير ، وبيلو.

– يقول موليراس – كان العشاء عند مولاي علي الكثيري ، حيث اجتمعنا بالعالم « الفاناتيك » بوبكر بناني القاضي سابقاً بمراكش والصويرة والأستاذ حالياً في الكلية ومن علماء الطبقة الأولى للقرويين .

لقد كانت لي رغبة في التعرُّف على العلماء الذين كانوا تيجان عاصمة المغرب كله ، وتحققت « المعجزة » حين اجتمع في حجرة واحدة ، طالب مسيحي متأثر بعض الشيْ بالأدب العربي و« بحر» عميق في المعرفة الإسلامية .

وأخيراً حضر سيدي بو بكر وتقدم نحوه مو ليبراس لتحيته ، وفي غير ما لياقة فاتحني بهذا السؤال : « إنّكم ، يا قضاة النصارى ، لا تتورّعون عن تناول الرشوة بدون استثناء ! »

فاجبته : « أيها الفقيه ، لقد قال نبيّكم : « قاضيان في النار ، وقاضٍ في الجنة » . ولكنه هل قال كلمة واحدة ضد القضاة المسيحيين ؟ إن نبيكم كان على علم من أن الأمر على العكس : تسعة وتسعون من المسيحيين للجنة ، وواحد للنار ! . . » لقد كان عالم القرويين يجهل دون ما شك أنني أمتلك سلاحاً أستطيع أن أقهره به .

وقد توجه اليّ هـذا الرجل « اللبق » بسؤال ثان دون ما استهلالٍ ولا ديباجة : « هل يحرم الإنجيل السرقة والكذب والزنا والآثام ؟ » فسألته : وماذا تعلم عن الانجيل ؟ هل قرأته ؟ فأجابه الشيخ مشمئزاً : أبدا . فقال موليبراس : اذن كأننا نتحدث عن لون الهواء الذي لا يمكن لشخص أن يعرفه ، فهل رأيت لون الرياح ؟ فأجابه بناني : لا ، فقال موليبراس : ولم لا يمكنك أن تتحدث لي عنها ؟ – لأنني لم أرها قط – فكيف أمكنك اذن أن تتحدث عن الإنجيل ولم تعلم عنه شيئاً ؟ !

وساد الجو نوع من التوتر . ولكن بعد تناول العشاء والسجاير ، توجّه إلينا الشيخ ومن دون ما أن يتنازل لاستعمال كلمة (سيدي) معي ! فقال :

على أي شيء تعتمدون أيها المسيحيون في الحكم ؟؟ فقلت له على القانون ، فتعالت قهقة الرجل ! وهنا اتجه اليّ أحد الحاضرين يقول لي : إن الفقيه يسأل : أعندكم قانون ؟ فقلت له : قل للفقيه الذي يسألني بهذه الكيفية إنه يمكنني من وسائل الانتصار عليه ! إني أعرف لغته ودينه وتاريخ أمته ، في حينٍ لا يعرف هو شيئاً عن المسيحيين . وسألني الشيخ : ما الكتب التي قرأت ؟ فذكرت له عدة كتب : القرآن ، الحديث ، البخاري ، سيدي خليل ، ابن عاصم ، ابن هشام ، ابن خلدون ، العقد الفريد . . .

وهنا قاطعه الشيخ : العقد الفريد ؟ إنه دون شك كتاب للنّصارى ! . ولما ذكرت له كتاب ابن الاثير ، وكتاب الأغاني ، تساءل قائلاً : إنها كتب لا تتحدث عن الله ورسول الله . واسترسلت أتمم اللائحة : والحريري ، والمعلقات ، واليازجي . وعرجت على كتاب لأحد المعاصرين هو كتاب الاستقصاء سائلاً الشيخ : « هل سمع بهذا الكتاب ؟ فقال : نعم نعم ، ولكن هل تعرف الإعراب ؟ أفتستطيع أن تعرب لي : « قام زيد » و« تفقع زيد شحماً » !

وهكذا أساء أبو بكر فهمي مرة أخرى عندما كان يطلب اليّ مثل هذه الأمور التافهة ، ولكنه هل وقف عند هذا الحد ؟ لقد ألقى اليّ بمثال ثالث : « جاء زيد راكباً » . وبعد أن اجبته ، قال : فلنترك هذا . . .

وهنا انتقل الشيخ الى السوءال القضائي : « وكيف تفصل أنت ورفاقك القضاة المسيحيون في هذه النازلة التي أضعها أمامك » :

اشترى رجل حماراً بخمسين فرنكاً ، وأراد أن يسوقه الى بيته ، وفي أثناء الطريق أصاب الحمار مغص ، فرمى من مؤخرته بروث أصاب العين اليمنى من المشتري ، فعطبت ، فهل يرد الحيوان ، ويطالب بالثمن ؟ وهل له الحق

في التعويض ، لما أصابه ؟ !

وهنا يقول موليراس مع نفسه . « افبهذا يشتغل هؤلا الفقهاء الذين يقودون مصير بلد عظيم كالمغرب ؟ » .

لقد قرأوا كتاباً واحداً هو القرآن ، حفظوه عن ظهر قلب على نحو ما تفعله الببغاء ، وأضافوا اليه بعضاً من الزوائد في التوحيد والفقه والنحو ، وحفظوها عن ظهر قلب دون مناقشة ودون أن يستوعبوا معناها ، وخارج هذا الإطار لا شيء ، وأكرر لا شيء . . الفراغ المطلق .

وقد ساورني هاجس آخر : ان هذا « الفاناتيك » يشعر الآن بأنه في شيعة من قومه ، أفترى موقفه يظل هكذا لو كانت رايتنا المثلثة الألوان تخفق فوق أسوار فاس ؟ !

واستمر الحديث . . . فسأل موليراس : أتدرسون الجغرافيا في القرويين ؟ الجغرافيا ؟ - أنا لا أعرف مدلول هذه الكلمة ! - فهل تعرف اذن الدول الكبيرة التي على وجه البسيطة وعواصمها ومواردها وأسماء البحار بها وأنهارها وجبالها ؟ - وأي جدوى في معرفة هذه الأشياء ؟ - يكفي جدوى لذلك أن تتعرف أحوال البلاد والشعوب الأجنبية لبناء أواصر الحب معها ، أو على الأقل لتبادل الاحترام معها ، وعدم السخرية بها من غير موجب - وأنتم هل تحبون البلاد الأجنبية ، أيها المسيحيون ؟ - إن الجاهلين منا (وقد بقي منهم عدد قليل) لا يحبونها ، بَيْدَ أن علماءنا (وعددهم في تزايد) لهم علاقات ودية مع ناس آخرين من جنسية أخرى ، ودين غير دين المسيح ! - ولم يطلب اليكم الانجيل أن تتجنبوا العلاقات مع من يناهضون دينكم ؟ - نحن لا نهتدي بالانجيل في طريقنا - وبمن تهتدون اذن ؟ - بالقانون - ومن أعطاكم هذا القانون ؟ - المبدأ الذي ظل قانوناً لنا هو إسداء الخير للناس وتجنب الحاق الضرر بهم - أفهذا كل ما في دينكم ؟ - نعم ، وهذا هو دين العالمين الذي سيدين به الناس في المستقبل - إن دين العالمين هو الاسلام - إن المسيحية واليهودية والإسلام ، كل هاته الديانات سيمتد بها العمر ، لا أدري الى متى ؟ ولكن الذي لا مراء فيه هو أن فعل الخير سيكون النموذج الدائم والدين الوحيد لكل الرجال الذين ينعمون بعقل وقلب - ألا تحملون حقداً على المسلمين ؟ - إن المسلمين واليهود والمسيحيين وعباد النار والبوذيين كذلك . كل هؤلاء بشر مثلنا ، فهم اذن جميعاً إخوان ، فلا نبغض أحداً - الخلاصة إنكم لا تعتمدون على دين معّين ، ولا معتقد عندكم - وهَلْ تعتقدُ أن أن هذا لا يغني عن الوضوء والصلاة والصيام والجهاد من هذه المظاهر التي عجزت أن تحقق السعادة للانسانية ... ؟ - فليس لك إذن دين على الاطلاق ! - معك حق ، فان الإخاء العالمي يكفينا ! لا تحتقر أحداً .. وابذل حبك للجميع ، واعطف على الحيوان - ومن الذي لقنك اذن حب العالمين من غير تمييز في الجنس والدين - الفلسفة ؟ الفلاسفة من أهل جهنم ! - يا رجل ! هل قرأت كتب الفلاسفة ؟ أم هل تعرف فقط أسماءهم ؟ - أبداً - لعلكم لا تدرسون الفلسفة في القرويين ؟ - نحن نكتفي بقراءة كتاب الله - والتاريخ هل له نصيب عندكم ؟ - ولا هو كذلك ! - لا جغرافيا ، ولا فلسفة ، ولا تاريخ ؟ - أبداً - واللغات الحية ؟ - وماذا عسى أن تعلمنا اللغات الحيّة ؟ - إنكم بواسطتها تقفون على كثير من الأمور ، وعن طريقها ستنفذون الى عالم مجهول عندكم ، عالم الفكر ، نعم ستكسبون حياة جديدة - إنك تشجعنا على « لغة النصارى » وعلى دراسة الجغرافيا والتاريخ ، فلنفرض أننا تعلمنا كل هذه الأشياء ، فإلى مَن سنصبح أمثالاً - ؟ ستصبحون أمثالاً لنا - تعني مسيحيين ؟ - نعم - .

وقد اعترف موليراس بأن كلمة « نعم » هذه كانت منه طائشة ، وقع بسببها في شَرَك ! فلقد صاح الشيخ بوبكر مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم . . . وكاد يستلقي على قفاه من كثرة الضحك ! !

واستأنف موليراس الحديث ، ليعيد الى ذاكرة الشيخ أن أغلب الدول الأوروبية اليوم ترتكز على قوانين إنسانية ، وأنه لمن المنطق أن ندعو هذه الامم بالأجناس المتمدنة لا بلفظ « النصارى » ، لكن الشيخ تجاهل هذا ليلقى سوءالاً آخر : وأنتم ، أيها النصارى ، هل تؤمنون بمحمد ؟ – وكيف لا نؤمن به ؟ – لكنكم لا تتبعون شريعته ؟ – إن اتباع الشريعة شيء ، والايمان شيء آخر ! ! . . . وأنتم ، أيها المسلمون لماذا تؤثرون نبيكم على الآخرين ؟ – لأن محمداً هو خاتم الانبياء – ومعنى هذا أن الأديان الأخرى أسست على الباطل – معاذ الله أن أقول ذلك – فلم إذن التفرقة بين هذا وذاك – ولماذا هذا التقاتل باسم أولئك الرجال الأطْهار ، هل تعتقدون أن هناك فرقاً بين دماء أبناء البشر؟ فأجاب الشيخ : لا – وهنا قال موليراس : إستمع الى ما أقوله لك : إن المبدأ الجديد الذي ترتكز عليه الحكومات الأوروبية هو : آمنوا أولا تؤمنوا ! أعبدوا أولا تعبدوا ! ولكن المهم أن لا تلحقوا الضرر بأخيكم الانسان .

ويذكر موليراس أن مخاطبه سأله : « لماذا لا يرتدي البذلة الإسلامية » ؟ فأجابه إنه لخير بكثير أن تجعل على رأسك قبعة ، وأنت تحسن معاملة الناس ، من أن تجعل على رأسك عمامة وأنت تسيء اليهم !

وقد جرى الحديث بينهما في المواد التي يعنى بها رجال القرويين ، وقد نقل عن الشيخ قوله : « إننا نبدأ باستظهار القرآن لأنه قاموس المسكين ! فأجابه موليراس : » أما نحن فنكتفي بمطالعة العدد المهم من المؤلفات التي تنوّر معلوماتنا في الوقت الذي تصرفون عشر سنين منه في الاستظهار ، وعشراً منه في محاولة فهم ما استظهرتم ! عشرون سنة تصرفونها في الاقتناع بأمرين : كن مسلماً ! حارب الكفار ! فهل تُعْنَوْن بالعلوم الرياضية ؟ – هناك قليل من الناس يشتغلون بهذه العلوم ، ولكن خارج القرويين – والطب ؟ – هناك ناس يدرسونه – في القرويين. لا – لقد فهمت ، لعلَّ الأمر يتعلق بالطلبة الذين يكتبون الرقي والتمائم – ؟ – هو ذاك ! – والتّنجيم والجبر والكيمياء والهندسة ؟ – نشتغل بعض الشيء بالحساب ، لأنه وسيلة لاقتسام الميراث ، فلِمَ العناية بالأشياء الأخرى ؟ .

وقد سجل موليراس هذه الانطباعات الأخرى : « إنه على عاتق الدولة الأوروبية أن تنزل الضربات التي لا ترحم بمناهج التعليم في مساجد المغرب حيث يترعرع « التّعصّب » ، وينمو منذ قرون في أذهان الطلبة والأساتذة على السواء ، هؤلاء الذين يلهبون قلوب الجماعات الشعبية بشعور الكراهية ضد من ليس مسلماً !

وقد فضل موليراس أن يتصل بشخصية أخرى من رجال القرويين حتى تكون لديه الفكرة واضحة عن المحيط الذي يهتم به . .

وقد أتاحت الفرصة هذه المرة أن يتصل بعالم آخر ، هومولاي أحمد بن المأمون البلغيثي القاضي سابقاً بالصويرة ، ويعد من علماء الطبقة الثانية .

كان ذلك يوم الأربعاء رابع ابريل ، فكيف كان مولاي أحمد في نظر موليراس ؟ لقد كان الثاني كالأول عجرفةً وبهالة[119] ! بيد أن أحمد كان أفطن من بوبكر ، إنه كان يتجنب التعريض بنفسه للخطر ، إذ كان يكتفي بالايماء برأسه نفيًا أو اثباتًا ، وخيّب الحاضرين من المسلمين ممن وردوا لمشاهدة هذا الحوار الذي كان على مأدبة الحاج محمد الزمراني .

يقول موليراس : ولكن سرعان ما نشبت المعركة الفرنسية المغربية ، وذلك عندما استعملت لفظة شرح عوض كلمة تفسير عندما جرى الحديث حول تفسير البيضاوي .

فهنا انتصب ابن المأمون ليصلح الخطأ قائلاً : « ليس شرحاً ، ولكنه تفسير ! – وأي فرق في المعنى بين لفظ شرح وتفسير ؟ أليسا مترادفين ؟ ألا تعلم كم في لغتك العربية من مترادفات لكلمة شرح ؟ – لا علم لي بذلك ! – كيف تجهل – وأنت قاضي العالم – مترادفات تستعمل بالتواتر في كتبكم المتداولة . فكم من كلمة تحفظ تؤدي معنى الجاموس ؟ هل تعلم ان له خمسة الآف وسبع مئة وأربعاً وأربعين كلمة ، فهل تذكر لي عشراً فقط من بين ذلك العدد مما أطلق على مطيتكم في الصحراء ؟ والأسد ؟ هل تعلم كم من اسم له في العربية ؟ ويقول موليبراس إنه بعد صمت طويل ، أجاب الفقيه النحوي : ألاحظ أنك تشتغل بعلوم الأدب ، إننا في القرويين لا نشتغل بالأدب الا قليلاً ، وان دراستنا تنصب على الدّين ، فقلت له : تعني معرفة الله ؟ ويذكر موليبراس لمولاي أحمد حكمة لحكيم هندي : « قبل أن تبحث عن معرفة ما هو خارج عن عالمك ، ابدأ بالحديث عن نفسك . ويضيف الى هذا قوله : وكما قرأت عن أحد الفلاسفة اليونانيين الأقدمين ممن تجهل اسمه من غير شك ونسميه نحن سقراط ، انه كان يعتاد أن يكرر بلا انقطاع امام تلامذته أنه من الواجب أولا أن يعرف المرء ما يحيط به ، ثم إذا كان لنا متسع من الوقت فليس بمحظور أن نلقي نظرة خاطفة على غير المرئيات والخفيات .

هذا حديث موليبراس الى الشيخين بناني والبلغيثي ، أوردته بنصه ، لما يدل عليه من كثير المعاني .
وهل نصدق أن السيد بوبكر بلغ به الهوج الى أن يتحدث ببعض ما تحدث به ؟ ثم مولاي أحمد البلغيثي ؟ ألا يعرف بحق فنون الأدب ، وهو صاحب الآداب ، الرقيقة الرفيعة ؟ أيجهل المترادفات ، وهو صاحب المؤلفات الطوال في المترادفات ؟

ان المسيو ميشو بيلير هو وحده الذي اهتدى لأسرار هذا « الحوار المحموم » الذي حضَّرت القنصلية لاخفاقه تحقيقاً للاغراض التي عرفناها فيما تقدم ...

الحماية الفرنسية والقرويين (الصراع بين القصر والاقامة)

لابد ان لا تبقى القرويين بعيدة عن الاحداث المتلاحقة بسرعة على ابواب مدينة فاس نفسها ، كيف وهي التي كانت تتأثر بالاحداث التي تجري في الاندلس ، وعلى حدود الوطن ، ولهذا نلاحظ بوضوح فتور الحركة العلمية بالبلاد لاتجاه الرأي العام كله نحو تقدير المؤامرات التي تهدد البلاد .

وقد حُركت ضد السلطة المركزية عناصر الفتن ، للتشويش على العاهل المولى عبد العزيز ، وهكذا تحرك اصحاب الحمايات[١٢٠] للتشغيب على قوانين البلاد ، ودبرت الثورات هنا وهناك لإستنزاف ما تبقى من اموال الدولة ، وكان من اخبث هذه التمردات حركة « بوحمارة »[١٢١] التي اوهنت قوة الملك الذي بذل مجهودات لتلافي « ملابسة الافرنج » .

واملاً في الاستفادة من الآراء أنشأ السلطان مجلساً للشورى لكن المستشارين كانوا يرجعون اليه القضايا التي طلب فيها رأيهم مكتفين بالتعليق على هامشها بالقول : « الخير فيما اختاره سيدنا السلطان » ![١٢٢]

وتبوأ اخوه السلطان المولى عبد الحفيظ عرش المغرب ، وكان من ذوي الكفاية والخبرة فاعطى القرويين من هوايته

العلمية ، وطبع المخطوطات ، وامر بالتآليف ، وشجع المجالس[١٢٣]، لكن الدسائس الاستعمارية كانت في تسابق معه ولولا نفحه من الله هدته ذات غداة ، لكان المغرب قد أسلم أنفاسه على يد بعض المتضلعين[١٢٤] .

لقد وجد السلطان المولى عبد الحفيظ نفسه أمام أحد شيئين : فاما أن يثبت مؤقتاً ، ولكن الى الاستسلام عنوة، وهكذا يكون متنازلاً عن تاريخ أمة من غير أي صك يثبت وجودها ، ويعترف بكيانها ! . . وإما أن يقبل التوقيع على بنود معاهدة ، فيعطي للبلاد نفَساً جديداً .

وما كان أوقع « الأيام الثلاثة الدامية »[١٢٥] في نفسه ! تلك الأيام التي كانت فاس مسرحاً لها على اثر ذلك التوقيع المفروض فقد كانت بمثابة التعبير بالخط الأحمر على ما كان يُبديه السلطان من مخاوف ، وما كان ينذر به من مقاومة من جانب الشعب .

* * *

لقد تُنوسيت الإفادات والشهادات التي أديت عن القرويين من كل الذين تحدثوا عنها حتى حوالي هذا التاريخ ، وهكذا ضرب الناس صفحاً عن حديث كابر بيل شارم : فمن كل الجهات في إفريقية تنهال على القرويين أفواج من الطلبة ليكونوا أنفسهم ، وتجاهلوا شهادة ديلفان : « أن أولئك الأساتذة الذين تتلألأ بهم مستعمراتنا أخذوا معلوماتهم من القرويين ، وقد كنا مضطرين الى الاعتراف للطلبة الذين تخرجوا في القرويين بأنهم ذوو كفايات أعلى من كفايات الذين درسوا في جهات أخرى . »

واختفت اعترافات هنري كاريار بان سمعة القرويين كانت مثار انتباه سائر طلبة الشمال الإفريقي الذين يردون عليها للتزود من معينها ، كما اختفى نعت ريكار لها بأنها « السوربون المغربية » .

كل ذلك – ومثله كثير في أقوال المنصفين – طغت عليه تُرَّهات « رونان » « وايركمان » « ومولييراس » ، مما ظهر في أقلام بعض الذين تحدثوا عن القرويين ، وخاصة بعد أن قامت فاس بثورتها الدامية في أعقاب التوقيع على معاهدة الحماية .

هناك قرأنا أيضاً فصولاً سوداً عن فاس « المدينة المجرمة » كما سماها « الجنرال مواني » . وعن علماء القرويين الذين نعت المريشال ليوطي جامعتهم بأنها « البيت المظلم » .

كان فيهم من يرى أن القرويين لو ظلت مرتبطة بأوربا بسبب من الأسباب لكان يمكن أن يكتب لها النجاح ولكن لما انقطعت الصلة بأوربا ، أخذت في الانحدار وأخذ علماؤها في التبدد والتشتت[١٢٦]

وفيهم من نعتها « بمقبرة الفكر » ! حسب رجالها ان يعلموا ما كان يعلمه اسلافهم منذ عشرة قرون ! العلم بالنسبة اليهم حافظة واسعة ولا يمكن ان نتوقع من عالم الجرأة على اختيار من عنده لمذهب ما او قول ما او فكرة ما غاية علمهم ان يردّدوا : « قال خليل كذا . . وشرحه الزرقاني بكذا ، بيد ان بناني عقب بكذا ، لكن الرهوني لا يشاطره في الرأي ، ومع ذلك لم يتصور كنون المسألة كما ينبغي ! افكار موزعة . . قد يقال ، ويمكن ان يجاب[١٢٧] » ! !

لقد ورد في تقرير لعميد السلك الدبلوماسي في فاس ان عدد علماء القرويين كان عند اقتحام الجيش الفرنسي

للمدينة بلغ مئتي عالم . وانهم كانوا وراء التمرد على الجيش .

لقد صرع المجاهدون في سوح المعسكرات ، والقي بعدد منهم في غياهب الاعتقال ، وخفتت اصوات البندقيات وفوهات المدافع ، لكن الصراع تحول الى ميدان آخر لم يكن غير ميدان القرويين ، فان مهمة الذين اقتحموا البلاد كانت تتجاوز الى الاجهاز على مقومات البلاد ، وعلى اللغة والدين معا .

ولو يحاول المؤرخ ان يستوعب مظاهر الصراع بين القصر والاقامة حول هذا الموضوع ، لكان عليه ان يكرس مجلدات على حدة حتى يعطي فكرة عن ذلك الصراع .

« اذا لم نعمل على تطورها ، فان ذلك التطور سيتم بدوننا وضدنا » هكذا كانوا يرددون ، ولهذا قررت فرنسا ان تتدخل ، ولكن هناك اسئلة طرحت أمامها : كيف ، وبأية نية ؟ وتم الاتفاق على ان الشرط الاول والاساسي هو ان يتم الاصلاح في غير الاطار الاسلامي ! !

وهنا اصطدموا بالمعارضة الشديدة ، وكان في صدر من قابل هذا الشرط بالسخرية هو القصر الملكي ، ولقد لقي الملك المولى يوسف رحمه الله عنتاً شديداً لما واجه هذا الموضوع الذي لم يكن يفكر أنه سيطرح في يوم من الأيام . وهنا وجد الفرنسيون الحل مع أنفسهم : "Ne pas toucher à ce que désésperé et mort"

: لا يمس المريض الذي يعاني السكرات ، أو بالحري يترك للموت الذي ينتظره ، فلتحتفظ بالمظهر الخارجي . اذن بالمظهر الخارجي للقرويين حتى تسلم الروح من تلقائها .

وهكذا سجل التاريخ المغربي أن أول اختلاف في وجهة النظر بين الإقامة والقصر كان بسبب القرويين

وكان السلطان المولى يوسف ثالث الملوك المنظمين لجامعة القرويين ، فلم تمر على جلوسه بضعة أيام على عرش أجداده حتى جمع أوائل شتنبر عام ١٩١٢ م (رمضان ١٣٣٠ هـ) هيئة مهمة من العلماء وقال فيهم : « تعلمون مدى اهتمامنا بالقرويين[١٢٨] وإنه نظراً لتطور الأحوال هنا فإن رغبتنا أن تتطور هي بدورها ، فتصبح خاضعة لنظام معين كسائر المؤسسات العصرية ، لذا جمعناكم هنا . إننا ننتظر منكم أن تهيئوا لنا تقريراً . إننا نريد أن نعرف على أي صفة في نظركم يمكن أن تدخل في القرويين بعض المواد الدراسية التي تقتضيها الظروف .

وتصدى للكلام احد السادة العلماء من الطاعنين في السن ، وكأنه كان يشك – والعهد حديث بالغزو الفرنسي – في كل ما يأتي به ذلك العهد الجديد ، وتوجه بالحديث الى المولى يوسف : « إن القرويين من جهة تنظيمها تفوق سائر المعاهد ، وإنها تصل الى درجة لم تعرف عنها في تاريخها القديم

وجمع العلماء مرة أخرى ، وفي هذه المرة كان الاجتماع عند الصدر الأعظم الذي أكد لهم الرغبة اليوسفية ، وكان جواب العلماء سواء منهم أصحاب « اللحي البيض والسود » بصوت واحد : « أبلغوا سيدنا الإمام أننا جميعاً في خدمته وأننا سنكون خير مساعد له في سبيل تحقيق آماله في القرويين » .

وشرع العلماء فوراً في القيام بالواجب الملقى على عاتقهم ، ولم يلبثوا أن وجهوا رسالة بليغة الى « أمير العلماء وعالم الأمراء » يعترفون فيها بأن القرويين تحتاج حقاً الى اصلاح ، ويضمّنون الرسالة نتيجة استشاراتهم في مشروع من تسعة

عشر فصلاً حول تنظيم القرويين مع التنبيه على إمكانية مراجعة القوانين على رأس كل عشر سنين[١٢٩]

ورأت الإقامة ان المشروع يتقدم بسرعة ، وان جماعة مهمة من العلماء قد تعود الى الميدان ، فماذا يفعلون ؟ وعن أي طريق تتم العرقلة ؟ ورأوا أن يعتذروا بأن الميزانية لا تقبل أكثر من اثني عشر عالماً[١٣٠] يمكنهم التدريس بالقرويين

وتطاير الخبر الى فاس فتسارع العلماء إلى العرائض ! لقد وجهوا للمولى يوسف رسالة في ٧ ذي القعدة ١٣٣٠هـ . (١٨ اكتوبر ١٩١٢م.) .

« لقد طرق سمعنا أنه سيقع الاقتصار في تقييد أسماء العلماء على اثني عشر ، مع أن الذين يقوم بهم هذا الوصف بالقرويين يقرب عددهم من السبعين ، فالمرجو من جلالتكم النظر في هذه المسألة » وأضاف العلماء التماساً : بأن يسند النظر في أمر العلماء ومراتبهم لنخبة من علمائها ، واقترحوا عليه اسماء معينة[١٣١]، لكنهم فوضوا له أمر الاختبار في الأخير . بَيْدَ أنّ المولى يوسف ساندهم في الأمر الأول من طلبهم ، الا ما يتعلق بالأشخاص فقد كان هناك رأي خاص .

إنشاء المجلس العلمي

ولم يكن ذلك الرأي غير طريقة الانتخاب ، وقد حبذت الإقامة العامة الرأي ، ولكنها اقترحت فرض الرئيس[١٣٢]، وهكذا عقدت جلسة تمهيدية لتحضير المجلس العلمي المنتظر ، وكان هذا يوم الخميس ٢١ جمادي الآخرة ١٣٣٢ هـ (١٧ مايه ١٩١٤م) ، ثم انعقد جمع ضم جل العلماء الذين أذعنوا لهذه الاجراءات[١٣٣]، وقد تمت عمليات الانتخاب لتسعة اعضاء[١٣٤] فكانت النتيجة : الرئيس محمد الحجوي (بالتعيين) ، أحمد ابن الخياط نائباً للرئيس بمئة صوت وعشرة أصوات ، أحمد بن الجيلالي بتسعين صوتاً ، أحمد بن المواز ٨١ صوتاً .

وكانت الجلسة الافتتاحية تحت رئاسة الخليفة السلطاني سيدي محمد المهدي شقيق السلطان المولى يوسف وحضور نائب المقيم مارسي والقبطان ميلي على الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة بعد الزوال بقصر البطحاء في يوم الثلاثاء ١٦ شهر رجب سنة ١٣٣٢هـ الموافق ١٠ يونيه ١٩١٤م حيث تبودلت الخطب بين الحجوي ومارسي[١٣٥].

وفي يوم الثلاثاء ١٢ شعبان ١٣٣٢هـ (موافق ٧ – ٧ – ١٩١٤ م) عقد المجلس العلمي جلسة خصوصية قصد انتخاب رئيس له خلفاً عن الحجوي الذي كثرت مشاغله في مندوبية المعارف ، فأسفرت النتيجة عن فوز سيدي أحمد ابن الجيلالي ، لكنه اعتذر وأعيد الانتخاب ثانية ففاز الشيخ سيدي أحمد بن الخياط . . ثم ورد كتاب من العدلية باقرار ما تم عليه الأمر .

ورغبة في ان لا تبقى القرويين معرضة لأي تلاعب ، ضمّ المولى يوسف إدارة المعارف الدينية الى وزارة العدلية التي كان على رأسها آنذاك العلامة السلفي الشيخ أبو شعيب الدكالي .

ونفذ الأمر بذلك ، فصدر في الثاني عشر من شهر رمضان عام ١٣٣٢ هـ الموافق ٤ غشت ١٩١٤ م في هذا الموضوع « رغبة منا في تحسين هيأتها ، وعود كليات الديانة الاسلامية الى نضارتها وزهرتها[١٣٦] » .

ولكن هل كان هذا كافياً ؟ لقد كان الانخراط في سلك العلماء يتم على العموم بالإجازات ، ويعتمد في الترقي على ما يحصل عليه العالم من اقبال ونبوغ وشفوف ، الى أن أسس (المجلس العلمي) فلما مضى عليه نحو من سنة ورد

الأمر بجعل الانخراط في صفوف العلماء متوقفاً على النجاح في الامتحان[١٣٧]، وكان هذا بمقتضى رسالة مخزنية في ٢٠ جمادي الأولى من عام ١٣٣٣ هـ (٥ ابريل ١٩١٥ م) بتوقيع الشيخ أبي شعيب الى الشيخ أحمد بن الخياط[١٣٨].

ولما كانت رواتب العلماء ما تزال زهيدة، وكانت بالمجلس العلمي حاجة الى هيئة اعلى تراقب اعماله، وكان سير الدروس محتاجاً الى من يضبط اوقاتها، صدر ظهير آخر في ١٦ شهر ربيع الآخر ١٣٤٦هـ (١٣ اكتوبر ١٩٢٧م) يحدد موقف المخزن من النقط الثلاث:

« لا يغرب عن علمكم ما لنا من الاهتمام الكلي بالعلم والعلماء، وما قام به جنابنا الشريف من تمهيد الوسائل التي تتحسن بها حالة التعليم اذ انتشار العلم في الأمم هو الشرط الاساسي لحياتها، وحفظ كيانها وشريعتها[١٣٩]. ولهذا فقد اصدرنا امرنا بترقية رواتب العلماء . . »

ويجعل الظهير للعالم من المرتبة الاولى مئة بسيطة شهريًا، ومن المرتبة الثانية ستين شهريـاً، ومن المرتبة الثالثة أربعين، ومن الرابعة ثلاثين . . هذا بالاضافة الى الصلات السنوية.

كما ينص الفصل الثاني من الظهير على أن شئون القرويين تبقى منوطة بالمجلس، وانه قد تأسس بالرباط « مجلس أعلى » برئاسة السلطان المولى يوسف، يتركب اعضاؤه من الصدر الأعظم ووزير العدلية، ووزير الاوقاف، والحاجب. والحاجب

وأخيراً ينص الفصل الثالث على تعيين أمين ورقيب في وقت واحد، يكلف بتوزيع رواتب العلماء مع السَّهَر على تعهد اموال التدريس بحيث لا يقبض الراتب إلا من قام بالواجب أحسن قيام.



تعليقات الفصل الرابع

١) الظل الوريف : السمط السابع ازدهار العلوم على عهد العلويين ، مجلة المغرب نونبر ١٩٣٦ .

٢) كان ممن أنشدوا الشعر لدى فتح العرائش أبومحمد عبد الواحد البوعناني ، من شعره :

وفي ثغر العرائش قد تبدّى لقدركم على الشِعَري الظهور

وابو محمد عبد السلام جسوس إذ يقول :

رفعت منازل سبتة أقوالها تشكو اليكم بالذي قد هالها
يا بن النبي الهاشمي محمد قل يا أمير المؤمنين : أنا لها
فلقد قضيتم للعرائش حاجة مَعْ طنجةٍ ، فاقضوا لها آمالها
لا تسمعن من جاهل ومثبط ومصعب من جهله أحوالها
فابعث لها أهل الشجاعة عاجلاً حتى تراهم نازلين جبالها
وارفع لهذا الغرب رأساً إنه في الضعف ما دام العدا أنزالها

الاستقصا ٧ ، ص ٧٤ – ٧٦ .

٣) De l'Afrique (1667)

٤) Les Inscriptions de Fes P. 59–60.

تاريخ المغرب الدبلوماسي .

٥) ورد في رسالة ابن علي اليوسي للسلطان المولى اسماعيل : ان المولى الرشيد اعلى منار العلم بجامعة القرويين ، واوضح نهاره ، واكرم العلماء اكراماً لم يعهده ، واعطاهم ما لا يعد ، ولا سيا بمدينة فاس ، ففضح من قبله ، واتعب من بعده ، ولو طالت مدته لجاءته علماء كل بلدة . . مجلة المغرب ، نونبر ، دجنبر ١٩٣٦ .

٦) ظاهرة نبيلة ينبغي ان تسجل في تاريخ المغرب الفكري بمزيد الاكبار فنحن نرى أنه في كل مرة تم فيها تصفية حركة سياسية في البلاد من قبل الجهة الحاكمة لسبب أو آخر يعمد الى رجال العلم الذين كانوا يتزعمون تلك الحركة او يعيشون ضمنها ، فيشملون بكامل الرعاية ويلقون بالغ الشفوف ، وكثيراً ما يختارون لهم المقام بفاس لمواصلة رسالتهم الثقافية في مأمن من الاضطرابات والقلاقل . وهكذا نجد ان بني العزفي ايام بني مرين او بني الدلاء أوائل العهد العلوي عادوا يشعرون بان فائدتهم بفاس كانت اكبر منها في الجهات الاخرى – الاستقصا ٣ ، ١١٣ – الزاوية الدلائية راجع ص ٤٠٠ ترجمة العزفي ٧١٣ .

٧) الدُّرر الفاخرة .

٨) المصدر السابق .

٩) تلقى السلطان المذكور بطاقة من أبي علي اليسوسي ، ضمنها الحقوق التي تجب على الملك ، وذكر فيها ما عليه من تبعة في توزيع الأموال بالإنصاف على أصحابها ،٠واقامة الجهاد لاعلاْ كلمة الله ، والانصاف للمظلوم من الظالم ، قال اليوسي : وهذه الثلاثة قد اختلت في دولة سيدنا ، فوجب علينا تنبيهه ، لئلا يعتذر بعدم الاطلاع ! ثم أخذ في التفصيل قائلاً : ولما كانت النبوة قد انقطعت في هذه الامة ، فلم يبق الا العلماء يهتدى بهم . . .

١٠) في تاريخ المغرب الدبلوماسي – دعوة الحق ، مارس ١٩٦٩ ص ٣٩ راجع ص ٣٨٥ .

١١) كل الذين لهم صلة بتاريخ المغرب لا بد ان يكونوا ملمين بالفرق العسكرية التي كان يتألف منها الجيش المغربي ، فهنالك فيلق شراكة الذي كونه السلطان المولى الرشيد من المتطوعة الذين وردوا من المغرب الشرقي ، وهناك جيش الوادايا المؤلف من اهل السوس والمغافرة والودايا ، وجيش عبيد البخاري او (الوصفان) او عبيد الديوان كما قد يسمون ، وهذا الجيش (عبيد البخاري) هو الذي اشرف السلطان المولى اسماعيل بنفسه على إنشائه وتنظيمه

وتموينه ، وقد بلغ عدد أفراده مئة ألف وخمسين الفاً . فكان على نحو جيش الانكشارية الذي الفه السلطان سليمان القانوني (ت ١٥٦٦ م) من أوربا ، وقد اختار له العاهل اسم (عبيد البخاري) او «البواخر» كما تسميهم العامة ، لانه جمعهم أول الأمر واحضر مخطوطة من صحيح الامام البخاري وخطب في ضباط الجيش قائلاً : انتم وانا عبيد لسنة رسول الله المجموعة في هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل . . . وطلب اليهم اداء اليمين على البخاري ، وامر بحمل تلك النسخة التاريخية عند الحروب امام الجيش تيمناً وتبركاً . الاستقصا ج - ٧ ص ٤١ - ٤٢ - الروضة السليمانية ، مخطوطة بالخزانة العامة ص ٦٧ . درة السلوك - مخطوط بالخزانة الملكية . الاعلام بمن حل مراكش من الاعلام Hes 1923 Fase I الاتحاف ١٤ ، ١٠ - المنزع اللطيف مخطوط بالخزانة العامة ص ٣٩ . النبوغ المغربي ص ١٦٩ - ٣٨٢ .

١٢) الرحلة للاسحاقي مخطوطة بخزانة القرويين .

١٣) كانت وجهة نظر الشيخ ضد مثل هذا التجمع نظراً لما تدعو اليه الحاجة من ظهور النساء في الشارع العام الصفوة صفحة ١٨٤ مجلة المغرب. غشت - نونبر ١٩٣٥ . راجع ٣٧٣ و٣٧٥ من هذا التأليف.

١٤) محاضرات في مراكز الثقافة بالمغرب من القرن ١٦ الى ١٩

١٥) راجع فصل العطل في الباب الثاني .

١٦) «الدولة العلوية واقطاعية ابن مشعل» ، دعوة الحق ، يونية ١٩٥٩ .

١٧) «اليهود في المغرب» هيسبرس ١٩٣٤ المجلد ١٩ ١ ، ٢ .

١٨) رواية المشرقي في تعليقه على الشمقمقية أنه عندما غادر مولاي رشيد صحراء تافيلالت ، اتجه نحو طريق تازة فاستقبل هناك بحفاوة كبرى من لدن الشيخ اللواتي ، لانه أي المولى الرشيد ينحدر من سلالة الرسول . وفيما هو في ضيافة (التوازة) وقع بصره ذات يوم على شخص يحيط به عدد من الفرسان والحراس والخدم ، وهو عائد من الصيد في الأراضي المجاورة ، فسأل مضيفه عنه فأخبره بانه اليهودي ابن مشعل ، وانه يسكن حصناً اودعه من الكنز والذخيرة الشيئ الكثير فساورت المولى الرشيد فكرة مقاتلته ، فجند له مضيفه التازي خمس مئة نصير اغلبهم من الطلبة ، ففاجأه بهم وقضى عليه ، وكانت مكافأة الطلبة بعطلة الربيع . . الدرر الفاخرة ص ٢٣ نشر المثاني ص ٢٢٤ - ٢٢٥ - مجلة المغرب : نونبر ١٩٣٦ . سلطان الطلبة الرسالة المصرية عدد ٣١٠ بتاريخ ١٢ / ٦ / ١٩٣٩ .

١٩) كان ممن حكى أن ابن مشعل فرض على كل قبيلة أن تهدي اليه أجمل فتاة ، كان حظها عنده لا يزيد على ليلة ، وأن المولى الرشيد تنكّر في زي فتاة واغتال ابن مشعل ! ! وفي المتحدّثين من يرى ان الاحتفال كان في الاصل بالمتفوق ، فلما اختلف الطلبة فيما بينهم احدث المزاد العلني . . .

٢٠) راجع ما كتب حول (La fiesta del obispillo) حيث يتخذ الاطفال أسقفاً منهم ، ويحاط بحاشيته فيما بين ٦ و٢٨ دجنبر ، كما ينبغي ان يقرأ ما كتب عن أعظم وسام في بريطانيا L'ordre de la jartiene . هيسبرس ١٩٢٧ المجلد ٢٤ الاشهر الثلاثة الاولى والثانية .

٢١) يذكر ان من بين الطلبة الذين سبق لهم ان تسلطنوا على الطلبة بمراكش وقت النزهة الشيخ محمد السلالي الملقب بالسليطن ، صاحب رسالة «دواء الموت» التي نشرها الأستاذ محمد الفاسي . كتاب الاعلام ٥ ، ٣١٩ .

٢٢) بلغت المزايدات على اكتساب لقب سلطان الطلبة عام ١٩٦٧ الى سبعة ملايين من الفرنكات .

٢٣) يذكر ريكار أنه شاهد مرة هذه المظاهرة ، وذلك يوم الجمعة ٢٧ جمادي الآخرة ١٣٣٥ هـ (٢٠ ابريل ١٩١٧ م) وهي الجمعة الأولى التي تلي يوم الشراء بالمزاد العلني ، وقال : إن السلطان يعين مخزنه (حكومته) الذي يتركب من حاجب وصدر اعظم وعدداً من الوزراء وقائد للمشور ومحتسب ومخازنية واعوان ، وقال ريكار : ان عاهل البلاد في هذه السنة - وكان هو السلطان المولى يوسف رحمه الله - اعار حرسه الخاص للطلبة . . وانه اناب عنه نجله لحضور هذه الاحتفالات وقد شاهد ريكار ان الهدية بلغت ستا وثلاثين كبشاً سمينا وعدداً من قوارير السمن واوقاراً كبيرة من الكسكس واحمالاً من السكر وعلباً من الاتاي الاخضر وحزماً متعددة من الشمع واكياساً مختومة من الريالات . . سلم كل هذا لوزير الاقتصاد في دولة الطلبة !

٢٤) Fes, son université Maroc-France 15-6-1917

٢٥) كان سلطان الطلبة يوجه الى أعيان المدينة رسائل هزلية مختومة بطابعه ممهورة بخاتمه ، يفرض بمقتضاها ضرائب يحددها - على سبيل الهزل - وبمبالغ تصل الى زهاء ثلاثين مليوناً ، مهدداً بأنه إذا لم يؤد المبلغ المفروض ، فانه سيسلط عليهم أسراب الجراد وكتائب الجرذان . عليهم اذا أرادوا النجاة ان تجود أريحيتهم ، وكان ممن وجهت اليهم بعض الرسائل رئيس مصلحة الأملاك المخزنية عام ١٩١٧ م ، وذلك من قبل السيد محمد الدكالي سلطان

الطلبة على ذلك العهد ، وهـاك نموذجاً من هذه الرسائل : « . . . وقد فرض عليك أداء مبلغ ٧٦٦ مليون من الفرنكات . . وحرّر بتاريخ ٢٢٥ رمضان من سنة ٨٣٧٦ من العهد الشريف ، فأجابه رئيس المصلحة برسالة مؤرخة في نصف يوم من مايه من عام ١٧ قبل التاريخ الهجري !

Maroc-France 15 juin 1917 P. 34-35.

٢٦) يحكي شاهد عيان على عهد الملك العظيم الحسن الأول أن الوزراء الطلبة كانوا في مظاهرهم وفي شكل حديثهم يقلدون تماماً الوزراء الحقيقيين ، حتى أثار ذلك انتباه الحاضرين !

٢٧) جرت العادة بأن الطالب السلطان يعرض على عاهل البلاد رجاءً غالباً ما يكون إطلاق سراح سجين أو نيل وظيفة في الدولة ، وفي أكثر الحالات تؤدي الأسرة التي يعنيها أمر السجين للطالب السلطان تكاليف الشراء ، وقد ورد في مجلة Maroc France أن سلطان الطلبة عام ١٩١٧ كان تقدم بطلب لتحرير أحد كبار الثوار على نظام الحماية حبس عام ١٩١٢ م ، لكن السلطات الفرنسية التي كانت مهيمنة آنذاك رفضت طلبه ، وقد أعيد الطلب سنة ١٩١٨ م حيث بلغت السلطنة الى مبلغ ١,٢٠٠ دورو فرفض أيضاً ، فكانت النتيجة أن سعر السلطنة نزل في المرة التالية لما ادرك الطلبة أن رغباتهم لم تعُدْ مقبولة !

٢٨) حفظ من فقرات الخطاب الأخيرة ذات مرة : « اناشدكم الله يا عباد الله ! اذا ما لفظت انفاسي الأخيرة ، فغسلوني بالحليب ! وكفنوني بالثريد ! واجعلوا عوض عمامتي قطعة من الشواء ، وادفنوني في قبر من السميذ !

٢٩) القصد الى ان تفهم بيت من ارجوزة ابن عاصم في الفقه من شأنه ان يساعد على اثراء صاحبه اذ ربما اصبح قاضياً او مفتياً وحينئذ يكافأ على علمه .

٣٠) يعني طمح لقراءات علم الاصول مهملاً أولاً دراسة النّحو.

٣١) وادي سبو على مقربة من فاس ، يعني ان شاربه يدخله زهو واعتزاز بفاس فيتنكر لنسبه وحسبه .

٣٢) الاتحاف ، المجلد ٣ ص ٢١١ ، ٢١٢ - ٢١٣ .

٣٣) جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي . طبعة فضالة .

٣٤) الاستقصاج ٨ ص ٢٠ .

٣٥) من ذلك امره بشرح مشارق الانوار للامام الصغاني ، فشرح منها الشيخ التاودي الثلث الاول ، وشرح الشيخ بوخريص الثلث الثاني ، وشرح الثالث الشيخ ادريس العراقي .

٣٦) نشر المثاني ٢ ص ٢٧١ . الفريد البناني في ترجمته لمحمد بن عبد الله ، مقدمة كتاب (مساند الائمة) .

٣٧) الاستقصا ٧ ص ١٨٤ - ١٨٥ الجزء ٨ ص ٥٤ .

٣٨) أُثر عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله أنه كان يعرض على العلماء الرأي في النوازل ذات الطابع السياسي ، حتى يأخذوا بنصيبهم كاملاً من المسؤولية ، ومن ذلك سؤاله لهم حول رأيهم في فرض المكس على بعض المواد وحول مضايقة بعض الأتراك للجند الذين حضروا معه محاضرة ثغر مليلية أواخر عام ١١٨٨ هـ . . وسؤاله حول الاملاك التي كانت بيد بعض الناس بصفتهم موظفين : هل يمنعون منها عند زوال الصفة ؟ وتجديده السؤال حول عبيد البخاري الذين آلوا اليه من عهد السلطان المولى اسماعيل ، وطرحه السؤال عن الرأي حول مصادرة أملاك مَن تثبت عليهم خيانة ، وحول بيع أملاك بيت المال ، وأملاك الأوقاف وتعويضها بما يضمن الفائدة ، واستفتاؤه علماء فاس حول إخراج سكان الرباط من المدينة لإعدادها للتحصن وجعلها مدينة عسكرية . نوازل الشيخ التاودي ص ٣٧ ونوازل الوزاني ٣ ص ٧٥ مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح .

٣٩) الاستقصا ٦٧,٨ .

٤٠) من احتياطات السلطان محمد الثالث انه في اكثر الحالات كان يقتدي بعادة الموحدين القدامى الذين كانوا لا يولون القاضي أكثر من عامين ذاكرين أن القاضي اذا طالت مدته فانه لا يحصل لمن ياتي بعده النفوذ . تاريخ الدولتين ص ٤٤ .

٤١) يسأل المنشور الملكيّ علماء فاس أنهم اذا لم يكونوا متوفّرين على كتاب الشيخ الأجهوري والخرشي الكبير ، فان الحكومة مستعدة لأن تبعثهما للانتساخ منهما . هذا وقد عرف شرح الشيخ بهرام الدّميري (ت ٨٠٥ هـ) بأنه شرح محمود في غاية الوضوح ، وأنه يحل الألفاظ من غير تطويل بدليل أو تعليل . الضوء اللامع ١٩,٣ ، معجم المؤلفين .

٤٢) ينبّه المنشور الملكي الى أن واجب المدرسين أن لا يتعرضوا لبعض القضايا في كتب الفقه أوكتاب الشفاء او البخاري ، مما يثير كلاماً عقيماً مثل حديث الإفك ، فان الواجب تخطي هذه الأبواب ، لأن الفائدة في قراءتها غير ذات بال . . .

٤٣) هم امرؤ القيس وزهير والنابغة . وطرفة ولبيد ، وعمر بن كلثوم . راجع كتاب شرح الشعراء الستة للامام الشنتمري (ت ٤٧٦) .

٤٤) يذكر المنشور أنه لم يبق اجتهاد للطلبة الموجودين في الوقت في مسائل الفقه ، وقد دونت جميعها . . . الاتحاف ٢١٣،٣ .

٤٥) راجع حديث الأسطرلابات بالغريفة صفحة ٦٦٣ .

٤٦) راجع خطاب الملك الحسن الثاني بمدينة ايفران لدى الجلسة الختامية لمناظرة التعليم يوم الأحد ١٥ مارس ١٩٧٠ م .

٤٧) ازدهر التصوف بصفة خاصة في العصور المتأخرة عندما تغلب الاجنبي على بعض اطراف البلاد ، وعرفت بفاس وفي المغرب على العموم عدد كبير من الطرق والزوايا ، وسمع عن طائفة من المتقطعين المتبتلين ممن كان لهم تاريخ واحاديث ومذاهب تذكر . وكان منهم من طُلحاء الظاهر ، وفيهم من يأتون اعمالاً تثير ملامة الناس عليهم وهم (الملامتية) ، من امثال سيدي عزوز (ت ١٠٣١ هـ) الذي كان يصطلي بالنار اذا ما اشتد الحر ، ويستحم بالماء البارد عند الشتاء مبالغةً في موافقة القدر وجريا على مراد الجوّ . . !

السلوة ص ٣٦ .

٤٨) طلب اليهم العاهل ارجاع « الكناش » بعينه ، وعليه خطوط ايديهم موافقة أومخالفة . الاتحاف ٣ ، ص ٢١٤ .

٤٩) السلوة ٢ ، ص ١٠ .

٥٠) الاستقصا ٨ ، ص ٨٩ – ٩٠ .

٥١) ثار على هذه المخطوطة علماء اسطنبول لما خرجت من بلادهم بعد ان تملكها احد علماء طرابلس : الحاج احمد بوطبل ، ولما بلغ خبرها للسلطان المولى سليمان وجه الى مالكها الف مثقال ، فرضي مالكها بالبيع ، وازمع على الالتحاق بالمغرب ، لمقابلة السلطان المولى سليمان ، وتقديم المخطوط له وانما منعه من الوصول الى المغرب فتنة الترك فيما بين تونس والجزائر (١٢٢١ هـ – ١٢٢٦ هـ) وقد كان يظن ان هذه المخطوطة قد ضاعت . . وقد وفّقني الله لاكتشاف آثارها في مكتبة الجغبوب . . .

٥٢) لكثرة عناية الاقدمين بمختصر الشيخ خليل ، شجعوا على استظهاره عن ظهر قلب . . . الاستقصا ٨ ، ص ٦٧ .

٥٣) الاستقصا ٨ ، ص ١١٩ ، .

٥٤) ابن عاشور – مجلة المغرب ١٩٦٥ .

٥٥) يدخل في هذا الإطار نهي المولى سليمان عن أذان المؤذنين دفعة واحدة ، والاقتصار على المنادى في الاسواق لإنهاض الناس للصلاة ، واسقاطه المكس الذي كان فرضه والده ، ورفعه الحصانة عن بعض المرابطين المتلبّسين . نوازل الوزاني ٣ ص ٨٠ هيسبيريس ١٩٢١ الاشهر الثالثة . المعيار الجديد ٣ ، ص ٢١ .

٥٦) يذكر من ذلك تآليفه في جواز التطيّب بالعود في مجالس الحديث أيام رمضان الامر الذي كان موضوع تأليفه المعروف : الوزاني ١ ص ٢١٤ – ٢١٥ .

٥٧) كان ذلك عند اخذ رأي العلماء في المقاييس والاوزان ، وفي الاذن ببيع الخيل للاجنبي ، وفي نفاذ حكم القاضي الذي عينه العدو المستولي على بلاد المسلمين ، وفي استيراد المغرب لبعض المواد من الخارج ، فقد اشيع في الناس ان سائر ما يجلب من بلاد الكفر مشكوك في طهارته ، ومن اجل هذا وضع السلطان المولى سليمان امام نظر العلماء امر البت في قالب السكر ، وفي طيب الغالية ، وفي الأتاي : « الشاي » والقهوة والشمع والوقيد والادوية ، وكذلك حول السلف بالفائدة . ومن الطريف ان يقف المرء على اجوبة العلماء تلك ، فانها من ناحيةٍ مظهر من مظاهر الحيرة التي اصابت بعضهم ازاء غزو البضاعات الاجنبية للبلاد ، والتخوف من آثارها ، ومن جهة اخرى كانت من البعض الآخر تعبيراً عن التفتح على العالم .

وقد كان مما الفه الزرهوني « تحفة السائل الراغب في بيان الحكم في سكّر القالب » كما كان من المؤلفات في الاتاي (الشاي) : (رقم الاي في تحريم الاتاي) ، وكذلك الاراجيز المنظومة في تحليل الشاي والتعرض لآدابه ورسومه . نوازل الشيخ التاودي ص ٣٥٨ – ٣٩٥ .

٥٨) ورد في كتب التاريخ ان رجال الفتوى تشفعوا ذات مرة بأبي القاسم الزياني لدى السلطان لأجل ارجاع الفتوى ، فأنشد قصيدته التي كانت خير شفيع :

قطعُ الفتاوى لم يكن بمرتضى ولم يقع في الزَّمن الذي مضى

وفي زمـن الـرسول والأصحـاب ثم	مَن بعـدهم وبعـدهم وبعـدهم
إلى الخـوارج فقـام ملكهـم	وحكّـوا برأيهـم طـاغوتهـم
خالفـوا آيـات الكتـاب والحديث	وكـل ذي عـلم قـديم وحـديث
وفي الحـديث : علمـاء أمـتي	كـالأنبيـاء تبليغهـم بفتـوتي
والله أفـتي النـاس في الكـلالـة	بمـا استفتوا لصـاحب الرسالـة ..
ومـن يخـالف من ذوي الألبـاب	فهـذه العـرب حـول البـاب !

٥٩) كان ذلك عندما اقتصر العطاء للطلبة على الخبز حيث كان الحكام استبدوا باوقاف المستنصرية ، فقد اجتمع طلابها وهاجموا ناظر الاوقاف جمال الدين الدستجردي ونالوا منه واسمعوه قبيح الكلام ولم يحمه منهم الا الشيخ ظهير الدين البخاري مدرس الحنفية . مصطفى جواد – الكتاب الذهبي ص ١٩٣ .

٦٠) تاريخ الضعيّف (مخطوط) ورقة ٣٦٨ – ٣٩٢ .

٦١) الرياضيات اربعة انواع اولها الارثماطيقي والثاني الجومطريا والثالث الاسطرونوميا والرابع الموسيقى .

فالموسيقى معرفة تأليف الأصوات والاسطرونوميا علم النجوم بالبراهين التي ذكرت في كتاب بطليموس . والجومطريا علم الهندسة بالبراهين التي ذكرت في اقليدس . والارثماطيقي : معرفة خواصّ الاعداد التي ذكرها ميثاغورس ونيقوماخوس . رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا . ١ – القسم الرياضي ص ٤٩ طبعة بيروت ١٩٥٧

٦٢) هكذا في النص (اليبس) ولعلّ له صلة بكلمة Ellybse التي لها صلة بالجومطريا Dozi. Loubignac Hes T. 29 Fas III – علال العباسي : ماضي القرويين . مجلة المغرب شتنبر ١٩٣٢

٦٣) راجع ارجوزة العمل الفاسي ١٠٤٠ – ١٠٩٦ الأنيس المطرب ص ١٧٨ راجع ترجمة الفقيه العالم عبد السلام بوغالب (ت ١٢٩٠) الذي كان يحضر مجالس الطرب بآلاتها الوترية ويحسّ لسماعها واذا غلط ضاربوها عاب عليهم . الكتاب الذهبي ١١٢ .

٦٥) لا ننسى أن السلطان المولى سليمان هو الّذي شيّد جامع الرصيف وزوّده بمكتبة علمية ، وهو الذي زاد في مسجد الديوان وأسّس مسجدَ الشطة بالطّالعة ، وعني باصلاح المدارس والمساجد الحفرى ، وقد كان منها (مسجد سيدي بغْداد) بعقبة بن صوال – السلوة ٣ ، ص ٣٣٨ – الدرر الفاخرة ص ٧٠ – ٧١ .

٦٦) ظلّت الغرف في المدارس الداخلية توزّع بحسب الاستحقاق والكفاية ، بيْدَ أن هذا المبدأ اختل في بعض الظروف الخاصّة ، وقد أعوزت الحيلة أحد الطّلبة على عهد مولاي سليمان للحصول على بيت بالمدرسة المصباحية . فنظم قصيدة يتوسل بها من أربعين بيتا ، كان منها :

أبى الله إلا أن يمنّ ويرحمـا ويكبت كَيْد الحاسدين ويعصمـا

وقد ورد في أرجوزة المساري التي شرحها البلغيثي :

واشتر بيتاً مفرداً ذا ضَـوْء يقي متاعك سيولَ النّـوْء !

راجع حكم بيع بيوت المدارس في كتاب الابتهاج بنور السراج ٢ ، ١٠ – ١٥ . راجع ص ٢٦٣ .

٦٧) راجع بحث طرق التعليم في الباب الأول والثاني .

٦٨) كان العلماء في عصر المولى سليمان مدوّنين بحسب تقييمهم على طبقات ثلاث ، كما تدل على ذلك كتب التاريخ التي تقول إنه كان يخص كبارهم بالأرزاق والدور المعتبرة والضياع المغلة ، ويحسن مع ذلك إلى من دُونهم في المرتبة من المدرسين وطلبة العلم ، ويؤثر المعتنين منهم وذوي الفهم بمزيد البر ومضاعفة الجراية ، وكان ذلك يفتح باب المنافسة البريئة التي كانت تعود بالخير العميم على العلم .

٦٩) رياض الورد الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد . نسخة بالخزانة العامة بالرباط رقم د/١١ : دعوة الحق مارس ١٩٦٦ ص ٩٢ – الدرر الفاخرة ص ٨٠ .

٧٠) لم يكن تعليم المرأة وقفا على المدن ولكنه تعداه الى الصحراء المغربية خصوصا شنجيط وتونبوكتو وكنت ، وقد كانت زوجة الشيخ سيدي المختار

الكنتي صاحب الطريقة الخاصة به (ت ١٢٢٤) تختم مختصر الشيخ خليل في جهة مع النساء في الوقت الذي كان فيه زوجها يختم ذلك مع الطلبة الرجال في جهة اخرى ، وفيهما الف ولدهما ، ابو عبدالله محمد بن الشيخ المختار كتابه : (الطريفة والتالدة في مناقب الشيخ الوالد والشيخة الوالدة) راجع ص ٥٤٣ .

Catalogue Provisoire des manuscrits en langue arabe reservée en Mauritaine, Nouakchtt et Stockholm 1966.

التراتيب الادارية ١/٥٤ .

٧١) العز والصولة – المجلد ٢ – دعوة الحق ، مارس ١٩٥٧ ص ٥٦ .

٧٢) كان من اعيان القضاة الذين عرفتهم فاس على هذا العهد ، اشتهر بجوابه على استفتاء الامير عبد القادر الجزائري حول المواطنين الذين يتنافسون في احراز الاوسمة الاجنبية وكذلك حول موقف الاسلام من الاباضية . نوازل الوزاني .

٧٣) يقصد بكلمة (سلكة) المرور مع الكتاب من أوّله إلى نهايته دراسةً وبحثًا . . . فالمرسوم الملكي ينتقد أن يظلّ الشيخ في تدريس مختصر خليل عشر سنوات . . . ويحث على ختمه في ظرف أربعين يومًا .

٧٤) الدرر الفاخرة ص ٨٠ – ٨١ – ٨٢ .

٧٥) بحث طرق التعليم في الباب الأول والثاني .

٧٦) كان من ذلك استشارة العلماء حول رغبة اهل تلمسان في الانضمام الى المغرب تخلصا من سيطرة الاستعمار الذي نزل بساحتهم ، وقد اختلف العلماء في فتاويهم حول هذا الموضوع لكن جانبا منهم مال الى الاذن بمساعدتهم وقد بلغت الفتوى المعارضة لعلماء تلمسان فحرروا فتوى في الرد على « العلماء الفاسيين » التي كانت مبنية على غير أساس . المعيار الجديد المجلد ٣ ص ٣٧ ، الاستقصا ٢٧٨،٩ – ٤٦ .

٧٧) قامت تلة من اليهود تريد احداث حمّام خاص بهم فعرض الملك الامر على رأي العلماء الذين افتوا بالمنع من اتخاذه لما فيه من « خصوصية » قد تؤدي الى المطالبة بأشياء اخرى ، وكان الاعتماد على ان كل شئ يخرجهم عما عهد لهم ينبغي ان يبقى ممنوعا . . .

٧٨) لا بد ان نرجع الى مرحلة جدّ حرجة من تاريخ المغرب فان بعض الجزائريين – وقد طُردوا عن بلادهم ، أخذوا « يستفـدون » بعض القبائل المغربية لشق العصا على العاهل المغربي الذي كان اخلص النية لمساعدة الثورة الجزائرية بالمال والخيل والسلاح .. ولهذا السبب تردد السلطان في المساعدة ولم يكن للتردّد من سببٍ غير ذلك بالرغم من الضربة القوية التي تَحمّلها الجيش المغربي في (إيسلي) قرب وجدة من قبل الجيوش الفرنسية . الاستقصا ٩ ص ٥٠ .

٧٩) تؤكد مخطوطة ابي المزايا ان مرتب العلماء كان قبل عهد السلطان المولى عبد الرحمن نوعان : شهري وسنوي على ما كنا عرفناه في عهد بني مرين وان المرتبين معا كانا يؤخذان من الاوقاف بيد انه على عهد السلطان مولاي عبد الرحمن اقتضى نظره السديد ان نفّذ اكثر ما كان وقف برسم العلماء على الجيش لمصلحة اقتضت ذلك وجعل عوض ذلك من بيت المال واقتفى اثره ولده ثم حفيده السلطان الحسن الاول

٨٠) الاسترشاد بروح النصوص قديما وحديثا ، دعوة الحق في ١٩٥٩ .

٨١) لما وصلت حاشية الامام اللقاني على محاذى ابن هشام الى مدينة فاس ، وكانت عزيزة الوجود ، كلفت الشيخ الزموري الكلالي ان ينسخها له ففعل ، وقد قال له : ان الكاتب اذا نسخ ولم يقابل ، كان كالشاهد اذا شهد ولم يؤد !

رسالة الكلالي . البحث العلمي ص ٢٦١ .

٨٢) روض القرطاس .

هيسبيرس ١٩٢١ الاشهر الثالثة .

٨٣) اثر الجامعات المغربية في الجامعات الاوربية (العلم ٢٧ اكتوبر ١٩٦٥) .

٨٤) مجلة المغرب بيراير مارس ١٩٣٦ . Fes avant le Protectorat.

٨٥) مجلة المغرب نونبر ١٩٣٦ . Fes, son universt

٨٦) راجع قصيدة تشير للموضوع ص ١٣٩ من فهرس المخطوطات للخزانة العامة .

٨٧) من خلال جزولة المجلد ٤ ص ٢٠٢ .

٨٨) طبع كتاب اقليدس كان عملا علميا رائعا ، وقد طبع بإشراف الشيخ الطائع البلغيثي ، وظهر عام ١٢٩٣ م في مجلدين ، قيل في المقدمة : إن النسخة التي قوبلت بها مترجمة عن التركية . وطبع بعد هذا كتاب المرغيتي السوسي صاحب المقنع ، وكشف الأسرار للقصادي وبغية الطلاب لابْن غازي ، والإتحاف لمحمد بن علي الغزاوي ، وكتاب لابن الصبَّاغ في الخط الفاسي ، واجنحة الغراب للرسموكي ، وروضة الأزهار للموقت الغداري ، وشرح العلمي علي الوزكاني ، والروضة اليانعة لأحمد سكيرج ، وارشاد المتعلم والفاسي في صفات أشكال العلم الفاسي . . ويلاحظ أن هذه الكتب جميعها ذات صبغة علمية بحته . الخزانة العلمية بالمغرب ص ٥٨ : هيسبيريس المجلد ١٤ (١٩٣٢) - تراث العرب العلمي ص ٥٥ .

راجع لائحة المطبوعات بالمطبعة الحجرية (معهد الدروس العليا) ، مجلة المغرب نونبر ١٩٣٦ -

٨٩) طبع عدد من النوازل على عهد السلطان المولى عبد العزيز ، والسلطان المولى عبد الحفيظ كان فيها خطبة هذا الأخير على مختصر خليل ومؤلفه في الرد على متصوفة الزمان . وحواشي الشيخ التاودي .

٩٠) راجع المجلد الأول حول رحلة العلماء .

٩١) السلوة ١ ص ١٥٨ - ١٦١ .

٩٢) لم يكن في معتاد المغاربة منذ القدم أنْ يتناولوا الأرز كل يوم مسالك الابصار - البحث العلمي يناير ص ١٤٤ الابصار

٩٣) مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس (الكتاب الذهبي ص ٢٢٥)

٩٤) د. عبد الهادي التازي : أمير مغربي في طرابلس، مطبعة فضالة ١٩٧٦

٩٥) تاريخ الجامع الازهر ، الفصل الثالث : العصر التركي .

٩٦) الاستقصا ٨ ص ١٢٠ - ١٢١ .

٩٧) من المعلوم أن المغرب فتح ذراعيه للثورة التي شبت في الجزائر - بقيادة الأمير عبد القادر - ضد الوجود الفرنسي ، فكان هذا مما أثار حفيظة العسكريين ، وكان من آثاره موقعة ايسلي ، وكان من آثاره فرض الحماية الفرنسية على المغرب . . .

٩٨) راجع بحث المدارس

٩٩) العلمي هذا هو صاحب شرح الوزكاني ، وضوْ النبراس في حل مفردات الانطاكي بلغة فاس ، والبدر المنير في علاج البواسير ، والأسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة . وهو مخترع الآلة ذات الشعاع والظل . وجل هذه الكتب طبع بفاس .

١٠٠) شهبون هذا هو الجغرافي الكبير مصنف كتاب الجغرافيا المغربية ، وهو يشتمل على صور وخارطات : صورة الفلك ، وصورة كرة الارض بنصفيها الشرقي والغربي ، وخطوط الطول والعرض ، وصورة فلك القمر ، وصورة كرة الأرض على وجه واحد مرقوم عليها دائرة الشمس ، وخريطة آسيه ، وخريطة لأروبة ، وأخرى لإفريقية ، ورابعة لأمريكة كذلك ، وأخرى لأسترالية ، وصورة البروج . . وآخرها خارطة إقليم المغرب .

١٠١) ابن كيران هذا مخترع ثمن الدائرة عوضا عن الربع وغيره من مهم الاختراعات ذات البال . الدرر الفاخرة ٩٥ - ٩٦ .

١٠٢) كان مما حصل عليه الاتفاق بين العاهل ورئيس البعثة الفرنسية إيفاد اثنْي عشر شاباً الى المدرسة العسكرية في مدينة مونبيلييه ، فأبحروا من طنجة في يونيه ١٨٨٥ م يرافقهم ترجمان من جنسية اسبانية ، وتوجه في الباخرة نفسها سفير المغرب في فرنسة السيد عبد المالك بن علي وقاضي فاس. . .

١٠٣) كان من المتوجهين الى فرنسة ، علاوة علي ابن الكعاب ، السيدان قاسم الودي ، ومحمد بن الحاج الودي ، ومن المتوجهين الى المانية السيد عبد السلام التسولي ، والسيد الميلودي الزيادي الرباطي ، ومحمد النجار السلاوي . وإلى إيطالية السيد المختار الرغاي ، والسيد محمد بناني الفاسي ، والسيد عبد السلام عينوس الودي ، ومن المتوجهين الى اسبانية الحاج أحمد بن شقرون الفاسي ، والسيد عبد السلام الفاسي لقباً الرباطي أصلا ، والسيد محمد الشدَّادي الرباطي . الاتحاف ٢ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ .

١٠٤) كان من أخطَر ما واجهه المغرب مع وقعة تطوان التجأ طائفة من المواطنين الى بعض الدول الاجنبية يطلبون حمايتها ، وكان اليهود أكثر من تعلق بذلك . الاستقصا ص ١١٢ .

١٠٥) المعيار الجديد للوزاني (ص ٣٤١ - الاستقصا ٨٤,٩ . عائلة التازي الملقبة موخا ، ص ٢٠ - ٢١ .

١٠٦) سنرى في عهد السلطان المولى الحسن الاول ان بعض اليهود استغل حمايته من احدى الدول الاجنبية فأفهمه الخطاب الملكي الحسني ان

حمايته انما تُضمن حقيقة من الذين يحيطون به ويعيش معهم . ويهدد بأن العامة عمياء اذا قالت فعلت ! « كما سنرى ان الملك الحسن الاول يستشير العلماء من فاس في شأن نصب اليهود حاكما يفصل في قضاياهم . الاستقصا ١١٣،٩ . Hes 1934 T. 191-11 Ency. Bretanic.

١٠٧) كان مما استشير فيه العلماء مما جدّ من مشكلات ، حوادث السودان الذي استنجد شعبه بالمغرب لردّ عادية الاستعمار.

١٠٨) الاتحاف ٢ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ - .

١٠٩)الاتحاف ٢ ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ . Hes 1932, T. XIV

١١٠) كانت الصلة السنوية للعلماء موزعة بحسب مراكزهم ، فأهل الطبقة الاولى منهم يتقاضون سنويا ستين مُدًّا من جيد القمح ، وتيرانا كافية لخليع العام ، وقدراً كافيا من الزيت والسمن والصابون مع كساء كامل ، في كل من فصلي الشتاء والصيف : جلباب سلهام ، وقفطان ، بدعية ، شاشية ، عمامة ، منصورية ، مضمّة . ويأخذ أهل الطبقة الثانية أربعين مدًّا ، وتقل المقادير من المواد المذكورة كما وكيفا فتأخذ الطبقة الثالثة ثلا ثين مدًّا والرابعة عشرين مدا هذا الى عقار يجعل رهن اشارتهم لهم الحرية في كرائه اذا كانوا يتوفرون على السكن . هذا الى التعويضات التي ينالها مُعظمهم في مقابلة قيامه بقضاء أوامامة اوخطبة . . وهذا بالنسبة الى العلماء الرّسميين ، وهناك طائفة منهم لم يرتّبوا بعد ، فهؤلاء يعتمدون على مساعدات الأوقاف والعطاءات الخاصة . وقد ظل الحال على هذا الى أيام السلطان المولى عبد الحفيظ ، فأبدل الجميع نقداً وألغى دفع الزرع والثور والكسوة. وقد كان في آخر المكلفين من المخزن تبليغَ الصلة للعلماء الفقيه المحتسب المفضل السراج ، وكانت الصلة التي يدفعها لهم معروفة باسم (النّصفية) نسبة الى النصف ، يعني نصف وسق ، والوسق يكون خمسين مُدًّا . من تقييد للأستاذ محمد السراج رحمه الله . ومخطوطة للأستاذ ابراهيم الكتاني .

١١١) الدرر الفاخرة ص ١٠٨ - ١٠٩ فواصل الجمان ص ٢١٧ راجع ص ١٩٥ - ٣٦٢ .

١١٢) تعني الكلمة (تورات الديّن) .

١١٣) تاريخ السلفية بالمغرب . مخطوط للقاضي السائح . Fes son Université

١١٤) الاشارة الى الآية الشريفة : « واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا . فأعْرِضْ عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » .

١١٥) لما وردت على فاس أنباء عقد الجزيرة الخضراء عام ١٩٠٦ م . ورأوا في شروطها حيفاً على المغرب ، توجه أعيان المدينة الى العلماء في رسالتهم المشهورة : « . . سادتنا علماء فاس .. وبَعد فلا يخفاكم ما حل بهذا القطر المغربي من احتلال بعض الاجانب لجل نواحيه . . وتقاعد الولاة عن الاستعداد ، وموالاتهم لبعض اجناس الاجانب حتى عقدوا معها شروطا تؤدي الى ادخال المسلمين تحت حكم الاجانب . . الى اخر الاستفتاء . . وكانت للعلماء الكلمة الاخيرة ولو ان الخرق كان قد اتسع . . ولكثر ما اشتهرت شروط الجزيرة بجورها وتعسّفها ردد الناس كلمة « شروط الخُزَيرات » في معرض الحديث عن الاشياء المرهقة المحرجة . جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي .

١١٦) Hes 1932 T. XIV Fas I-Le Maroc de demain P. 80

١١٧) لم يكن حظ الحديث عن علماء الأزهر بأحسن منه في حديث بعض هؤلاء من أمثال E. W. Lane الذي زار الازهر عام ١٨٣٣ م . (تاريخ الجامع الأزهر لعنان) .

١١٨) كشف هذه الاسرار بعض السادة المطلعين ممن لهم صلة وثيقة بالذين رتّبوا هذا اللقاء المثير بين العلماء ومبعوث الاكاديمية الفرنسية ، وقد كان فيا روّى ان القنصلية الفرنسية حرّضت بناني ونعتت موليراس للعلماء بانه جاهل مُغرض ومن الواجب الهزء به والسخرية عليه ! ! ونشير في هذا الصدد الى ان كثيرا من الاروبيين ممن كانوا يتهافتون على زيارة فاس كانوا يقصدون خزانة المخطوطات التابعة لجامعة القرويين بحثا عن مؤلفٍ شاع في الاوساط الاكاديمية الاروبية انه يوجد ضمن ما تحتضنه رفوف المكتبة ، ذلك هوكتاب بلينوس الاكبر (Pline L'Ancien) مصنف كتاب التاريخ الطبيعي الذي يحتوي على ٣٧ مجلدا .

١١٩) بعد الأستاذ البلغيثي من أعيان علماء المغرب الذين كانوا محل تقدير من مختلف الطبقات شيوخهم وشبابهم ، أخذ عن عدد من فحول العلماء ، ورحل الى الشرق فاتصل بالعدد العديد من قضاته وأدبائه وزعمائه . وقد منعته السلطات الفرنسية من الرحلة الى الجزائر وتونس عام ١٣٤٦ هـ . له تآليف مطبوعة

١٢٠) عمد بعض ابناء الشعب لطلب حماية بعض الدول الاجنبية ، فكان ذلك بمثابة تصنيف لهم في تلك الدول وقد احدث هذا ارتباكا كبيرا ، وألفت الرسائل : « السكارى المحتمين بالنصارى » أو « الويل والثبور لمن اجتمى بالباسْبُور » ...

١٢١) الاتحاف ١ ص ٣٩٩ .

١٢٢) الا تحاف ١ , ٣٩٦ .

١٢٣) الدرر الفاخرة ص ١١٨ - ١١٩ . El Hajoui : Histoire Diplomatique du Maroc 1900–1912 P. 97.

١٢٤) تاريخ المغرب في القرن العشرين . دار الكتاب ص ٣٨٠ .

١٢٥) هبر جاك – أيام فاس الدامية – تعريب عبد الهادي التازي (العَلَم) ٣١ - ٣ ١٩٥٧ .

١٢٦) Le Maroc de demain.
2) une Ambassade au Maroc Paris 1887
3) Fas, son université et l'enseignement superieur musulman, Paris 1889
4) une ville de l'Islam : Fes. Paris 1905
5) France Maroc N. 315 Mars 1918.

١٢٧) كان مما رواه بعض الاجانب في معرض التنقيص من مختصر الشيخ خليل ما قيل من ان بنت الشيخ خليل كانت ترثي لحال والدها ، وهو منكّب يضيع وقته في ذلك التأليف ، فقال لها : « نعم وسأضيع وقتاً اكثر لكل الذين يحاولون ان يصلوا الى فهم عباراتي » ... واذكر بهذا الصدد ان البروفيسور ماسينيون كان ممن اهتم بالبحث عن كتاب بلينوس الاكبر في مخطوطات فاس وسأل عددا من المهتمين عن ذلك ، ولما كان دور الشيخ محمد بن العربي العلوي اجابه مازحا بانه موجود ، وانه هو بالذات الكتاب الذي يحمل عنوان (مختصر خليل) !

١٢٨) مجلة المغرب عدد اكتوبر ١٩٣٣ جمادى ٢ عام ١٣٥٢ وعدد نونبر ١٩٣٦ .

١٢٩) استأثر بوصف هذه المقابلات ، ويذكر هذه الرسالة الاخوان طارو في كتابهم بالفرنسية بعنوان Fas ou les bourgeois de l'Islam

١٣٠) ورد في تقرير لعميد السلك الدبلوماسي بفاس ان عدد العلماء عند اقتحام الجيش الفرنسي للمدينة بلغ مائتيْ عالم ... الدرر الفاخرة : ١٢٨ .

١٣١) كان اسم مولاي أحمد ابن المأمون البلغيثي ، والفاطمي الشرادي ، والبوعزاوي ضمن العلماء ، وكانت الرسالة لي في ١٨ اكتوبر ١٩١٢ .

١٣٢) راجع جريدة (اخبار تلغرافية) عدد ١٠٩ تاريخ ١٩ مايه ١٩١٤ .

١٣٣) كان هناك من العلماء من أخذ يشك في كل حركة تأتي عن طريق المستعمر ، وقد سجلت عن أحد العلماء الذين قاطعوا السعي الى الوظيف هذه الكلمة : إن الوظيف يُذهب من الرجل ما يُذهب القفص من عزلة الاسد وَصولته ! !

١٣٤) كان أربعة من التسعة من أهل الطبقة الاولى ، وثلا ثة من الثانية ، واثنان من الثالثة ستة منهم لهم الحق في التصويت ، واربعة منهم احتياطيون لا حق لهم في التصويت .

مَحمد السراج – تراجم العلماء على عهد النظام . مخطوط .

١٣٥) عين كمقر لاجتماع العلماء الدويرة المعروفة بدويرة الوضوء جوار القرويين .

١٣٦) الدرر الفاخرة ص ١٣٥ .

١٣٧) كان الامتحان على الكيفية التالية : تتألف اللجنة برئاسة شيخ المجلس العلمي وأعضائه ، وللشيخ أن يضيف بعض علماء الجامعة ، ويكون الاختبار بإلقاء درس في التوحيد ، والنحو ، والفقه والمواريث ، بعد أن يكون الطالب أُخطر بالمواضيع من قبل أربعة ايام ، ثم تلقى عليه أسئلة في علوم البلاغة ، ولا بد أن تتنوع الأسئلة وتتعمق .

١٣٨) أجري في جمادى الاولى ١٣٣٧ هـ (يبراير ١٩١٩) أول امتحان للانخراط في المرتبة الأولى للسيد المهدي حجاج بن حجاج الذي أصبح مدرسا بالثانوية الإدريسية ، كما أجرى امتحان بعد ذلك لسيدي محمد الفيلالي التزناقتي – السراج – تراجم العلماء .

١٣٩) لا ننسى أن ننبه الى أنه افتتحت دروس عصرية منذ ١٧ مارس ١٩٢٣ م في زاوية ماء العينين ، وفي مدرسة ابي عنان ، كل يوم في الخامسة مساء ، بعد إنهاء الدروس الدينية بالقرويين ، باستثناء يوم الجمعة . وقد خصص الأحد والثلا ثاء للحساب والا ثنين والاربعاء للتاريخ والجغرافيا ، والخميس للأدب العربي والسبت لعلم الفلك والتنجيم ، وقد اختير الأساتذة لهذه الدروس من القرويين وكوليج مولاي ادريس كذلك ، وأضيفت الى هذه المواد ثلاث دروس في الفرنسية كل أسبوع . .

الفصل الخامس

القرويين في عهد السلطان محمد بن يوسف

الضابط المسنون – مناوشات الاقامة العامة – ثورة القرويين الاولى – اضراب الطلبة النظاميين وغير النظاميين – المضايقات التي واجهت تعيين المدير الجديد للقرويين – مكاسب القرويين على عهد الملك محمد الخامس قبل نفيه إلى انتسيرابي – القرويين في خطب محمد الخامس – العلماء ونفي محمد الخامس – القرويين بعد عودة الملك من النفي واستقلال المغرب – اضراب الطلاب – لجنة التعليم العليا – جامعة محمد الخامس وعيد القرويين بمناسبة مرور احد عشر قرنا على تأسيسها.

عرف العالم كله جلالة المغفور له محمد الخامس أنه محرر المغرب من ربقة الاستعمار ، الملك الذي استطاع أن يسترجع مجد اثني عشر قرناً او تزيد ، عاشها المغرب في وقت تعثرت فيه مسيرات أقوام آخرين في جهات أخرى .

ولكنهم لم يعرفوا شيئاً عن جوانب النضال المستمر والصراع المحموم الذي كان يخوض غماره هذا الملك العظيم في سبيل الابقاء على صرح القرويين !

كان يعلم أن المغرب جرِّد من كل شيْ ، فالتفت يُمْنةً ويَسرَةَ ليبحث عن طريق الخلاص الوحيد فلم يجده غير الاستماتة لحماية الاسلام ، والإبقاء على اللغة العربية . وكان يرى – كما كان والده يرى - أن الحفاظ على هذين كفيل بأن يرجع كل شيْ .

ومن الضروري ان تكون الجهة الثانية قد أدركت أن كل المكاسب تبقى عاطلة مهددة ما لم تقتحم القلوب والأرواح وما لم تستعجم الألسنة والمخاطبات .

لقد ظلت قافلة القرويين تسير الهوينى بالرغم من المساعي التي بذلها المولى يوسف في سبيل تنظيم القرويين .

ولم يكتب للنظام أن تتوطد أركانه وتدعم جوانبه إلا حين أشرقت الأعتاب الشريفة بطلعة هذا الملك الفتى .

ولئن كان ملف القرويين يحظى من الملوك السابقين بتفقده بين الحين والآخر ، لقد ظل عند جلالة محمد الخامس مفتوحاً على المكتب ، يقع عليه بصره في كل حين .

لقد سار السلطان سيدي محمد في طريق والده السلطان المولى يوسف ، فتوالت الظهائر والقرارات .

وبعد استشارة « المجلس الأعلى » صدر لرئيس العلماء الجديد الشيخ أحمد بن الجيلالي ، في ٢٦ ذي الحجة ١٣٤٨هـ موافق ٢٥ مايه ١٩٣٠م ، ظهير اهتزت له البيئات الثقافية وهو يعين المدرسين الذين سيشتغلون بصفة رسمية في القرويين ، ويرتبهم مراتب ثلاث [١] ، وينفذ لهم من الميزانية الإضافية شطر المرتب الجديد بصفة مؤقتة الى أن تحل سنة ١٩٣١م [٢] حيث يتقاضون أجورهم كلها ، وأخيراً سمي الظهير « الطالب العربي الحريشي » أول مراقب للدروس بالجامعة . ويختم الظهير فقراته هكذا :

ويعلم الله أن قصدنا هو نشر العلم وبثه ، وإعانة تلك « الطائفة المؤمنة » على حمل الشريعة .

وقد تضمن الظهير اللائحة باسماء العلماء الذين عينوا لاول مرة في النظام ، وكان ضمن المرتبة الأولى مولاي عبدالله الفضيلي ، وفي جملة علماء المرتبة الثالثة الشيخ محمد أشرقي .

« الضابط المسنون »

ويضيف ظهير (١٠ ذي القعدة ١٣٤٩ هـ) (٢٩ مارس ١٩٣١ م) الى الاعتراف بصلاحية المجلس الأعلى ، الاختصاصات المنوطة به ، وهي النظر في « سن ضابط » ، ينظم التعليم ، ويحسن طرقه بال[illegible] يين : تعيين الفنون –

التآليف التي يدرس بها . الأوقات الدراسية . الخ الخ ، وذلك كما يقول الظهير : « حرصاً على دوام عمارة القرويين كما كانت فيما مضى من العصور الغابرة » .

وفي انتظار « الضابط المسنون » كانت إدارة المجلس العلمي قد فتحت أبوابها في وجه الطلبة الذين يريدون [٣] الانخراط في النظام منذ ٢٦ - ذي الحجة ١٣٤٢ هـ (١٤ مايه ١٩٣١ م) ، وكانت الدروس النظامية قد دشنت يوم الثلاثاء ٨ شوال ١٣٥٠ هـ (١٦ يبراير ١٩٣١ م) ، لكنها في كيفيتها وأوقاتها تكتسي فقط صبغة موقتة .

وقد صدر « الضابط المسنون » في ١٠ ذي الحجة ١٣٥١ هـ (٣١ مارس ١٩٣٣ م) ، ويحتوي على أحد عشر فصلا .

نص في الفصل الثاني على اقسام التعليم وفنونها . فأقسام التعليم ثلاثة : الابتدائي ، وله من الفنون : الصرف ، النحو ، التوحيد ، الادب ، الحساب ، والفقه المتعلق بالعبادات - ثم القسم الثانوي ، وله من الفنون : الفقه ، وأصوله ، والصرف ، والنحو ، والبلاغة ، والحساب ، والهندسة ، والتوقيت ، والمنطق ، والتوحيد ، ومبآدئ .

الحديث - ثم القسم النهائي ، ويحتوي على قسمين : شرعي وأدبي ، فللشرعي : الفقه ، وعلم الأصول ، والحديث ، والتفسير - وللأدبي : علم الأدب ، وتاريخ أدب اللغة العربية ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والفصل الثالث من « الضابط » يرفع عدد العلماء المنظمين بالقرويين الى ثمانية وثلاثين عالما .

والفصل الرابع يحدد رواتب العلماء ، فللعالم في أول مرتبة ألفا فرنك شهرياً ، وللعالم في آخر مرتبة ألف فرنك [٤] .

والفصل الخامس يحدد مهمة المراقب : رفع تقرير آخر كل شهر بواسطة الرئيس الذي يجب عليه أن يوجه التقرير في ظرف لا يتجاوز ثمانية أيام مع إبداء رأيه الخاص فيه .

والفصل السادس يحدد أوقات العطلة بالكلية : الخميس والجمعة ، وأسبوعاً لكل عيد من الأعياد الثلاثة : الفطر ، والأضحى والمولد ، وخمسة عشر يوما من الربيع بمناسبة حفلات نزهة الطلبة ، وشهر رمضان المعظم ، وأربعون يوما للسمائم [٥] .

والفصل السابع : الامتحانات السنوية وتنظيمها .

والفصل الثامن فيما تخوله شهادة القسم السادس الثانوي : العدالة ، الإمامة ، الخطابة ، الكتابة وكذا فيما تخوله شهادة القسم النهائي : القضاء ، والتدريس .

والفصل التاسع كيف يمكن أن يصبح المحصّل على شهادة القرويين أستاذاً بالكلية ، لا بد أن يمضي عامين في التدريب على التّدريس الحر ، ولا بدّ مع هذا الشرط من شرط ثان ، وهو أن ينجح في المباراة التي تنظم لهذه الغاية . وينص الفصل على كيفية تأليف لجنة المباراة .

والفصل العاشر في نواب المدرسين الذين ينبغي أن يتقاضوا ربع المرتب إذا كان تخلف المنوب عنه لمرض ، ونصف المرتب متى كان التخلف لغير المرض .

والفصل الحادي عشر يذكر أن هذا الظهير ليس نهائياً ، وأنه بالامكان ادخال تغيير عليه بحسب ما تدعو اليه الحاجة [٦] .

كانت هناك عناصر ممّن لم تكن متحمسة إطلاقا في مساعدة القرويين ، ولهذا لما رأت أن الأسس في طريقها الى التشييد ، وأن حلقات السلسلة سوف تمتد الى غير نهاية ولما رأت المشهد العظيم الذي كانت القرويين مسرحاً له عندما صدر الظهير البربري سنة ١٩٣٠ م [٧] ، كان من الضروري التفكير في انشاء مجلس للتأديب ، يلجأ اليه اذا ما عمد أحد من الطلبة أو العلماء الى الإخلال بقوانين الكلّية ، وهكذا اقترح على السلطان مشروع ظهير لتكوين مجلس من هذا النوع ، ومنه سيمكن التوصل لأولئك « المشاغبين » ، ولعل الطريف في هذا التأديب انه لا يقتصر على القرويين وموظفيها ، بل يتعداهم الى الشعبيين ممن لا تربطهم بالثقافة أية صلة مما يكشف عن « الغرض المكشوف » هذا الى أن موجبات التأديب يحصرها « الظهير » في مسائل خاصة ، يعيدها ويكررها ، ولا تمس تلك المسائل مصلحة الكلية من قريب أو بعيد ان لم تكن مما يدخل في مهمتها ، ويرفع من شأنها ، ويعلي من ذكرها .

ينص الفصل الاول من هذا الظهير المؤرخ في ١٥ المحرم ١٣٥٢ هـ (١٠ ماية ١٩٣٣ م) [٨] على ان كل مدرس يشتغل داخل مسجد من المساجد أو خارجا عنه بالقاء دروس أو خطب أو تحرير مقالات ، أو توزيع أوراق أو منشورات من شأنها أن « تهيج » أفكار الطلبة » أو تلهيهم عن التعليم أو تشوش الفكر العام ، يعرض على مجلس تأديبي يمكنه أن يصدر عليه إحدى العقوبات الآتية : الانذار ، ضياع نصف شهر من مرتّبه مع نقله من مرتبة الى أسفل منها ، ثم العزل نهائيا .

أما الفصل الثاني ، فهو خاص بالطلاب الذين تصدر عنهم نفس المخالفات ، أو ينخرطون في حزب من الاحزاب السياسية . والعقوبات : الانذار– منعه من المشاركة في الامتحان سنة ، وطرده سنتين ، وإسقاطه نهائيا من قائمة الطلبة ، والفصل الثالث يتعلق بالعلماء غير المنظمين [٩] ، فمتى صدرت كذلك عن هؤلاء مخالفات ، نزلت بهم عقوبات : المنع من الحقوق العلمية ، والمنع من التوظيف نهائياً في كل المعاهد المغربية لمدة يحددها المجلس التأديبي بحسب الجريمة .

والفصل الرابع يعاقب بمثل العقاب كل مدرس أو طالب يعين غيره على المخالفات المذكورة .

والفصل الخامس : كل شخص من غير المذكورين في الفصول السابقة يشتغل بشيء مما ذكر يتعين على القائمين بالمسجد أن يطردوه فوراً ، وعليهم أن يستعينوا بالقوة ، ثم يمثُلُ أمام المحاكم [١٠] !

وقد كان من الطبيعي أن يكون المقصود الأول من ظهير عاشر مايه ١٩٣٣ ، هم أولئك الذين سمحوا لانفسهم بالتدخل في شؤون القرويين أولاً ، ثم الاحتجاج على السياسة البربرية !

وهكذا جنّدت قوى الشر للنّيل من أولئك « الوطنيين » تارةً بالقدح في كفاياتهم ، وتارة أخرى بالنيل من سمعتهم ، وكان من أثر هذا وذاك أن حرمت جماعة من علماء الشباب تسلُّمَ شهاداتهم العلمية بالرغم من نجاحهم في الامتحانات النهائية [١١] ، فكان باعثا على متابعةٍ للقضية من جانب جلالة الملك مما عُدَّ في وقته تعْبِيراً صريحاً عن تضامن العاهل الشاب مع العلماء الشباب [١٢] .

لكن بالرغم من إخبار المجلس العلمي وزيرَ العدلية بنجاح المجموعة طبقاً « لاستفهام » العِلْم الشريف ، ظلت الإقامة العامة تتشبث برأيها في « عناصر الشغب » من أبناء القرويين ، فوجهت في ١٩ شتنبر ١٩٣٢ رسالة في شأن استتابتهم ، فوجهت الدعوة الى الثلاثة : علال ، وعبد العزيز ، وابراهيم ، لاعلان التوبة ! ! وكان ذلك صباح يوم الخميس ١٥ شعبان ١٣٥١ هـ (١٤ دجنبر ١٩٣٢ م) .

وقد دفع هذا بهم الى تحرير رسالة صارخة الى رئيس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية للجمهورية الفرنساوية باريز ، وكان ذلك في ٣٠ يناير ١٩٣٣ م يذكرون فيها معالي الرئيس بالحيف الذي وقع عليهم ، مشيرين الى الرسالة المؤرخة بـ ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٩ هـ (١٥ ابريل ١٩٣١) التي تعترف بنجاحهم [١٣] ، وأن ادارة المراقبة الفرنسية التي كانت الواسطة بين المجلس العلمي ووزارة العدلية جمّدت توجيه الرسالة ! ! ثم تقول هذه الرسالة الاحتجاجية :

« لقد كان امتعاضنا عظيما لما استدعانا المجلس العلمي ذات يوم ، وقدم لنا اقتراحاً غريباً يقضي بإلزامنا التوبة من استنكارنا للسياسة البربرية ، حتى نحصل بذلك على الشهادة التي استحققناها » .

ثم تقول الرسالة : « وزيادة على ذلك ، فنحن نعتبر هذا الطلب إصراراً من الاقامة العامة على سياستها البربرية ، واستهزاءاً برغائب الأمة التي أعلنتها بواسطة وفدها الأمين الذي انتخبته وبعثته لجلالة الملك . ولهذا نسمح لأنفسنا أن نجدد لمعاليكم احتجاجنا القوي على كل ما جاء في صيغة « التوبة » وخاصة النقط التالية :

١) امتعاضكم من تدخلنا في القضية البربرية ، مع أننا أبناء جامعة دينية ، والقضية البربرية قضية دينية تمس بكرامة الاسلام وحرمة الشريعة وشرف العربية ووحدة المغرب .

٢) مساومتنا في بيع ذمتنا ، وخيانة مبادئنا .

٣) إرادة الزامنا بالتعهد بعدم التدخل في الشؤون الحكومية ، مع أننا – كمغاربة – لنا الحق أن نتدخل في شؤون بلادنا كيفما كانت مظاهرها !

ويختم الاحتجاج هكذا : « ونتذمر من سلوك سياسة الاضطهاد المتبعة في هذه البلاد ، والتي ليس من شأنها أن تحافظ على شرف فرنسا ، ولا أن تعمل على إعلاء ذكرها بين الأوطان ! وقد كان بودنا أن نخابر المندوبية الفرنسية بفاس ، ولكننا متيقنون أن غاية ما ستقول هو أن الأمر صادر عن صاحب الجلالة ، أيده الله ، مع أننا نعلم يقيناً أن جلالة السلطان بريء من كل هذه الأعمال ، وبريء من الموافقة على كل ما يخالف روح الاسلام وكرامة المغرب بصفته أمير المؤمنين وسلطان البلاد . . . »

وقد كان من أثر هذه التحرشات بالوطنيين أنْ نشط علماء الشباب والطلبة في حركتهم ضد الذين كانوا يحاولون « تجريمهم » ، وهكذا كتبوا عريضة في ١٧ المحرم ١٣٥٢ هـ (١٢ مايه ١٩٣٣ م) الى علماء الشيوخ لوضع حدّ ضد بعض الفرق المبتدعة : عيساوة ، حمادشة [١٤] ، وقد نجحت المحاولة ، فصدر الأمر بمنعها في ٧ شهر ربيع الأول من العام نفسه (٣٠ يونية) .

ولا بدّ أن نذكر هنا ما كان من أثر للدعوة الدكالية في إنشاء أول مدرسة في فاس : « المدرسة الناصرية »

التي كانت منتدى لعلماء الشباب : المختار السوسي – الفقيه غازي بلا فريح – الفاسي – الناصري . . هذه المدرسة التي تبعتها مدارس هنا وهناك ، كان من أرقاها وأبرزها (مدرسة بلا فريج) بالرباط [١٥] .

تلك « المدرسة » التي لم تسلم من دسّ بعض العملاء (بتقديم الميم على اللام) ، إذ حرّر « بعضهم » رسائل الى المسؤولين الفرنسيين ، ينذرهم فيها بما يمكن أن تسفر عنه هذه التجمعات ، وينصح الحاكم الفرنسي بتبديد شمل هؤلاء « المشوشين » الأمر الذي سبَّب اغلاق المدرسة ، ونقل بعض العلماء خارج فاس ، من أمثال السرغيني ، وابن العربي ، والفقيه غازي . وسبب كذلك مغادرة عدد من الطلبة لفاس[١٦] .

ولم تستعد فاس بهجتها الا يوم ثامن مايه ١٩٣٤ م عندما قدم جلالة محمد الخامس مدينة فاس بعد طول غياب ، فنظم طلبة القرويين وعلماء الشباب ، مظاهرات ترحيبية منقطعة النظير بمناسبة زيارته صباح الخميس تاسع مايه بعض أضرحة فاس [١٧] .

لكنها البهجة لم تدم لأهل فاس ، فقد ظلت القرويين تنتظر محمد الخامس ظهر يوم الجمعة الموالي ، وظللنا نحن تلامذة المدارس ننتظر على أحر من الجمر في منعرجات فاس ، وكانت شوارع المدينة وأسواقها كأنما هي خدر عروس لا يقع البصر فيها إلا على الأعلام المغربية الحُمْر تتوسطها النجمة الخضراء الخماسية ، وإلاّ على معالم الزينة التي يتخصص أهل فاس في اختيارها من بين أرفع وأثمن القطع المطروزة بأيدي شوابّ المدينة وفضلياتها . .

وبمقدار ما تقترب جامعة القرويين يزداد التعبير عن العواطف دلالة ، وما زلت أذكر ان الوطنيين استطاعوا أن يفرشوا الأرض التي تؤدي الى ابواب القرويين بالزرابي المبثوثة[١٨] .

لقد هزّ هذا الحدث – حدث مُغادرة الملك لفاس فجأة – جميع أرجاء المدينة ، ولكنه أسهم جيداً في إيقاظ الشعور الوطني الأمر الذي يفسره قيام الشباب في عيد العرش الموافق (١٨ نونبر ١٩٣٤) باغتنام الفرصة للتعبير الصادق عن الأثر الذي تركه يوم الجمعة[١٩] .

ثورة القرويين الأولى

إذا كان الطموح من طبع الكائن الحي ، فأنه تملك سائر طباع الطلبة ، فهم يَعْدُونَ دائماً الى الأمام – وهم سرمداً يحرصون على مسايرة الحياة ، فما كادت سنة ١٩٣٧ تحلّ حتى اخذ الطلبة النظاميون يتهامسون : « إن المغرب يستقبل عصراً جديداً ، وتطوراً يعم جميع مرافقه ، فاذا لم تكن هناك نهضة علمية يرتكز عليها هذا التطور ، فاننا لا نرجو من القرويين خيراً . . . » وهكذا تأسست (جمعية الرابطة القروية) بعد ان يئس الطلاب من الجواب على مطلبهم القديم بانشاء (جمعية أبناء القرويين) .

ولم يلبث الهمس أن أصبح انتقاداً : « لقد كان من المنتظر أن النظام الذي وضع منذ سنوات لكلية القرويين كفيل بعلاج كل أدوائها ، وبث روح العلم بين طلبتها ، ولكن من المؤسف أن النتيجة جاءت على خلاف ما يتوقع ، فبقيت تلك الأدواء على حالها ،بل انضافت اليها عيوب جديدة لم تكن فيها نتيجة للتدخل الاجنبي بمساعدة بعض العُمَلاء [٢٠]

لقد أعيدت المطالب الجديدة ، وقصد الوفد الذي كان يتألف من طلبة مغاربة وجزائريين [٢١] القصر الملكي

يوم السبت ثالث ذي القعدة من السنة المذكورة ، وقدمت المطالب ، ثم أتبعت بمذكرة في وجهة نظرهم .

ولقد أوعز لبعض الشيوخ بالقرويين أن بعض تلك المطالب يستهدفهم ويمس مصالحهم ، وربما كان بلغهم أن اللجنة التي أعدّت المطالب اقترحت على المخزن تسريح بعض العلماء غير الصالحين ، فهاج بعض العلماء ، وكانت المندوبية الفرنسية تَخْضَأ النار في الخفاء ، لأنها لا ترى في هذه الحركة بركة ، ووقع البحث عن الوسيلة لإحباط مساعي الطلبة ، وكان ان اهتدت « المندوبية » الى الطلبة غير النظاميين من الافاقيين . فألقى اليهم أن النظاميين( ) : ´مدون الى التخلص من مشايخكم ، والاجهاز على الكتب القديمة . .

فكتب هؤلاء بدورهم عريضة الى جلالة السلطان يتبرأون فيها من مطالب الجماعة الأولى ! وبعثوا بوفدهم كذلك الى القصر الملكي بالرباط(٢٣) !

اضراب الطلبة النظاميين

وأمام هذه المؤامرات التي كانت ترمي الى عرقلة المساعي ، والتقليل من أهميتها ، رأى الطلبة أن من المصلحة ان يحتجوا ضد هذه الأعمال ، فاتخذوا قراراً حاسماً في هذه القضية .

وهكذا أعلن عن الاضراب العام في القرويين عشية الاثنين ١٩ قعدة ١٣٥٥ (فاتح يبراير ١٩٣٧) وقاطع الطلبة درس الساعة الرابعة : « . . .ولولا تلطف الاساتذة لوقعت معركة بين الطلبة « الأهالي » وبين « الافاقيين » على حد تعبير سجل المجلس العلمي .

كانت هذه ثاني حركة اضرابية في تاريخ جامعة القرويين على ما نعلم ، وكانت الاولى منذ زهاء قرن ونصف عندما تظاهر طلبة المدرسة المصباحية(٢٤) .

وقد هاجم بعض الخطباء من الاحداث جماعة من العلماء فاغتنمها المعارضون فرصة ليذكروا بحقوق العلماء على الطلاب .

واستمر الفاسيون يجتمعون بالمدارس المذكورة ، بينما اتخذ المعارضون مدرسة الشراطين مركزاً لهم ، وقد اقتضى واجب المعارضة منهم أن يشيدوا بمحاسن نظام القرويين ، بالرغم من انهم لم يعتنقوه بعد ! !

وقد أُوعز لبعض الاساتذة أن يمتنعوا من الموافقة على استئناف الدروس الا اذا نال الطلبة المتمردون جزاءهم ، وهنا تمكنت السلطة المحلية من التدخل ، فتفاوضت مع (جمعية الطلبة القرويين) ثم اتصلت بلجنة تحضير المطالب واجتمع المضربون . وكان عليهم أن يجيبوا عن هذا السؤال : هل حصل الغرض من الاضراب ؟ لقد رأى بعضهم أنه يجب الاستمرار فيه الى أن تنفذ جميع المطالب ، ولكن الأكثرية منهم ترى أن التنفيذ يحتاج الى زمن ، وأن الغرض كان ولا يزال هو الاحتجاج على حركة بعض الذين شعروا بضعفهم فراحوا يتآمرون .

وقد استجاب الطلبة لنداء رؤسائهم ،(٢٥) فعادوا يجلسون أمام شيوخهم الذين عادوا ينظرون الى تلامذتهم بعين الازدراء والسخط .

وما زلت اذكر – وأنا اذ ذاك من طلبة القسم الاول الثانوي – أن وطأة الامتحان كانت شديدة على الطلبة ذالك العام ، وقد قصرت حصة امتحاني الشفوي تقريبا على التأنيب والتوبيخ والتذكير بتلك المواقف « غير المرضية التي وقفناها بالامس »[٢٦].

اضراب الطلبة غير النظاميين

كان الزائر للقرويين في ذلك العهد يلاحظ وهو يطوف بحلقات الدرس أن بعض المجالس العلمية تشتمل على عدد وافر من الطلبة ، ومجالس اخرى لا تضم إلا عدداً ضئيلاً . فما الفرق ؟ كانت المجالس الغاصة مجالس فقه ونحو ، وكانت المجالس الأخرى مجالس أدب وحساب .

إن الانخراط في النظام لم يكن في أول الامر إجباريا ، ولذلك أقبل عليه قوم ، وأعرض عنه آخرون . ولهذا كنا نلاحظ في بعض الظهائر الصادرة هذا التمييز : « الطلبة المنظمون وغير المنظمين » وكان هذا مما لم يستسغه رئيس المجلس العلمي الجديد مولاي مبارك العلوي ،[٢٧] ومما كان موضوع تقارير « ضافية » من مساعد الرئيس الفقيه السيد أحمد بوستة . وقد وجدت محاولة الرئيس ، في مقاومة تلك الفوضى ، معارضة من الطلبة الافاقيين ، وخاصة من كانوا يستفيدون من حق السكن في المدرسة وتوابعه دون التحديد بسني الدراسة في الجامعة ، ومن كانوا لا يستطيعون تحمل الامتحانات السنوية بكتابيّها وشفاهيها . وقد كان بعض الاساتذة يحرقون البخور لتلامذتهم !

وما أن حل يوم السبت ١٣ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٣ مارس ١٩٤٠) حتى ثارت ثائرة هؤلاء الطلاب ، وأعلنوها حرباً شعواء للنظام ، فأضربوا عن القراءة . واتفق أن كان الرئيس مزكوما ، فالتجأ الطلبة الى المندوبية يحملون اليها عريضة ، لترفعها الى جلالة الملك ، وتحمل هذه الرسالة تاريخ الثلاثاء ١٦ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٦ / مارس ١٩٤٠) بتوقيع طلبة المدارس « غير النظامية » .

وقد اطلع المندوبُ المجلسَ العلمي على الرسالة لإبداء الرأي قبل رفعها الى الجناب العالي .

وما وسع الرئيس الا أن غادر الفراش ، ولاسيما أن منشوراً عن هؤلاء الطلبة قد صدر حاملاً توقيع « فرقة الإصلاح » وداعياً الطلبة اجمعين للاضراب العام .

وحرر رئيس المجلس العلمي رسالة مطولة للصدر الأعظم في اليوم الموالي ١٧ صفر ، يذكر فيها أن « الطلبة غير النظاميين أشربت قلوبهم بغضاً في النظام ، واستهزاءً بقيمته ، حسبما ارتضعوه من مشايخهم داخل الجامعة القروية ». وتقول الرسالة : « ولقد هددناهم بالحرمان من « الخبزة والبيت » فكنا كمن يعظ بني إسرائيل . » . . !

وقد كان لتمرد الطلبة هذا أثر سيئ في سائر البيآت المتفتحة ، وبلغ الى علم المجلس العلمي أن العاهل يحرص على أن يرى الطلبة اجمعين منخرطين في النظام الذي سنّه ، لا فرق بين بدويهم وحضريهم ، وأنه لا يرى هناك مسوّغاً للاستغناء عن دروس الأدب التي يقاطعها الطلاب . هذا الى ما تأكد لدى الدوائر المعنية من أن هناك نفراً من الذين (يحترفون) طلب العلم ، يتمسكون بالبيت والخبزة ، ويتجرون في مفاتيح البيوت ، يكثرونها أو يبيعونها.

ولم تمض بضعة أيام من إضرابهم ، حتى حمل اليهم إنذار إن هم لم يقبلوا بأجمعهم على الانخراط في سلك النظام .

وحسبوا أنهم يخاطبون كما كانوا يخاطبون في الأيام الأولى عند تأسيس النظام ، فرفضوا الخضوع للأوامر ، وتمسكوا بالاعتصام، وأخيرًا اعتصموا بضريح السلطان المولى عبد الله . وأخذوا ينامون هناك ويطبخون ، وبلغ بهم الأمر أن أخذوا يعرضون بالذين يعاكسونهم ، غافلين عن أن الامر صادر من أعلى . وهنا ورد عليهم من الرباط مبعوث من دار المخزن ، ليفهموا منه ، أنهم : « إن لم ينفع معهم الصوت فسيعمد الى السوط » .

وعبثاً كانت معاكسات الطلبة وصيحاتهم ، وعبثاً كانت تهديداتهم . وتمالؤهم ، وعبثاً كانت محاولات « المندوبية »

لقد نجح الرئيس في حمل الطلبة بالقوة على السير مع الركب ، وهكذا أصبح النظام عاماً شاملاً على أثر (تدبير) قام به باشا المدينة وقتئذ : السيّد محمد التازي ، قبل أن يحل الركب الملكي في فاس بعد طول غياب ، [٢٨] وهكذا أمسى هناك توزيع عادل بين حلقات الدروس كلها ، وما حل سادس شهر ربيع الاول من السنة نفسها (١٤ ابريل ١٩٤٠ م) حتى أخذت الرسائل تنهال على المجلس العلمي : رسائل « التائبين » الذين يلتزمون بالدخول في النظام[٢٩] .

كانت حركة ضرورية ، ومهمة جداً ، ساعدت على توحيد افكار الطلاب في الجامعة ، وقوّت من مادتهم الأدبية ، وربطت بينهم وبين التيار الجديد .

المضايقات التي واجهت تعيين مدير جديد للقرويين.

كان جلالة المغفور له محمد الخامس يعرف مدى الشكوك التي ستخامر المتنفذين اذا ما كاشفهم بنيته في النهوض بالقرويين الى درجة الجامعات العصرية ، وكان من جهة اخرى على بصيرة تامة من مدى استعداد القرويين للتقبل . وقد عرفنا في جلالته الحكمة في معالجة الاحوال والتدرج في الامور ، لذلك ترك للنظام فرصة للحياة والتمكن ، وان كان يشعر في أعماقه بضرورة المزيد من الخطوات الى الامام .

وهكذا توالى على كرسي رئاسة المجلس العلمي المشايخ الاعلام : سيدي أحمد بن الخياط ، وسيدي أحمد بن الجيلالي ، ومولاي عبد الله الفضيلي . . ولكن هل كان كل هذا ما ترتجيه القرويين ؟ ان كل شيخ من هؤلاء المشايخ استطاع أن يحافظ بدقة على تطبيق التعليمات التي اعطيت له ، والتي ترد بين الحين والآخر من لدن وزارة العدلية لذلك العهد . فالحالة التي وجدت عليها القرويين عند تنصيب الرئيس الاول ، ظلت هي على عهد الرئيس الثالث ومكتب رئيس المجلس العلمي واعضائه ظل صورة للمجالس القديمة : الرئيس والاعضاء تجمعهم كل يوم حجرة واحدة ، هناك يتجاذبون أطراف المناقشات العلمية ، ويتبارون في تفهم دقائق العويص من المسائل الجارية ، واحيانا يشتغلون بالاحاديث الشخصية . اما داخل القرويين فقد استمر الاستاذ يلازم زاوية ما من زوايا القرويين ، ويتعاقب عليه الطلبة من مختلف الاقسام على رأس كل ساعة ، فكنت تخال ان مظاهرة شبّت اثر كل درس ، فهذه جماعة تقصد هذا المكان ، وهذه اخرى تعترض طريقها متجهة نحو مكان معاكس .

وورد على القرويين رئيس رابع ، هو مولاي مبارك العلوي (يناير ١٩٤٠ م) ، ففرض النظام على سائر الطلبة ، وعين لكل قسم مكانا خاصا به ، وصار الاستاذ هو الذي يختلف على الاقسام [٣٠] .

ومع كل ذلك فان الحالة في القرويين لا ترضي أولائك الذين ينشدون لها البقاء ، وان حل مشكلتها لا يوجد قطعا في تعيين هذا الرئيس ، واحالة الآخرين على وظيفة اخرى ، ولكن في غير هذا ، فهل تحتاج القرويين الى مدير؟ وعلى من سنلقي هذا السؤال ؟

هل في « الاقامة العامة » من سيقبل الاستماع عليه ؟ ومن سيكون هذا المدير؟ اننا حتى الآن لم نسمع بمدير مغربي على رأس مؤسسة ثقافية . فهل يقبل جلالة محمد الخامس ان يكون المدير اجنبيا : وفاتحهم السلطان الحديث ، فكانت المساومات ، وكانت لسيدنا رحمه الله الطاقة الفائقة في منازلة القوم ، وهكذا نال « شبه وفاق » من الاقامة العامة ، وليس الوفاق كله . إن السلطان كان لا يريد من القرويين أن تبقى أسيرة الأنظمة العتيقة ، إنه يريد أن « يطعم » الأفكار فيها بكل وسيلة ، إنه يريد قرويين متطورة ، لا قرويين جامدة . ولما كان قد حصل على ما يريد فقد انصرف رحمه الله الى الاختيار. إن القرويين ما تزال تشتمل على شيوخها المحافظين الّذين والّذين . . فبأي شخصية سيفاجئهم في هذه (القلعة) ؟ فليفكر إذن في المدير على أساس الجمع بين « الانتفاضة » و« الاحتفاظة » . ولم يلبث العلماء والطلبة أن تلقوا اسم الأستاذ محمد الفاسي مديراً للقرويين في مفتتح السنة الدراسية لسنة ١٩٤٢ - ١٩٤٣م ، فمن هو محمد الفاسي هذا ؟

لقد كان هذا السيد من الطلبة الأولين الذين قصدوا المدارس العصرية ، وبيته معروف الانتساب الى القرويين - ولكنه يغتنم كل عطلة في المدرسة ليحضر مجالس العلم في القرويين . وبعد أن أنهى دراسته الثانوية سافر الى فرنسا حيث نال عدة إجازات علمية ذات شأن ، وأخيراً - ولا بد أن نلاحظ ذلك - كان أثيراً لدى الأستاذ الفاسي أن يرجع الى زيه المغربي كلما وطئ أرض بلاده ، فهو يؤثر التمسك بالجلباب والسلهام والمنصورية . . .

لقد تقبله الطلبة - وهم يتوقون الى التطور - والعلماء - وجلهم محافظون - بصدور ملؤها الغبطة والسرور ، واذا كانت العادة في بعض المنتسبين الى الثقافة العصرية أن يحتفظوا للقرويين بالذكر الشائن الذي تخلفه بينهم أقلام « فقهاء » الإقامة العامة ، فإن كل ما قرأه الأستاذ الفاسي عن القرويين كان يقوي من ايمانه بجدواها . والحق أن القرويين أخذت تشعر بالحياة تدب في شرايينها ، وبالعزة لطلبتها ورجالاتها .

لكن بمقدار ما كان صاحب الجلالة يرتاح لوجود الفاسي بالقرويين ، كان المستعمرون يستثقلون ظله ، ويعدونه « لغماً » مسلطا عليهم في القرويين . لقد كانوا يحاربون مشاريعه المتتابعة ، وكانوا يحتفظون دأماً بذلك « النصف » من اللاوفاق ، فهم يعاكسونه في كل شيئ يريد تنفيذه مما يوعز له به صاحب الجلالة دون أخذ رأيهم ، عاكسوه لما اراد أن يجعل عطلة القرويين الربيعية والصيفية كعطلة سائر المدارس العصرية ، امتعضوا من تشريعه الاختبارات الدورية : رأس كل ثلاثة أشهر ، بدلاً من الامتحان عند نهاية السنة في غير أقسام الشهادة . أحدث بالقرويين قسماً تحضيرياً خاصاً بالطلبة الذين يردون من المدارس الحرة لئلا يجدوا صعوبة في الانتقال من كتب المدرسة الى الأوراق الصُّفْر ونجح في المطالبة بإعفاء الطلبة آلافاقيين من « الخدمة الإجبارية » التي كان الاستعمار يفرضها على البدو ، فتهافت الافاقيون على القرويين مما ادى الى احداث فروع أخرى للقرويين . وقد أضاف الى ملفه الأسود القاتم صفحة أخرى لما نفذ أمر العاهل بانشاء معهد للفتيات [٣١] يؤدي بالطوالب الى شهادة العالمية . لقد كان « شعار القصر » الملكي دائماً هذا السؤال : « لماذا في معهدكم كذا ، ولم يكن الأمر كذلك هنا ؟ » .

كان الفرنسيون وعدوا بقبول الفاسي « نائب رئيس » كما كانت تسميه النشرات ، ولكن على شريطة أن يروا سلوكه في القرويين . وزاد في « سوء حظه » معهم أنه كان يجعلهم امام الامر الواقع[٣٢] - فهو وقد وزع الأسبوع بين فاس والرباط وظل يعطي دروسه في المعهد المولوي - يستغل تنقلاته للتدخلات لمصلحة القرويين ، فلا يشعرون الا والرجل جاد في الطريق : يعين الأساتذة ، ويفتح الاقسام ويستغل القاعات ، ويؤوي الطلاب . فلم يتورع الفرنسيون عن إقصائه والزج بنا في السجن معه في جملة رفاقه الوطنيين سنة ١٩٤٤م لما طالب المغرب بكامل الاستقلال ، وشعر العلماء والطلبة بخيبة مريرة لفراق مديرهم ، ورجعت القرويين القهقرى ، وعطل الامتحان فيها سنة ليرجع اليها الأستاذ الفاسي يوم ٦ اكتوبر ١٩٤٦م ورجع هذه المرة في حفل عظيم شهده العلماء وخطب فيه العاهل ، فنعت الفاسي بالمدير « الغيور »[٣٣] فهل استفاد الذين دبروا إقصاءه ، من محاولتهم ؟ لقد حدث بعد هذا أن « الغيور » أخذ يردد صدى المطالبة « بالحي الجامعي » إنها « وقاحة كبرى » ! وراح المستعمرون يذكرون مرة أخرى لجلالة الملك أن الفاسي يشتغل بالسياسة داخل المؤسسات العلمية . وأن زوجته - وهي من أوليات المثقفات الفضليات - تتصل بمعهد الفتيات لتسمم أفكار الطالبات !

◦ ◦ ◦

ويستطيع كل واحد أن يعرف « الامكانيات » التي كان المستعمر يتوفر عليها لمحاربة تقدم القرويين والتشويش على مسيرتها ، لكن كل تلك الامكانيات لم تكن مما تستحق الالتفات اليها ، لأن الشعب كان من الوعي واليقظة بحيث يعرف كل التحركات المشبوهة .

لكن الذي كان مبعث الأسف ، هو ما شب من خلاف بين إخوة كانوا بالأمس على وفاق ، لم يلبث ذلك الخلاف أن تطور الى التهجم على جهاز القرويين الذي كان يحظى بعطف زائد من لدن العاهل .

وأنني وفاءً لأمانة التاريخ ، أردد هنا فقرات من بلاغ صادر عن القصر الملكي في ١٥ المحرم ١٣٦٩ هـ (٧ نونبر ١٩٤٩) هذا البلاغ الذي وجد صداه في النفوس ، وكان عاملاً على عودة المياه الى مجاريها :

« نظراً لما تروجه في هذه الايام الأخيرة بعض الصحف المحلية من المس بكرامة جامعة القرويين ، ونظامها المؤسس بظهائر شريفة ، وقرارات يسهر على تطبيقها المجلس الأعلى للجامعة بالأعتاب المولوية باشراف صاحب الجلالة الذي يكلؤها على الدوام برعايته وعنايته وكامل اهتمامه ، ورد على الأعتاب الشريفة وفد من علماء جامعة القرويين . . . وقدم لصاحب الجلالة أيده الله عريضة عليها عشرات التواقيع من لدن علماء النظام ، معبرين عن استيائهم العميق لما تروجه تلك الصحف ، وشارحين الحالة التي وصلت اليها جامعة القرويين من التقدم في مختلف ميادين نشاطها وأعمالها طبق ما يتوخاه مولانا الإمام أدام الله عزه للانام ، فقابل سيدنا دام له العز والنصر والبقاء وفد العلماء ، وعبر لهم عن سروره بالتقدم السريع الذي أحرزت عليه جامعة القرويين ، والذي شاهد جنابه العالي آثاره وسيره مراراً ، كما عبر عن استنكاره من اشتغال بعض الصحف بنقد ذلك النظام الذي ليس للقائمين بتسييره ، والإشراف عليه إلا تنفيذ الضوابط المقررة فيه لا غير ، بل إنهم يستحقون الشكر على قيامهم بالواجب في سبيل السير بالجامعة الى الأوج اللائق بها ، بصفتها مؤسسة دينية علمية عظيمة ، وصرح جنابه الشريف بأن الإدعاءات الباطلة لا تؤثر فيمن كان هدفه خدمة الصالح العام . . . »

مكاسب القرويين على عهد محمد الخامس
قبل نفيه الى انتسيرابي

ومع ان الاقامة العامة كانت تقف بالمرصاد لكل حركة تستهدف الدفع بمسيرة القرويين ، فهناك مكسب بارز أول : هو ادخال النظام على دروسها وعلى عطلها وعلى طلبتها وعلمائها في أوقات معينة .

لقد امسى الطلبة يعرفون بدقة كم عدد السنوات التي كان عليهم ان يقضوها في القرويين لنيل الشهادة العليا ، بعد ان كان الطالب بالامس يجهل كيف يرتب أموره (٣٤).

وقد اصبح العلماء ملزمين بالحضور في اوقاتهم المخصصة لهم ، لا يتأخرون عنها ، والا كانوا محل ملاحظة من الرقيب الذي يمر بالقرويين في كل جهة .

واصبح الطلبة يحملون دفتراً خاصاً بهم ، يسجل الشيخ عليهم فيه تخلفاتهم ، وعلى ضوء ذلك يقبلون اويرفضون في الامتحان .

واذا كانت الايام الأولى من حياة القرويين في عهده قد شاهدت بعثرة الدروس : يقرأ كل ما يشاء وكيف يشاء ، النظاميين وغير النظاميين ، فانها لم تلبث ان ارتبطت بنظام واحد بين صفوف الطلبة ، بدويهم وحضريهم (٣٥) ، وهكذا غزت الكتب الادبية بيآت الطلاب على مختلف درجاتهم ، فغدا التفكير متفقاً والمشاعر واحدة . ولا شك في ان هذا الالتقاء بين طوائف الطلاب سواء منهم ساكن الجبل وساكن الشِعب ، ساكن المدينة وساكن القرية ، كانت له فائدة جلى على تربيتهم ، والتقريب بين وجهات نظرهم .

وقد كانت البلاد تكتسب من هذا التنظيم كل سنة عددا مهما من الاساتذة والقضاة والدعاة مما كان له اثر قوي وملحوظ في الابقاء على الثقافة الاسلامية واللغة العربية .

وقد زاد في تكثير ميادين المعرفة عنايته ، يرحمه الله ، بمراكز أخرى من مراكز العلم الكبرى في المغرب ، تلك كلية ابن يوسف بمراكش ، ومعهد مكناس ومعهد طنجة ، وغيرها من التي اخذ يساعدها لتسير في ركب واحد مع كلية فاس (٣٦) .

وقد كان ورود «لجنة الامتحان» كل سنة من العاصمة يعطي للامتحانات طابع الجدية ، وهكذا كان هناك من يشرف على امتحان التخرج النهائي(٣٧) ومن يشرف على التخرج من الاقسام الثانوية وقد زار العاهل الكريم قاعات الامتحان مراراً زيارات مفاجئة ، واطلع بنفسه على موضوعاتها ، وأظهر اهتمامه الزائد بمستقبل الطلبة ، وكان يخص المتفوقين من الناجحين بعنايات خاصة فأوجد جوّا من النشاط المتوالي في الطلاب .(٣٨)

وقد أضاف الى هذه الخطوط الواضحة أعمالا جليلة ، خلدها للقرويين ، كان منها تأسيس المدرسة المحمدية التي شيدها لطلبة القرويين فأحيا بذلك سنة عرفها الموحدون وبنو مرين ، وأنشأ خزانة كبرى ، فانقذ بذلك الافاً من المخطوطات التي كانت معرضة للتلف ، وخصص خزانات اخرى للكتب التي يتناولها الطلبة النظاميون .

وقد كان مما أثلج القلب ، وأدخل السرور على الطبقات المثقفة بالمغرب ، خطاب العاهل المغربي رحمه الله بمحراب جامعة القرويين منادياً بتعليم الفتاة المغربية ، وكان ذلك يوم ٢٥ جمادي الاخرة عام ١٣٦٢ هـ (٢٩ يونيه ١٩٤٣) وأكده لوفود المهنئين لجلالته ثاني يوم من عيد الفطر من السنة (٢ اكتوبر ١٩٤٣) . [٣٩]

كان هذا نصرا عظيما للحركة العلمية في البلاد ، وارساء نهضة البلاد على اسس صحيحة ، وهكذا فتحت مدارس الفتيات هنا وهناك .

وقد كان في الامكان ان تستمر جامعة القرويين في سبيلها لولا الاحداث الجسيمة التي استهدفت لها البلاد سنة ١٩٤٤ م عند مطالبة المغرب عن بكرة ابيه بالاستقلال .

فهنا لاحقت السلطات الفرنسية النخبة الحية في البلاد ، وكان فيها عدد من الاساتذة واعيان الطلبة ، وفي صدرهم مدير القرويين . [٤٠]

وقد تأثرت القرويين بهذه المتابعات ، وساد جوّ من الفتور والانحلال في الدروس ، فجعل العاهل يقرر الغاء امتحانات السنة احتجاجا منه على تلك المناوشات .

ولما شاع انه يعتزم تعطيلها نهائيا اذا لم يخلوا سبيل القرويين ، عمل طلبة القسم العالي على لقياه ، فنعوا ولما كانت لي صلة بالرباط ، عهدوا اليّ بالمهمة ، فسعيت الى القصر صباح الاربعاء ٢٢ شوال ١٣٦٥هـ (١٨ شتنبر ١٩٤٦) فتفضل – يرحمه الله – باستقبالي في اليوم نفسه ، وكان مما قال مما لم أنسه ، بعد ان لمح ببعض الاشارات التي تفيد ان المياه سترجع الى مجراها .

« ينبغي ان يعرف الطلبة ان ضياع عام من عمر القرويين افضل من ضياع حياة بكاملها ! [٤١] » .

واسترجعت القرويين نشاطها مرة اخرى ، فنما عدد طلابها واتسع ، وكثر الواردون عليها حتى من خارج المغرب ، من الجزائر ومن السينغال [٤٢] ، وكثرت فروعها في فاس نفسها [٤٣] .

ولكن لتتعرض أيضاً لمضايقات الجنرال جوان الذي هددنا نحن خريجي القرويين عام ١٩٤٧م بأنه « يريد قرويين لا تشتغل بالفضول [٤٤] » ! !

ومع ذلك دأب جلالة المغفور له بالعزم الذي عرف فيه على الرفع من معنوية القرويين وطلبتها وعلمائها . ونستطيع التأكيد أن ميدان المواجهة بين القصر والإقامة لم يعد شيئاً غير مشكلات التعليم .

ومن أجل هذا كان تأسيس اللجنة الملكية لإصلاح التعليم الذي قصد بها العاهل التمهيد لإنشاء جامعة عصرية موحدة المناهج [٤٥] .

وقد انتزع العاهل الإذن بافتتاح معهد للفتيات تابع لجامعة القرويين يؤهلهن لنيل شهادة القرويين العليا ، وقد تم تدشينه أيام مقامه بفاس ربيع عام ١٩٤٩م . وهو الأول من نوعه في تاريخ المغرب [٤٦] .

وقد كان يحض العلماء على أن لا يقتصروا على الدروس الاعتيادية [٤٧] المخصصة لهم ، مذكراً إياهم بالمهمة التي يفرضها عليهم الواجب ، ولهذا انتشرت حركة للتطوع السخيّ بإلقاء الدروس في أوقات تساعد الناس على متابعة العلم ؛

فكانت تلقي محاضرات من النوع الرفيع الذي يذكّر بمجالس الأعلام المتقدمين[٤٨] .

وكان يضرب المثل بما يحييه من عادات لأسلافه معروفة إبان الأشهر الحرم حيث كان يجمع علماء المغرب ، وفيهم علماء القرويين ، في مجالس حافلة ، تلقى فيها دروس في الحديث الشريف [٤٩] .

لقد كانت البلاد تكتسب من هذه القرويين – كما أسلفنا – عدداً مهماً كل سنة من أعلم الأساتذة ، واعدل القضاة ، وأصدق الدعاة ، انتشروا في طول البلاد وعرضها ، ينشرون العلم ، ويحمون الحقيقة ، ويبثون الخلق الاسلامي ، مما كان له اثر قوي ملحوظ في الإبقاء على الثقافة الإسلامية واللغة العربية في مختلف الجهات .

وفي المتخرجين منها من تصدّر للقيادة فبرز ، ومن خاض غمار معتّركات أخرى من الحياة فتفوّق ، وكان الفضل طبعًا لذلك الجهد المضني والملذ في وقت واحد الذي كان يبذله أولئك في مدارسة النّصوص بما تحتويه من مفاهيم شاخصة وظلية .

إن أحداً في المغرب وفي غير المغرب لا ينسى للمغفور له محمد الخامس السرَّ الذي كان يكمن وراء وضع ثقله كلّه وراء القرويين وفروعها .

بيد أن كل هذه « الخطوات » كانت أمراً غير مرغوب فيه[٥٠] ، لسبب واحد ، لأنهم وجدوا فيها تعبيراً صريحاً عن العزم الذي يتملكه من أجل المحافظة على « الكيان » المغربي . . هذا الكيان الذي كانوا يريدون استبداله بكيان آخر .

وهكذا اشتد الخلاف بين القصر والإقامة ، واستحكمت الأزمة لما مارس الجنرال جوان الضغط على جلالة الملك يوم ٢٥ يبراير ١٩٥١م[٥١] .

وقد تطورت الأحوال الى أسوأ . . والقرويين مع هذا تتعثر وتقص أجنحتها ، وتوضع العراقيل تلو العراقيل في طريقها [٥٢] .

وكان أن أبعد ، أعزه الله ، صحبة أسرته الكريمة الى مجاهل الدنيا ، فوقعت القرويين على يديها وفمها ، وعادت مجالسها حديثاً عنه ، وترقُّباً لأخباره ، وأصبح طلبتها فدائيين ! وتعرّض شيوخها للعذاب والإهانة ، لأنهم كانوا يرون فيه الملاك الوحيد الذي كان يُظلهم ويعطف عليهم ، ويرعاهم . .

واستسلمت القرويين لسلسلة من الاضرابات والاعتصابات والاعتصامات ، ولم تسترجع رشدها الا عندما هبّت أطاييبه عليها ، وتأرجت بذكره جنباتها . . .

إن ربع قرن من مملكة محمد الخامس ، لم يسجل فقط صدور قوانين وتشريعات تمس نظام القرويين ، ولكنه سجل أكثر من ذلك تكوين جيل قويّ ، كان بمثابة الدّرع الحصين ، الذي تقمصته الوطنية المغربية ، وقاومت به في مختلف ميادين المقاومة .

القرويين في خُطَب محمد الخامس

ظلت القرويين أنشودته المحببة ولازمة قصيده التي يرددها عند كل مناسبة باسلوبه المعهود ، وإشاراته البليغة التي

كان يدرك مكنونها رجال القرويين ، من علماء ومن طلاب . وهكذا فإن أحاديثه عن الجامعة كانت بمثابة تجديد العهد بينه وبين هذه القلعة الحصينة .

ولنعد الى خطابه في فاس يوم الخميس غرة شهر ربيع الثاني ١٣٥٩هـ (٩ مايه ١٩٤٠م) عند تدشين المدرسة المحمدية ، ووضع حجر الأساس لخزانة القرويين الكبرى ؛ . « تلك الكلية المؤسسة منذ قرون عديدة مزدهرة الماضي ، جميلة الحاضر بما ينجز فيها من تحسين ويحصل عليه من نتائج مفعمة المستقبل بباهر الرقي ومنجز الآمال . . .

إننا إذا أردنا أن نجاري الأمم الحاضرة في مزاياها الوقتية ، لا يمنعنا ذلك من التمسك المتين بحبل مبادئ الإسلام ، والتشبث بأذيال تقاليدنا المؤسسة القديمة . . . »

ومن خطابه في فاس في ٢١ جمادي الأولى ١٣٦٠هـ (١٦ يونيه ١٩٤١م) :

« . . . علمنا ما لجامع القرويين من سالف المجد في حفظ مهجة العالم الاسلامي ، وما تخرج منه من الفحول الذين كانوا تيجان فخر بمفرق الدهر في طيّ عهود التاريخ المغربي ، فما علمنا من وسيلة ترد شبابه ، وعمارة دروسه وازدهار العلم به ، إلا اتخذناها . كانت الدروس مبعثرة يقرأ كل ما يشاء ، وكيف يشاء ، فجمعناها منظمة بنظام لم نزل نسمع أحسن الثناء عليه من كل الجهات . . .

كلية القرويين التي نود أن تكون جامعه للكلمة مهذبة للأمة ، حاملة راية الاصلاح . داعية الى أسباب الفلاح . . علقنا كل آمالنا بالقرويين . عاهدنا الله على أن لا نجد مصلحة إلا اتبعناها ، ولا نعلم وسيلة خير الا اتخذناها . . .

ومن خطابه في فاس ، وقد حضر الاحتفال بنتائج يوم ٢٥ جمادى الآخرة عام ١٣٦٢ هـ (٢٩ يونيه ١٩٤٣) .

« . . . انكم تعلمون أن من طبيعة الكون أن يستتبع الإصلاح إصلاحاً ، بحيث لا ينبغي للإنسان أن يقف في طريق التحسين ، بل المتعيّن هو مواصلة الجهود ما دام المرء حياً ، وذلك ما نعدكم به . فعلى العلماء أن لا يكتفوا بإلقاء الدروس الإعتيادية ، بل ينبغي لكل واحد يجتهد في تحسين طر ق التدريس ، ويتابع الترقي في أسلوب التعليم ، غير قانع بما يتيسر عفواً بل يوجب عليه اختصاصه بفن واحد أن يدأب على البحث والتنقيب في كل وسيلة تسهل تبليغ العلم للطلبة . . . » .

ومن خطاب له في الرباط ، في عيد العرش ٢٩ ذي القعدة ١٣٦٢ هـ (١٨ نوفبر ١٩٤٣م) :

« . . . رأينا أن المغرب يفتقر قبل كل شئ الى رجال العلم المنتج ، ولا يكون أولئك الرجال إلا العلم . . لذلك جعلنا أساس النهوض بالبلاد الاعتناء بمعاهد العلم ، ونشر وسائله بكل ما نستطيعه من الجهود ، وبذلنا المستطاع في تنظيم أحوال كليتي القرويين بفاس وابن يوسف بمراكش ، محسنين ذلك التنظيم كلما سنحت لذلك فرصة ، ليتكامل نفعها ، ويتزايد المومل من نتائجها . . . » .

ومن خطابه في ١٢ ذي الحجة عام ١٣٦٤ هـ (١٨ نوفبر ١٩٤٥م) :

« . . . كما تحتاج كليتا القروين وابن يوسف الى مدرسين يشغلون ما زال يفرغ من حين الى حين من وظائف التدريس العالي الاسلامي ، هذا واجب أكيد يلقيه اضطرار البلاد الى الرقي على عاتق كل واحد منا سواء الآباء والأبناء »

وعند عودة المدير الى القرويين ، وتعيين الشيخ الطائع بن الحاج رئيساً جديداً حضر احتفال التّنصيب يوم يوم ١٠ ذي القعدة ١٣٦٥ هـ (٦ اكتوبر ١٩٤٦م) .

« . . . تعلمون ما اجتهدنا فيه من استرداد الشباب لهذا المعهد المعمور ، وما حاولنا من احيائه بعدما كاد يشرف عليه التدهور. ولم نزل نطمح الى السمو بشؤونه ، وتكثير مناهج التعليم فيه وفنونه ، مغتنمين الفرص والمناسبات ، ومنتبهين لما ينهض به من وسائل الحياة ، وحقاً أشرقت بزواياه شموس الأمل . . . وقد آن لجامعة القرويين أن تشرق شمسها ، ويلوح نجم سعدها الوهاج ، وتثمر أحسن الثمار بإذن ربها ، فجئنا حاملين لكم عبارات التهاني . . . » .

وفي خطابه في عيد العرش ٢٣ حجة ١٣٦٥ هـ (١٨ نونبر ١٩٤٦ م) أشار الى الحركات التي كان يقوم بها لتحقيق آماله في إنشاء (جامعة عصرية) :

« . . . قررنا في الصيف الماضي اجتماع لجنة كبرى للمذاكرة في تسيير المعارف على نحو ما يرضي من التقدم والنهوض الى مستوى الرقي العصري . . كما أنشأنا لجنة للوقوف على اختيار الكتب الدراسية ، ليكون التعليم بها في مدارسنا موّحد الوسائل . . . » .

وكان من خطابه في عيد العرش يوم خامس المحرم ١٣٦٧ هـ (١٨ نونبر ١٩٤٧) :

« لقد ابتهجنا بما ظهر في جامعتي القرويين وابن يوسف وغيرهما من المعاهد الدينية بمكناس وطنجة من نتائج اعتناء المدرسين وحرص الطلبة . . وقد أخذت بشائر الرقي هناك تنتشر في كل البلاد ، حتى وفد على القرويين طلبة العلم من الجزائر والسودان . . على أن عدد الطلبة أخذ في نمو متزايد ، الأمر الذي يشرح الصدور ويقوي الرجاء في نشر المعارف الإسلامية والحضارة العربية في هذه الديار المغربية . . . » .

ومن خطابه في عيد العرش يوم ٢٦ المحرم ١٣٦٩ هـ (١٨ نونبر ١٩٤٩ م) :

« . . . وقد اغتنمنا فرصة تلك الزيارة للوقوف على تحسينات جدد كزيارة فرع القرويين المؤسس بجامع الرصيف المنبئ بمتابعة نمو الأعمال في نشر التعليم ، إذْ تعلمون أن اهتمامنا الأكيد ما زال متعلقاً بترقي كلية القرويين الى ما تستحقه من الصعود المتواصل ، حتى تؤدي وظيفتها للدين والوطن ، وتحل محلها الذي هو منبع كل إصلاح ، وروض كل سعادة وفلاح . . . » .

وقد توّجها في العيد الفضي لجلوسه على العرش ٢٩ صفر ١٣٧٢ هـ (١٨ نونبر ١٩٥٢ م) ، وكان ذلك مباشرة قبل نفي جلالته إلى كورسيكا ، وفي هذا الخطاب يشير لأول مرة الى العراقيل التي تقف في طريقه :

« . . . وقد علمنا ما كان للمعاهد الدينية من أثر في حفظ الشريعة الإسلامية ، ودفع الشبهات عنها وبث الأخلاق الفاضلة ونشر اللغة العربية ، فوجهنا عنايتنا لجامعة القرويين التي كان لها الحظ الأوفر في المحافظة على كيان الحضارة الإسلامية ، وإمداد البلاد بعلماء أعلام كانوا مفخرة في تاريخ الإسلام ، فما تركنا وسيلة ترد مجدها وتعيد اليها سمعتها ، إلا اتخذناها . . وكان أملنا أن يزدهر هذا النظام ، ويعمم تطبيقه سائر المعاهد في أمد يسير ، لولا ما يعرض هذا العمل من عراقيل ، نحن جادون في تذليلها . . . » .

ترى كيف أن القرويين كانت شغله الشاغل ، وترى أيضاً كيف أن التاريخ لها كان يعني تاريخ كفاح شديد وامتحان

عسير كان العاهل يتحمله وحده .

ان على القرويين أن تدين بالشكر والفضل لذلك الرجل العظيم الذي طوّق جيدها بأفضاله . . .

العلماء ونفي محمد الخامس

منذ عرف الطغيان ، والقرويين معسكر لمقاومته ، فعنها تصدر دائماً الطلائع الأولى ، وقد مرت في تاريخ المغرب احداث كان للعلماء فيها مواقف مشرفة ، أثبتت مضاء عزمهم وصلابة عودهم .

وقد قرأنا عن وفائهم منذ بعض الوقت لما طلب اليهم أن يتخلوا عن بيعة الوطاسيين للسعديين ، وعرفنا عن استماتتهم وهم يستفتون في تسليم « العرايش » للأسبان .

وقد ظلوا على ذلك الوفاء والاستماتة في كل الظروف العصيبة التي مرت بها البلاد ، منذ مطلع الدولة العلوية ، فكانوا الرعيل الأول الذي قاوم الوجود الأجنبي في هذه الديار ، بما حبرُوه من فتاوى ، وما الهبوه من مشاعر ، وأيقظوا من همم .

وقد كانت الثورة الريفية على الاستعمار بقيادة خريجي جامعة القرويين من أمثال المجاهدين البطلين محمد بن عبد الكريم الخطابي وأخيه محمد [٥٣] . وقد ظل أبناؤها ضيوفاً مستديمين على السجون والمعتقلات ، وكان يكفي للتهمة في نظر « المراقبين المدنيين » أن ينتسب المرء الى القرويين ، لأن المفروض في شخص تحتضنه زواياها أن يتوفر على عاطفة شرّيرة نحو المستعمر !

ولو أن جلالة المغفور له الملك محمد الخامس لم يكن لها نصيراً ، وعلى حماها غيوراً ، لدكت دكاً . . . أليست هي البيت الذي كانت الخنادق العسكرية تحفر في اتجاه بابها الرئيسي أيام الثورات الوطنية ؟ وقد عرف فيها العاهل مثال الصديق الوفي في أحلك الظروف ، فمنها علت صَرَخات الاحتجاج مدويّة لاحباط المؤامرات التي كانت تدبر ضد العرش من قبل المستعمرين وعملائهم ولقد تهافت العلماء تهافتاً على إمضاء الفتاوى بمروق العملاء وخروجهم عن الدين ، في وقت عز فيه النصير ، وكان فيه قادة المغرب جميعاً في الغياهب يرسفون في القيود والأغلال ، لقد ظلوا جميعهم أوفياء للذي كان يلقبهم بإخوانه[٥٤] .

ولم يخطر ببال المستعمرين في وقت من الأوقات أن يتوصلوا ، عن طريق هؤلاء العلماء ، الى النيل من سيدي محمد بن يوسف ، لأنهم يعرفون سلفاً أنهم لن يصلوا الى ذلك فلم يحاولوا إثارتهم ضده .

ولما اختطفوه ، وحلّقوا به في الأجواء الى منفاه السحيق في كورسيكا ، فكروا في أن ينتزعوا تزكية من بعض علماء القرويين لصنيعتهم على نحو ما فعلوه مع علماء الأزهر لما ارغموهم على تزكية وجود بونابارت فهل (تهافت العلماء على التوقيع لمصلحة القِرد الذي بقي في الأرض ؟[٥٥]

لقد وقع في الشرك من العلماء – الذين يربي عددهم على المئتين – ((سحابة)) منها ، لا تزيد على الستة والعشرين ، فاستدعوا[٥٧] – في اليوم التالي ليوم نفي العاهل الكريم وارغموا على التوقيع على ((خلع محمد بن يوسف وبيعة عرفة)) ، بل سألهم احد العملاء : هل وقعتم عن طيب خاطر ؟ فأجابوا : نعم ؟ ؟ هل تلتزمون بكل ما جاء في البيعة ؟ فأجابوا نعم ! ![٥٨]

فماذا كان شعور هؤلاء الذين فعلوها ؟ ان الظاهرة التي كانت تميزهم عن ((آخرين)) وقعوا هم كذلك في الشرك ، ان العلماء كانوا دائماً يعترفون بأنهم راحوا ضحية ضغط ، وأنهم كانوا يشعرون بأنهم يأتون اثماً ، وهم يمهرون اسمهم ، لقد اكرهوا ، ولكن قلوبهم كانت مشبعة بحب ابن يوسف ، ولم يستسيغوا قط ان يرددوا كما كان يردده الاخرون من بعض المحامين ، وهم يقولون : ((ليس للتوقيع اية صبغة قانونية بعد ترحيلهم اياه فعلا)) فهم ، أي اولئك العلماء ، ظلوا يشعرون بأنه لم يكن هناك من مسوّغ غير الاكراه .

وقد ظلوا مع ذلك يحملون عبئاً وعاراً لم يتخلصوا منه الا عندما حلت الذكرى الأولى لنفي العاهل ، هناك رحل العلماء الى الاقامة العامة يعلنون تعلقهم بالملك الشرعي للبلاد ، وهكذا برهنوا على ان جواب الامس بنعم كان يعني « لا » [٥٩] .

وليس هذا فحسب ، ولكنهم اعتصموا بالمساجد ، ودعوا للصيام الى ان يتم الافراج عن الملك الشرعي . وقد كانوا يتلذذون ، وهم يتلقون الضربات العنيفة بأعقاب البنادق ، ويتحملون أسوأ الاهانات من جند اللفيف الأجنبي وهو يداهمهم ، ويقودهم الى السجون والمعتقلات .

لقد كان لحركتهم تلك أثر قوي في افساد برنامج فرانسيس لاكوسط ، وكانت فاتحةً لارتجاجات واصطدامات نوه بها فرانسوا موریاك [٦٠] .

وقد كان جلالة المغفور له على يقين من عواطف العلماء ، وعلى تقدير كذلك لظروفهم ، ولذلك فانه عند زيارتهم لجلالته في سان جيرمان آن لي (باريز) قبيل عودته من منفاه زوال الاثنين ٧ نونبر ١٩٥٥ – أثنى على مواقفهم ، وحيَّا فيهم حبهم لمقامه ، ولم يفته مع ذلك أن يتوجه الينا ونحن نتقدم اليه كمكتب لجمعية العلماء بالمغرب التي تأسست قائلاً : إنه لا تغيب عنه ظروف الفزع والهلع التي كان يعيشها المغرب على أثر اختطافه الذي لم يكن يخطر على بال أحد . ولكنه يتساءل أكان الضغط حجةً للاستسلام دائماً ؟ . . وذكر رحمه الله أن البروفيسور « لوي ماسينيون » تحدث الى جلالته في منفاه بأنتسيرابي يوم ٢٥ يناير ١٩٥٥ ، في موضوع توقيع بعض العلماء مستدلاً بالآية الشريفة : « لا إكراه في الدين » . . . وتساءل أيضاً : أكانت هذه « الفالطة » تدخل في عداد الاجتهاد المخطئ [٦١] .

كانت كلمات نبرة حية ، اعتذر عنها بعض العلماء بأن هول الحادث كان جديراً بان يضيّع الرشد وضرب مثلاً لذلك بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لما رفعه الله اليه عم اللاشعور ، حتى نسي بعض الصحابة وجود بعض الآيات في القرآن الكريم . . . !

وتلطف جلالته ليفرج عن الحاضرين بسؤال مداعب لهذا المعتذر . « قل لي : هل كنت أيضا ممن وقعوا تحت الضغط ؟ ؟ فأجاب : لا .. لا .. ! فتلطف جلالته قائلاً : وهو في أكمل انشراح : « إنه ما خامرني ، ولن يخامرني شك أبداً في وطنية العلماء ، وذكر أن قصره سيظل مفتوحاً في وجوههم لإسداء العون اللازم من أجل ازدهار العلم ورفاه العلماء . »

= القرويين بعد الاستقلال =

استرجعت المملكة المغربية سيادتها ، فاستشرفت جامعة القرويين المتعَبة المجهَدة الى ماكـ [illegible]ـيه تتوق ، واشرابت

الاعناق الى ذلك المدير الذي أصبح اليوم وزيراً للتربية . لعل رجال القرويين لم يكونوا يحلمون بهذه الأمنية في يوم من الأيام. لقد تلقوا نبأ تعيينه وزيراً للتعليم في أول حكومة وطنية بكثير من الاستبشار، كما رأوا طالعة خير في إنشائه بالوزارة قسماً خاصاً يعنى بشؤون جامعة القرويين وسائر المعاهد الأصلية ، وجعل الإشراف عليه من اختصاص رجل من رجال القرويين . لقد كانوا مغلوبين على أمرهم ، لكنهم اليوم أحرار منتصرون ، فلا بد اذن من تغيير جذري في البرنامج والمنهج والجهاز ؟ . . . وكما لم يقبل جلالة الملك محمد الخامس أن يتصور المغرب العملاق ، يرتدي جلباب الأقزام ، فانهم كذلك أصبحوا يرون أن الجلباب الذي كانت ترتديه القرويين بالأمس أضحى قصيراً وضيقاً لا يمكنها من السير مطمئنة . . .

وهكذا دعا الطلبة لمؤتمر اتخذت فيه ((اللجنة الثقافية)) نص قرار ، رفع الى الأعتاب الشريفة والى صاحب المعالي الوزير في أوائل يناير ١٩٥٦م .

وفي (٢١ يناير ١٩٥٦) أسس العلماء جمعية لهم ، سَمَّوْها (جمعية علماء المغرب) ، ورجوا من المغفور له سيدي محمد أن يتفضل بتعيين ولي عهده - وهو الأمير العالم - رئيساً شرفياً لها(٦٢)

وجوابًا على تلك (البادرة) من الطلاب ، زار المدير الوزير جامعة القرويين على متن بَغْله في يوم من أواخر يناير غزير المطر شديد البرد(٦٣) . . . .

ونصب الرئيس الجديد للجامعة ، وهو الشيخ الحسن مزور ، وجملة من الموظفين الجدد ، مغتنما هذه الفرصة ليتوجه الى الطلبة بهذا الوعد الجميل :

« .. سأعمل على أن أجعل القرويين كلية عصرية . لكن لا يخفى عليكم انني عدو الارتجال ، وإنه لِتحقيق المشاريع لا بد من التدرج في الخطوات .. »

واذا كان الإنسان خلق من عجل ، فان الطلبة - كما قلنا - كانوا الفرد الكامل للإنسان في هذا الخلق ، غير المحمود أحياناً ، فهم لا يتريثون وهم يريدون كل شيْ على الفور .

وقد رأوا أن في القيام بالاضراب حثا للحكومة على التعجيل بالنظر في المشكلات التي يعانونها ، بل قرروا بعد ذلك الامتناع عن الأكل ، والاعتصام بمسجد الرصيف أحد فروع الجامعة ، وكان الوقت يصادف رمضان ١٣٧٥هـ (١/٤/١٩٥٦) .

لقد هالت بعض الجهات المسؤولة هذه الحركة غير المنتظرة من الطلاب وبمثل هذا العنف . والحقيقة أنهم - بعد نيل الاستقلال- ربما أخذوا يشعرون بثقل ظلهم على الجهاز المغربي الحديث ؟ .وقد فتح المغرب عيونه - بعد تحقيق مطامحه - ليجد نفسه فعلا أمام جيل مختلف التكوين : فريق قصرت ثقافته في الدراسات العربية والإسلامية وبعد عن الضاد أوكاد ، وفريق آخر قطعت صلته بمعطيات اللغات الحية ... هناك شعور بالتباين بين فريقين من الشباب ، ولم يكن هناك تكافؤ في الفرص .

إن الوظائف التي هيئ لها خريج القرويين بمقتضى أوضاع المرسوم الصادر سنة ١٩٣١ ، وتقتصر على الإمامة والخطبة والكتابة والقضاء ، ليست بكافية لإرضاء خريج القرويين ، وهو يرى أقرانه من خريجي ثقافة أخرى تناط بهم المهمات

والوزارات والسفارات ؟ .

ولقد شمل الإضراب أيضا (معهد الفتيات) التابع للجامعة .. فهل عدن غير راضيات هُن الاخريات بمنهاج القرويين ؟ وهل كانت تروقهن مباحث الزكاة ومشكلات البيوع ، ومنعرجات مسالك الحج في الشيخ خليل ؟ هل تأثرن بتحفظ ابن هشام في تعبيره ، واقتصاد المحلي في كلماته ؟ وهل كن يوثرن التحفة على الزقاقية ؟ إنهن جميعا كن يتساءلن عن النقطة التي يوجدن فيها على هدا العهد الجديد ؟ .

وسائر الطلبة في الشمال والجنوب والشرق والغرب جميعاً ، يتوقون أن ياخذوا بنصيبهم من الحياة وإن كانت الرغبة في الأخذ بالنصيب تختلف – كما أعتقد – درجه ، فبينما نجد الرغبة في القرويين ملحة ، نجدها في كلية ابن يوسف مثلاً في طريق أن تصبح ملحة ، وبينما نجدها في المعهد العلمي بمكناس تنمو ، نجدها في تطوان وطنجة ، حتى في وجدة ترهف مسامعها لتستمتع بسماع الآمال وتنعم بالأحلام .

ودوّت إشاعة في بيآت الطلبة فوقفت ناصيتهم ، لقد ورد عليهم مكتوب من القاهرة يقول : « إن بضاعة القرويين هناك غير نافذة ... وإن عليهم أن لا يحاولوا الالتحاق بالقاهرة طمعاً في الانخراط بالجامعة .. وعليهم أن ينتظروا دورهم في المغرب كعدول أو قضاة أو محرري جوابات ! ».

رسالة قصيرة ولكنها كانت كافية للإثارة الحادة .

نحن أمام مشكلةٍ ما فى ذلك شك ... نحن أمام قرويين مهلهلة البرامج ، تافهة المادة ، فهل من واجبنا أن نبث فيها الحياة لتسترد مجدها الشامخ ؟ أو أن من الخير أن نتركها تغط في منام قد يسلمها الى نهاية ماحقة ؟ لقد انقسم المسؤولون الذين عهدت اليهم دراسة الموضوع ، كان هناك من يرى من العبث أن يحاول المرء أن يخلق من العجوز الشمطاء شابة يانعة ، فلتذهب الى غير رجعة . وفي الناس من يرى أن الإجهاز على القرويين إجهاز على كيان المغرب وتآمر على دينه وعروبته فيجب في نظر هولاء أن تتعهد بكل ما من شأنه أن يعيد اليها البهجة والحياة ولكن من سيخطط التصميم لبنائها ؟

لقد كانت هناك مشكلات عويصة تعترض الذين كانوا يتزعمون الإصلاح .. ومن أبرز تلك العقبات أن هناك جانباً مهماً ممن تحتضنهم القرويين فيهم الطلبة وفيهم الأساتذة ينبغي تصفيتهم . وهكذا فلا بد ان « تحديد السن » مثلا لن يسمح ببقاء بعض الطلبة في صفوفهم . ولا بد أن إصلاح المناهج ، وتغيير البرامج مما يضايق بعض الشيوخ هنا . فهل نسمح بغض الطرف عن هؤلاء وأولئك لتبقى « دار لقمان » على حالها ؟ أو سنتحرك وفي الناس مَن لا ترضيه تلك الحركة ؟ ان الفكر السائد كان يميل الى التضحية بالأفراد لتحفظ مصالح المجموع .

= المغفور له على منبر القرويين =

وبعد أن رجع الطلبة الى هدوئهم ، كان ركب جلالة المغفور له قد حل بمدينة فاس لأول مرة بعد الاستقلال وكانت فرصة لاسداء الشكر الى هذه القرويين .. وقد تجلت ظاهرة الشكر هذه في بادرتين اثنتين :

أولاهما تحية المنبر نفسه الذي عاش في حدادٍ طوال غياب العاهل الكريم في منفاه ، وهكذا فكما تعرو الناس ظروف تخرس منهم اللسان وتفت في عضدهم الوهن ، فقد شاهد هذا المنبر ظروفاً قاسية أرغم معها على وداع رجاله

الأفذاذ الذين يرددون على درجة آيات ملؤها الحكمة والصواب .

لقد عطل هذا المنبر لما حاصر المرابطون الجامع عند مبدأ ظهورهم ، وعطل أواخر السعديين لما ثار أهل فاس عند تسليم العرائش .

والى جانب هذا عطل المنبر لما عمد الفرنسيون الى سيدي محمد ، فطوحوا به الى « زنزا » (٦٤) . فهنا حاول الاستعمار أن يقدم الى المنبر خطباء وأئمة يزكون صنيعتهم الذي نصبوه ، لكن المنبر لفظهم كما تلفظ النواة ، وهجر الناس المساجد ، واستمر المنبر في حداد الى أن استرجع العرين صدى ذكر محمد الخامس ..

فبرّاً بتلك المأثرة ، ارتقى الملك المجاهد المنبر خطيباً ، وهكذا استطاع التاريخ أن يسجل في لائحة خطبائه المقدسين اللامعين اسم محمد الخامس ، نوّر الله ضريحه .

أما البادرة الثانية فهي فيما نطق به ازاء هذه الجامعة العظيمة مما سيبقى غرة في جبين التاريخ : لقد كان ذلك يوم الجمعة ٤ ذي الحجة ١٣٧٥هـ (١٣ يوليه ١٩٥٦) ، قال جلالته :

« ... إن من بين الإصلاحات التي اخذت اهتمامنا ، واسترعت أنظارنا ، وتوجهت اليها عنايتنا ، مسألة التعليم والتربية بالمعاهد والكليات ، وخصوصاً هذه الكلية الزاهرة بماضيها المجيد المملوء بما يفيد وبمفاخر أبائنا العلمية في ميادين التهذيب والدين والوطنية ، هذه الكلية المشهورة بما قدمته للانسانية من خدمات وأنجبت من ابناء وبنات ، ونشرت من حضارات ، هذه الكلية العظيمة التي كانت منذ العهود القديمة مقصد الراغبين ، وقبلة المتعطشين ، وكعبة الطالبين ، فهي حرية بكل اعتبار ورعاية واكبار...واذا كان العهد البائد حال دون تحقيق كل المقاصد ، فهذا العهد الجديد سيزيل بحول الله الموانع ، وييسر الدوافع ، ويساعد على تتميم البناء السابق ، وتطبيق برنامج الإصلاح اللائق ، المتفق مع عظمتها والمساير لشهرتها ، والمتجه لتحقيق رسالتها الرامية الى المحافظة على المبادئ الإسلامية ، ونشر اللغة العربية ، والأخلاق الطاهرة الزكية ، وتكوين أبناء أبرار مطبوعين بطابع التضحية والإيثار جديرين بتحمل مسؤوليات الوظائف الشرعية ، والخطط الدينية ، تحت راية القرآن الذي هو دستور الإسلام ... وبرنامج اصلاحي لكلية هذه منزلتها وهذه رسالتها يتطلب زمناً كافيا ، ونظراً زائداً ، وترويا ، ومشاركة فعالة من ذوي الرأي السديد ، والبناء يعلو بتتابع الأعمال وتنظيمها ، وتوفير المواد واختيارها ، على أن البرنامج كيفما كانت قوته لا يحفظ قدسية ، ولا يقوى معنوية ، ولا يصون كرامة ويضمن استقامة ، اذا لم يكن العلماء متحملين لمسؤليتهم ، شاعرين بالمهمة الملقاة على كاهلهم ، فيعالجون العمل ، ويقوون الأمل ، ويكونون بحق مثار الاهتداء ، ومثال الاقتداء ، وبهذا تكون مشاركتكم أساسية في بناء نهضة تقتبس روحها من مبادئ الدين القويم وهديه المستقيم ... » .

الثورة الكبرى

نرى كيف أن جلالة المغفور له في أول خطاب له بعد عودته من المنفى بعث كثيراً من الأمل في معظم الطلبة ، لما احتواه من صراحة تامة حين حدد رسالة القرويين في عالمنا المهدد بالتفسخ والانحلال : إنها رسالة المحافظة على الإسلام واللغة العربية ، وحين حدد الأطُر التي تنتظر الخريجين الجدد منها . . وحين أكد أن التخطيط يقتضي زمناً وتروّياً ونظراً . . .

وهو بهذا أراد أن يقول رحمه الله : إن البلاد بها حاجةٌ الى دعاتها وقضاتها ، كما بها حاجة الى أطبائها ومهندسيها ، وهويريد للقرويين أن تنهض بالمطلب الأول ، كما يريد من الجهة الثانية أن تنهض بالمطلب الثاني .. وإن على الطلبة أن يختاروا ، ولكن ليس عليهم أن يحاولوا قلب الأوضاع ، وهم ليسوا بملزمين أن يبقوا في القرويين إذا كانوا يبتغون أن يصبحوا أطباء أو مهندسين ، كما نقول لمن يريد أن يتعمق في الدراسات الإسلامية واللغوية : إنه ليس لك أن تقلب منهاج كلية الطب والهندسة لتصبح في متناولك .

وقد أدرك معظم الطلبة الهدف الشريف والبعيد من الاحتفاظ برسالة القرويين المذكورة ، لكن – بعضهم – عمد الى تشكيك الطلبة في مستقبل الجامعة .. !

وهكذا أخذ بعض يحاول أن يبث الالغام في طريق البعض الآخر .

وبينما الوزير الفاسي في مؤتمر اليونيسكو بالهند عام ١٩٥٦م ، يشيد بأقدم جامعة في العالم[٦٥] ، ويفتح الآفاق للمستقبل . . . عاد الطلبة ليدوّنوا ((مطالب مستعجلة)) ، وأخذوا يوافون إخوانهم بآخر « التطورات » لمساعيهم مع الحكومة .

وانتقلوا من هذه المرحلة الى التهديد بالإضراب مرةً أخرى ، إذا لم يعترف بشرعية مطالبهم بعد مرور خمسة أيام على برقيتهم الموجهة الى وزارة التربية الوطنية .

وبالرغم من أن طلبة مدينة مراكش تمسكوا هذه المرة بجانب التبصر والتعقل ، ولم يستجيبوا لدعوة طلاب فاس ، فان هؤلاء أضربوا بعد أن لم يتلقوا الجواب في الوقت المحدد .

وقد فتحوا ((ركنا)) لهم في أعمدة بعض الصحف لانتقاد البرامج والمناهج والمواد والكتب ، وكتب أحدهم يطالب باصدار مرسوم بان لا يقبل في جامعة القرويين من الطلاب من تجاوزت سنه الثمان عشرة سنة . ومنهم من لاحظ أن الطالب لا يشعر بتدرج علمي محسوس في القرويين ، فأول مرحلة فيها تحاكي آخر مرحلة . على أن فيهم من توجه بصفة خاصة الى المواد المقررة التي قال فيها : إنها ((خليط من الكتب ، ينقصها التنسيق والترتيب)) . . .

وفي اثناء هذا استجوب مراسل جريدة ((العلم)) ثلّةً من العلماء الشباب ، فكان مما قال أحدهم : ((في اليوم الذي يتفق فيه المهتمون بشؤون التعليم على الرسالة الحقيقية المطلوبة من هذه المعاهد في المغرب المستقل ، يمكن بكل سهولة وضع البرامج والمناهج ، كما يمكن تحديد مواد الدراسة . .))

وكان مما قاله ثان : ((. . . فلو أن لنا جامعة تجلو الحضارة الشرقية للغربيين ، وتصفي الدين من شوائب البدع ، والأدبَ من جناية الركاكة والعجمة ، لتحققت أمنية غالية . . .)) .

وكان مما قاله ثالث ممن طربت لهم المثاني والمثالث : ((. . . إن مؤسسة فرضت وجودها على التاريخ الفكري والسياسي ، طيلة ألف سنة أو تزيد من تاريخ المغرب ، جديرة بأن تسير مع الركب مهما تكن التضحيات . . . وأعتقد أنه « لولا العهد البائد الذي حال دون تحقيق كل المقاصد » كما قال جلالة الملك في خطابه الأخير بالقرويين ، لكانت اليوم مفخرة[٦٦] . . .)) .

= لجنة التعليم العليا =

لقد ساء « جمعية العلماء » أن تتعطل الدروس في وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى البناء ، فقررت الاتصال بالذين

بعنيهم الأمر ، وحررت بياناً الى سيادة الوزير في ٩ جمادي الأولى ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦/١٢/١٢ م) قالت في مقدمته :

((. . . إن جمعية العلماء بالمغرب ، إذ تقدر الجهود التي تبذلها وزارة التربية في ميدان التعليم الديني بصفة عامة ، وفي القرويين بصفة خاصة ، وإنها إذ تعلن تقديرها للوزارة . . ترى أن هذه الجهود لا تكفي وحدها لما تتطلبه الحياة الجديدة في عهد الحرية والاستقلال . . .)) .

وكان ممن اهتم بقضية الطلبة رئيس المجلس الوطني الاستشاري ، فقال : إنه ، مع تقديره لجهود وزير التربية ، يشاطر الطلبة مشاغلهم . .)) .

وقد درس الوزير مع العلماء أهم شيء في ملتمسهم : ((تهيء برنامج إصلاحي شامل يضمن للطلبة ثقافة عامة)) ، فبشرهم بأن هذا سيكون من اختصاص ((الجنة الملكية العليا التي سيعلن عنها)) .

وقد كشفت الوزارة فعلا عن أسماء اللجنة العليا للتعليم ، وأنها ستتفرع عدةَ لجان ، تتخصص كل واحدة بموضوع ، لتعرضه بعدُ على ((اللجنة العليا)) ، ليعرض أخيراً على صاحب الجلالة .

ولم يسع الطلبة الا أن قرروا حلّ الاضراب ، لكن هناك نفراً منهم ، ممن ألفوا هجران الدرس ، قرروا مواصلة التمرد الى ((أجل غير مسمى)) . فظهرت الانشقاقات بين صفوف الطلبة ، فكان فريق منهم يدعو للعودة ، وفريق منهم يتمسك بالاعتصام .

وهنا أصدر رئيس المجلس العلمي ، بالنيابة ، الشيخ محمد الجواد الصقلي ، بلاغاً ينذر فيه من لم يلتحق بدرسه في منتهى الساعة الخامسة من عشية الأربعاء ١٣ شهر رجب ١٣٧٦ هـ (١٣ يبراير ١٩٥٧) بأنه يعد مفصولاً عن الجامعة فانصاع له الطلاب ، وأخذوا يلتحقون بدروسهم تدريجيا . . .

ولم يحل فصل الصيف (٢ - ٦ - ١٩٥٧ م) حتى عقدت لجنة التعليم العليا اجتماعها الخطير الذي استمر من العاشرة صباحا حتى الواحدة والنصف زوالاً برئاسة وزير التربية الوطنية ، وقد جاء في تقرير اللجنة على الخصوص :

إن الهدف هو توحيد برامج التعليم في جميع المعاهد ، ولكنه لا يمكننا أن نصل لهذا الهدف الا بعد مراحل . . يجب - على حد تعبير الشيخ غازي : ((أن نكون مثاليين في المبدأ واقعيين في التطبيق)) . وهكذا اتفق على وجوب تسوية الحصة العامة للثقافة في جميع أنواع الباكلوريا ، وأن لا يقبل من التلاميذ الا الذين لا تتعدى سنّهم الرابع عشرة سَنَة . واتفق كذلك على وجوب تخصيص أيام الجمعة والآحاد - للاستراحة الخ الخ .

وقد كان المهم بالنسبة الى القرويين هو التخصيص الصريح ، على أن هذا البرنامج هو عام في جميع المدارس الرسمية والحرة والمعاهد الدينية التي يقصد بها في الدرجة الأولى المعاهد التي تزود القرويين بالطلبة وبالحرى القرويين بالدرجة الأولى .

وينص التقرير على تطبيق البرنامج بكل محتوياته ، العربية ، والعلوم ، واللغات الأجنبية . . وذلك ابتداءً من السنة الدراسية المقبلة أي في أكتوبر ١٩٥٨ م [٦٧] .

وفي أثناء هذه الفترات ، تحققت (مكاسب) أخرى ، فقد ورد على المغرب عدد من الأساتذة المشارقة ، وبخاصة من مصر والعراق لتدريس مادة العلوم ، بالرغم من حاجات تلك البلاد الملحة الى أساتذة العلوم والرياضيات .

لقد أثلج كل ذلك صدور أنصار القرويين ، وحقيقة فماذا كانت حاجتنا بجيل لا تتوحد أهدافه ؟ وأي شيء

اضمن لتوحيد الأهداف كتوحيد المناهج والبرامج ؟ لكن النظريات اصدمت بعدة عقبات ، فإن رسالة القرويين ، أحببنا أم كرهنا ، هي غير رسالة كلية العلوم ، وهي غير رسالة كلية الطب . . .

وهكذا أخذ يتجلى للمهتمين بقضية تطوير القرويين أنها ليست من السهولة بمكان . وقد اغتنم العاهل الكريم فرصة تخرج أول فوج من الفتيات من قسمها العالي ، فأعاد الى الذاكرة في ١٨ نونبر ١٩٥٧ ان الدولة تعلق أهمية كبرى على ما تهيئه لها القرويين من قضاة وأساتذة ، وما تؤديه من واجبات للمحافظة على تراث الإسلام والحضارة العربية : ظل التعليم الإسلامي يشغل جانبا من تفكيرنا وجهدنا مثل ما كان منذ سنين طويلة ، ونحن نؤمن بفائدته الكبيرة ، لانه يهيء للدولة طائفة من رجال القضاء والتعليم وغيرهم[٦٨] . . .) .

= جامعة محمد الخامس =

كان لزاماً أن يكون هناك جواب عملي يكشف اللبس ، ويزيل الغموض عما ينتظر من القرويين مما سلف الحديث عنه ، وما ينتظر من الجامعة العصرية مما يعرف الحديث عنه .

وقد تمثل هذا الجواب صباح السبت ٢٩ جمادي الأولى ١٣٧٧هـ (٢١ دجنبر ١٩٥٧م) لما دشن جلالة المغفور له محمد الخامس الجامعة التي سميت باسمه بمدينة الرباط . كان احتفالاً تاريخياً حضره صاحبا السمو الأميران الجليلان : المولى الحسن ، والمولى عبدالله ، وشارك فيه كبار الدولة ورجال السلك الدبلوماسي ، ودعي إليه عمداء الكليات من الخارج . . .

هنا خاطب السيد وزير التربية الوطنية العاهل الكريم بهذه الكلمات .

((لقد عرف هذا المغرب العظيم ماضياً علمياً ، تأرّج بذكره التاريخ ، اذ كان ملاذاً لرجال الثقافة والفكر منذ فجر تاريخه ، ولهذا فقد كان أول قطر تحدث عنه الناس كبلاد تضم بين ظهرانيّها معهداً علمياً قبل أن يكون في متناول الدول الأوروبية الأخرى ، وكانت القرويين بفاس مركز هذا الإشعاع الذي استمر يضفي النور على كيان هذه الأمة المجيدة . . . واذا كانت حياة البلاد تقاس بالحركة الفكرية فيها ، فان السلطة المركزية هنا ظلت نصيراً للمعاهد العلمية ، غيوراً على كرامتها ، اذ كانت تعرف أن في الاعتزاز بها والإبقاء عليها ضماناً لسيادة الوطن وعزته...))

وكانت ذروة هذا الاحتفال الكبير ما جاء في النطق الملكي الكريم :

((. . . إن من حق هذه البلاد أن تعتز بتاريخ ثقافي عريق ، فمنذ العهود الأولى لانبثاق فجر الإسلام في ربوعها ، ظهر من بين المغاربة أو الوافدين عليهم طائفة من العلماء الذين انصرفوا الى إماطة لثام الجهل عن العقول ، وغرس مبادىء الدين الحنيف في النفوس ، وبتبصير الناس بما فرض عليهم ديناً ودنيا . . ومن هذه الطائفة كانت النواة لأول مركز ثقافي عرفه المغرب . . هذا المركز الذي عرف باسم القرويين ، والذي صار منذ ذلك الحين منهلاً دفّاقاً بشتى أنواع العلوم والآداب العربية ، يسعى اليه المغاربة وغيرهم من كل حدب وصوب ، ليكرعوا من حياضه ، ويرتووا من معينه . ولعل ما نالته القرويين من عناية أسلافنا المقدسين بها ، واهتمامهم العظيم بشأنها ، قد ضاعف عناية واهتمام جميع الذين سبقوهم ، ممن تداولوا الحكم بهذه البلاد إذ كانوا يرونها المنار الذي يشع ضياء المعرفة والايمان ، والحصن الذي تحتمي به لغة القرآن وادابها في هذه الديار . . .)) الى أن يقول العاهل الكريم :

« . . . إلا أن ذلك لم يكن من شأنه أن ينسينا ما يقتضيه العصر ، وما تتطلبه مقتضيات التطور من تأسيس جامعة عصرية كفيلة بسد حاجات البلاد الى من يعوزها من الأكفاء في جميع الميادين . . . » .

لقد ظهر للعامة والخاصة أن البلاد بها حاجة الى (القرويين) ، كما أنها بها حاجة الى (الجامعة العصرية) .

واخذ الطلبة يشعرون أن بهم حاجةً ماسة الى الانفتاح على العالم ، فعادوا يطالبون بما يحقق أمنيتهم الغالية ،

وهكذا تجددت الإضرابات . في مطلع عام ١٩٦٠م ، فعجل ذلك بتأسيس المجلس الأعلى للتربية الوطنية ، فخطا خطواته الحاسمة ، وانصرفت جهوده الى تحقيق مبدأ (التوحيد) في مرحلة أولى للتعليم ، تكون بمنزلة (جذع مشترك) تتفرغ منه مرحلة ذات شعب ، في السلك الثانوي الثاني ، تؤدي بحسب مادتها إما إلى جامعة القرويين بما تضمه كلياتها في الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ، وإما الى جامعة محمد الخامس بما تحتوي عليه من كلية الآداب والحقوق والعلوم والطب .

وهكذا وضح الطريق أمام الذين يريدون هذا الاتجاه أو ذاك .

= عيد ميلاد القرويين =

ولكي تدشّن القرويين عهدها الجديد ، فكر بعض أبنائها ممن كانوا آنئذ يشغلون منصب رئيس قسم الشؤون الثقافية بوزارة التربية الوطنية في أن يقترح على الأستاذ عبد الكريم بن جلون وزير التربية الوطنية أن يعمل على إقامة مهرجان لها بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على ميلادها ، (٦٩) فصادف ذلك من المغفور له سيدي محمد الخامس استحسانا وتشجيعاً .

وهكذا شهد المغرب في النصف الأول من أكتوبر ١٩٦٠م مظاهرة ثقافية كبرى ، كانت الأولى من نوعها في العالم الإسلامي ، شارك فيها علماء المغرب والمشرق ، الى جانب العمداء من مختلف القارات الخمس ، لقد دعت وزارة التربية الوطنية رؤساء الجامعات من شتى جهات العالم ، وكانت فاس ملتقى لكبار الشخصيات ورجال الفكر الذين ازدانت صدورهم بشارات الجامعة التي تحمل رسماً منقوشاً لمنارة القرويين وغرفتها ورواقها الغربي ، وتسلموا ملف المهرجان بما يضمه من وثائق ومعلومات ، كان من ضمنها خمسة طوابع بريدية أصدرتها وزارة البريد تخليدا للذكرى(٧٠) وكانت قمة الاحتفال صباح يوم الاثنين عاشر أكتوبر حيث شهدت فاس طلعة العاهل الكريم الذي شمل أعياد القرويين برعايته السامية ، وقد ترجل من باب المدينة (باب أبي الجنود) وقصد (المسجد الجامعة) في رفقة الضيوف محفوفاً بكبار رجال الدولة واعضاء السلك الدبلوماسي .

وقد تلطف جلالته فتسلم بدوره (ملف المهرجان) ثم كان خطاب السيد عبد الكريم بن جلون وزير التربية الوطنية ، ثم كان خطاب السيد محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس ، وكان مسك الختام لجلسة الافتتاح النطق الملكي الكريم (٧١) .

« لقد أثر عن المغاربة تشبثهم بالدين الحنيف ، وهيامهم بكل فضيلة ، وتقديسهم للعلم ، وتقديرهم للعلماء .

ويرجع الفضل في اصطباغهم بهذه الصبغة الى جامعة القرويين ، التي كانت لها آثار بعيدة المدى في تكييف الحياة المغربية في نفوس المغاربة ، وأطلقت ألسنتهم بالعربية ، وخطت لهم النهج الذي ساروا عليه زهاء ألف عام .. فلا عجب أن صارت مهوى الأفئدة وقبلة الأنظار ، واستأثرت بعطف جميع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ، حتى أصبحت مدرسة شهيرة ذات أنصار ومذهب .. يتهافت على التدريس بها علماء الأقطار المغربية والأندلسية ، وتسابق الطلبة من القارة الإفريقية ومن اوربا لطلب العلوم التي كانت تدرس بها ، والتي كانت تعدو علوم الشريعة واللغة الى العلوم المشاعة بين البشر من فلسفة ومنطق وحساب وهندسة وأدب وتاريخ وطب وموسيقى وتنجيم ... ».

« ولئن أتت على الجامعة القروية فترة من الزمن تخلفت فيها عن مماشاة التطور العلمي فانها لم تتخلف في وقت من الأوقات عن أداء رسالتها الأصيلة ، اذ انقلبت الى حصن تلوذ به حضارة الإسلام ، وتعتصم به ثقافة العروبة في هذا الجانب الغربي .

ولما وضعنا الخطط في عهدنا لإنقاذ المغرب مما كان يكابده ويعانيه ، أوليناها عناية خاصة رغم العراقيل التي بثت في طريقنا ...

ولما استعاد وطننا حريته واستقلاله ، صار من الضرورات الوطنية الأكيدة القضاء على الفوارق المحدثة في التعليم ، واتجهت الأنظار الى توحيده وتوحيد الثقافة في كافة أنحاء البلد نحو هدف جامعة القرويين .

وقد أبينا إلا أن نركز شخصية القرويين الفذة ، فأمرنا بإضفاء حلة جديدة تجعل منها جامعة مجهزة بكل المقومات التي تمكنها من مسايرة واقع العالم الحديث ، ومواصلة أداء رسالتها وضمان مستقبل الخريجين منها ... » .

بهذه الكلمات النيرات ودع المغفور له محمد الخامس هذه المدينة الجامعة التي دعا لها الإمام إدريس منذ أكثر من احد عشر قرناً بأن تكون وأن تظل وتبقى « دار علم وفقه » .

لقد ارسى المغفور له بتلك الكلمات النيرات الاسس المتينة لحماية الجامعة ، وحدد اهدافها ومراميها ، وشدَّ الوجود المغربي بتعاليمها .



تعليقات الفصل الخامس

١) لاصحاب المرتبة الأولى ألف وخمسمئة فرنك وعدد أفرادها ثمانية ، وللثانية ألف ومئتا فرنك وخمسون فرنكا ، وعددها اثناء عشر ، وللثالثة ألف فرنك ، وعددها اثنا عشر كذلك أما مرتب المراقب فهو الف وست مئة فرنك . وقد عين الظهير لكل طبقة ما تدرسه ، على أن تبتدئ الدروس من الساعة الثامنة الى الحادية عشرة ، ومن الثانية بعد الظهر الى الساعة الخامسة ، ولكل حصة ساعة ، وعلى كل مدرس إلقاء وثلاثة دروس يومياً . مع تخصيص كل فرد من افراد الطبقات الثلاث بإقراء فن معين لا يتجاوزه الى غيره . وهكذا جعل الظهير الشريف ساعات التعلم للطلبة ستاً ، وللأستاذ ثلاثاً ... وقد علقت شؤون المجلس العلمي بأنظار المجلس الأعلى في الرباط .

٢) نصّ الظهير : « أمرنا بتنفيذ الرواتب من اول المحرم ١٣٤٩ موافق يونيه ١٩٣٠ م .

٣) عدّ الوطنيون ظهير التنظيم مكسباً رائعاً ، على ما أشرنا اليه ، واتّهموا الحماية الفرنسية بأنها كانت تعرقل تطبيقه ، وأنها قامت بعملين مزدوجين للإجهاز عليه : أولاً أنها أخرت التصديق على الظهير نحواً من ستين ، ثانياً انها قامت في أثناء هذه المدة بصفة سرية بترويج اشاعات – وخاصة بين البسطاء – تشكك في جدواه : وقد وجدت هذه الدعاية أثرها في بعض النصوص ولهذا ينبغي التنبيه من الآن الى أن القرويين أخذت تضمّ نوعين من الطلاب : النظاميين ، والاختياريين . الاولون من أهل فاس وبعض المدن ، والباقون من مختلف بوادي المغرب ويعرفون بالطلبة الآفاقيين ...

٤) كانت مرتّبات علماء القسم النهائي تتراوح من بين (٢٤) ألف فرنك سنويا ، وواحد وعشرين وثمانية عشر الفا ، ومرتبات الثانوي بين سبعة عشر ألف فرنك وخمسة عشر واثني عشر سنويا .

٥) استقر الأمر في تحديد عطلة الصيف على الابتداء من ٢٥ يوليه الى ٣ شتنبر .

٦) مجلة المغرب ، العدد ١٨ ، مارس ١٩٣٤ ، ص ٣١ .

٧) ظهرت في الجو (حركات) كانت بالنسبة الى المستعمر – وهو لم يزل حديث عهد بالبلاد – سيّئة الطّالع فقد نظمت مسامرات بالثانوية الإدريسية في (٢٨ يراير ١٩٢٤ م) . لكنها لم تلبث أن أخذت تتناول مواضيع غير مرغوب فيها ! وألفت (لجنة الاعيان) لمحاربة العوائد الفاسدة ، وبمناسبة ثورة عرب فلسطين على وعد بلفور عام ١٩٢٩ م ، وجه طلبة القرويين عريضة الى بريطانيا يعلنون فيها تضامنهم . ! كما ظهرت هذه الأيام ترجمة لقصة القائد عبد الله التي كتبها الكومندان أودينو ، وترجمة لرواية طارتيف ، كما ترجم الأستاذان أحمد بلا فريج ومحمد الفاسي رسالة للأخوين جان وجيروم طارو بتقديم الأمير شكيب ارسلان ! وظهر « كتاب الأدب العربي في المغرب » لابن العباس القباج حيث حقق مع علال الفاسي في شعره :

وكنت أرى تحت العمائم حاجةً فما هي إلا أن يدوم المرتّب !

ووردت من الشرق جرائد الهبت حماس الناس . وهكذا شبّت مقاومه أخرى من نوع جديد بين جدران المدينة ، ولمّا تخمد أصداء الكفاح المسلح ، بل في حين ترد فيه أخبار مضنية للسلطات الفرنسية عن مقاومة الأطلس وثورة الريف ! ! فحملهم كلّ ذلك على أن يعطلوا المحاضرات ، ويصادروا المطبوعات ، ويطاردوا كبار الشخصيات وكانت الطامة الكبرى التي شنّعت بالوجود الفرنسي في المغرب ، وكشفته أمام الرأي العام ، هي قضية الظهير البربري ...

٨) كان الطلبة يؤدون الامتحان بالقرويين يوم الا ثنين ٥ المحرم ١٣٤٩ هـ (٢ – ٦ – ١٩٣٣ م) فورد (مخزني) يدعو المجلس العلمي والعلماء لادارة الاستعلامات حيث أُخبروا بصدور الظهير البربري الذي « لا يمس بنفوذ السلطان ، ولا مستقبل الاسلام بين البربر » على حدّ تَعبير المبلغين ، فانطلقت الشرارة الاولى ، ودعي الى تلاوة اسم « اللطيف » في المساجد منذ رابع يونيه ، وتجددت المظاهرات ، فطلب الى عشرين منهم المثول للتفاوض ، وهنا تمت محاكمة الباشا البغدادي والمندوب الفرنسي طروشي لهم ، وبُسط المتفاوضون ، فجلدوا ثم اقتيدوا الى السجن ... !

وبعد تدخل « الأعيان » اطلق سراح الشباب ، ثم كان اجتماع بين الكومندان ميلي رئيس الاستعلامات وبين وفد من الاعيان فيهم السادة حمزة الطاهري واحمد بو عياد وابن عبد السلام الحلو ، وأحمد مكوار ، فاسمعهم كلاماً قاسياً ادى الى اشتداد الازمة ، فاخذ الشباب يقاطعون « الواردات الأجنبية » القماش ، السكر ، الشاي ، والسجائر ، ولبسوا العمامات كشعار للمقاومة ! وفي يوم ١١ غشت من السنة ، تلي منشور من السلطة على منبر القرويين ، يدعو الناس للهدؤ ، وتجدد لقاء « الاعيان » وباتفاق معهم خطب الشيخ عبد الواحد الفاسي يخبر الناس بأن سيدنا نصره الله ، مستعد للمقابلة وفد من أهل فاس ، وقد تم جمع بمقر المجلس البلدي بحومة (السياج) ضم أعيان البلاد وعلماءها باستثناء عبد الحي الكتاني ! حيث وقعوا رسالة

لصاحب الجلالة في ٢٨ شهر ربيع الاول ١٣٤٩ هـ (٢٣ غشت ١٩٣٠ م) وكان نفس التاريخ الذي حملته عريضة أهل الرباط بتوقيع السيد احمد الزبيدي وابي شعيب الدكالي وعبد اللطيف التازي ، وقريباً من تاريخ رسالة اهل «سلا» الذي كان ٢٨ غشت بتوقيع الصبيحي والمالقي الخ .

وقد انتخب وفد فاس الى جلالة الملك برئاسة الشيخ عبد الرحمن بن القرشي ، لكن الادارة الفرنسية رفضت ان تأذن للشباب (والمحميين) ، فتأخر علال الفاسي وابن الحسن الوزاني وعمر بن عبد الجليل ، لأنهم من الشباب وتأخر مكوار والطاهري ، لأنهما كانا يحملان «الحماية البريطانية» واقتبل جلالة العاهل سيدي محمد بن يوسف «الخمسة» الذين قدموا مطالبهم (الثلاث عشرة) لقد كان لقاء مؤثرا جدا ، سمعت عن احد الذين حضروه ان جلالته بكى عندما استمع الى شيخ العلماء ، وفي عبارات مؤثرة مليئة بكل المعاني وعدهم بالجواب . وقد نقل الوفد انطباعاته الى اهل فاس ، فحدا ذلك بالادارة على القبض على ابن عبد السلام الحلو . وهنا عطلت الدروس ، وتجددت المظاهرات ، وألقي القبض على الكثير من الشباب ، كان من بينهم الفاسي ، والوزاني ، وعبد العزيز بو طالب . وكان كل هذا دعاية مفيدة في الخارج للحركة الوطنية بالمغرب ، في الشرق وأوروبا . . قد وجد علماء الشباب في زيارة فاطمة رشدي لفاس مايه ١٩٣١ م فرصة مناسبة للحديث عن الوطنية المغربية وكذلك في وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي ، فأقاموا له ذكرى الاربعين يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٢ م وكانت أول احتفال من نوعه ، ولما وصل أول فيلم عربي (أنشودة الفؤاد) بحر عام ١٩٣٣ م ، أقبل عليه الشباب قاطبة ، وكانوا يقاطعون الأفلام الأجنبية . كما قام الوطنيون في ٢٥ شهر رمضان ١٣٥٤ هـ (دجنبر ١٩٣٥ م) بإحياء الذكرى الألفية للمتنبي . هذا الى الاحتفالات بذكريات عيد المولد ، والهجرة ، وعيد العرش . . .

٩) لقي صدور هذا المرسوم موجة من الاحتجاج ، ظهر بعض أثرها فيما كتب في مجلة المغرب آنذاك (العدد ١٦ يناير ١٩٣٤) حول «التهديد الذي أخذ يمس العلماء والطلبة ، وقد كان هذا الظهير هو الباعث كذلك على تحرك العلماء للنقد والمطالبة بإنشاء (جمعية أبناء القرويين) التي بقيت بدون جواب . (مجلة المغرب عدد أكتوبر ومايه ١٩٣٣ ، وكذلك دجمبر ١٩٣٣ وعدد ١٨ مارس ١٩٣٤ وعدد ابريل ١٩٣٤) الدرر الفاخرة ص ١٠٩ – ١٦٢

١٠) كان من «مطالب الشعب المغربي» كفالة حرية المعلمين والطلبة ، وذلك بابطال التشريع المتخذ ضدّ هذه الحرية في ظهير ١٠ ماية ١٩٣٣ م. كتاب مطالب الشعب المغربي مطبعة الإخوان المسلمين ، سنة ١٩٣٤ ، ص ٤٧ – مجلة المغرب عدد ١٦ يناير ١٩٣٤ .

١١) ورد في وثيقة رسمية مرفوعة من رئيس المجلس العلمي الى وزير العدلية السيد محمد الرّندة تحت عدد ٤١ وفي ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٩ هـ (١٥–٤–١٩٣١) وجُمّدت في مندوبية فاس حتى ١٨ ذي القعدة عام ١٣٥٠ هـ (٢٦ مارس ١٩٣٢) . وبعدُ ، فقد وصلني كتابكم عدد ١٢٩٧ بأن الفقيه السيد محمد علال الفاسي أخبر بأنه كان امتحن للدخول في العالمية بالقرويين ، وبقي ينتظر إعلامه ، وأنه بعد إنهاء ذلك للعلم الشريف أسماه الله وأدام علاه بالاستفهام عن الحقيقة ، والأخبار بمن نجح في ذلك ، ليجري المتعين فيه بحول الله ، فليكن في علمكم أن امتحان المخبر المذكور ومن معه من باقي الأفراد السبعة صحيح ، والقصد بالسبعة الى السادة : محمد الصادق العلوي – محمد ابراهيم الكتاني – عبد العزيز بن ادريس – رشيد بن علي الدرقاوي – محمد بن محمد (فتحا) بو طالب – محمد بن محمد مزور (كناشة المجلس العلمي المبتدأ من ١٤ صفر عام ١٣٥٠ ص٢٣) ، وقد قوبل تدخل العاهل بارتياح زائد من لدن الطلبة ، يفسره قيام طلبة القسم العالي في الجامعة بالاحتفالات بعيد العرش في منزه أبي الجنود يوم السبت ٢٩ شهر رجب ١٣٥٢ هـ (١٨ نوفمبر ١٩٣٣ م) قبل صدور القرار الوزيري بالاحتفال بعيد العرش في ٢٦ اكتوبر ١٩٣٤ تضامناً مع جمعية طلبة شمال إفريقية المسلمين بباريز . مجلة المغرب نوفمبر ١٩٣٤ .

١٢) كان في عداد الغارات التي شنت على علماء الشباب الايعاز من «بعْضهم» بتكفير أحد علماء الشباب وكان كتب لمجلة (السلام) التطوانية في عددها بذي القعدة ١٣٥٢ هـ (مارس ١٩٣٤) كتب كلمة بعنوان (جاذبية الوطن) تحدث فيها عن بلاده التي قال إنه يقدسها ، بل ويعبدها ، ويؤثرها بالعبادة : لقد حررت عريضة في تكفيره ، والمطالبة بحرمانه من التدريس بالقرويين . مما حمل ببعض علماء الشباب على اصدار كتاب بعنوان : «لفظ العبادة وهل يصح إطلاقه لغير الله» وكان دفاعاً عن عقيدة زميله التي لا يتطرق اليها الشك ، ونصرة للاستعمال اللغوي الصحيح لمادة (العبادة) .

١٣) نشر الخبر في العدد ٧ من مجلة (Maghreb) الباريزية عدد ابريل ١٩٣٣ ص ٢١ – ٢٢ .

١٤) كانت الفرقتان تعبران بعض الشوارع الرئيسية في المدينة راقصة ضاربة رؤوسها بالشواقير على نحو ما ظلت بعض فرق الشيعة تفعله في العراق الى الآن . صباح يوم عاشوراء حداداً على مقتل الامام الحسين رضى الله عنه .

١٥) القصد الى الأستاذ السيد بلافريج الحاج أحمد المتخرج في الجامعة المصرية والمجاز في الادب من جامعة باريز . مجلة المغرب ابريل مايه ١٩٣٤ أحد رؤساء الحكومة المغربية بعد الاستقلال .

١٦) الالفيات ٢ ص ٣٢٧ (مخطوطات الكتاني بالخزانة العامة تحت رقم ٢٩٢٩) .

١٧) كنا دُربنا – نحن تلامذة المدارس الحرة – على ترديد نشيد من نظم السيد علال الفاسي ، وتلحين سيدي العزيز الوزاني :

يا مليك المغرب • يا بن عدنان الأبي !

١٨) هالت المندوبية الفرنسية ذلك الجو الحماسي الذي ساد الاستقبال ، فتدخل م . هيلر المعتمد بالاقامة العامة الذي سافر من الرباط الى فاس ، ليجعل حداً لنشاط « المثيرين للفساد » على حدّ تعبير الصحف الأستعمارية ، وأبلغ العاهل ليلة الجمعة أن السلطة تشترط للسماح له بالنزول الى القرويين ان يكون محاطاً بالعسكر خوفاً على حياته ! وكان جوابه رحمه الله أن باغتهم بأخذه طريق العودة الى الرباط فجر يوم الجمعة ، ولما شيعت الإدارة أن السلطان غضب من فوضى يوم الخميس ، بعث مجلس الوزراء المغربي الى بعض الوطنيين وأبلغهم اغتباط (سيدنا) للحفاوة التي قوبل بها ، وهكذا ضاعفت هذه الحادثة من التشهير بالتدخل الأجنبي بين الملك وشعبه ، وقد أتبعت السلطات هذا التصرف بمنع الصحف الوطنية يوم ١٦ مايه ، ذكرى الظهير البربري .

عبد الهادي التازي – ٨ لقاءات مع المغفور له محمد الخامس . دعوة الحق ماوس ١٩٦٧ .

١٩) نظم علال الفاسي رائية طويلة ذات مئة بيت واثنين وستين بيتاً ، ضمنها تاريخ المغرب البطولي ، يقول فيها ملمحاً للمكاسب التي أحرزتها القرويين في عهد الملك :

عـلا فوق عرش الملك مُذْ كـان يافعاً ... ففـاقت بني السبعين عشروهُ والـعشر
وساعـد بـالتأييد كـل قضيـة ... رأى أنهـا حق ، وليس بهـا نكـر
وشيـد للتعليـم خـير معـاهـد ... سيغدولهـا في القطر مـن عـزمـه وفر
وفي القـرويين العظيمـة أينعـت ... ضروب من الإصلاح يقضي بها العصر
أبا حسن ، هـذا تراثـك ، فاهْتَبِلْ ... به فهْو كنزٌ لا يقـام لـه سعر !

٢٠) أمامي الآن عدد من الرسائل التي كان يتطوّع الشيخ الكتاني بإرسالها الى صاحب الأخلاق البهية ، والأفكار السمية ، والمحاسن الباهرة : « السيد الجنرال كورو . . . » والصديق المفضال : « القبطان ميلي » ، منبهاً على (الأخطار) التي تكمن وراء السماح لبعض المهيجين . . . باعطاء دروس ينفث فيها السموم التي من شأنها أن تضر بوجود فرنسا ! ولم يقتصر (نشاط) الشيخ على فاس ، ولكنه تعداه للنيل من « الجمعية البّونية النابلسية » التي كان بعض نبغاء تطوان أسسوها عند عودتهم من دراستهم بنابلس .

الرسائل محفوظة بالخزانة العامة – بالرباط – ضمن مخلفات الكتاني .

٢١) المغاربة : القباج وغلاّب والحوزي ، أما الجزائري فهو السيد عباس القسنطيني . جريدة (الاطلس) الرباط – ١٢ – ٢ – ١٩٣٧ .

٢٢) كانت المدارس الداخلية للطلبة موزعة بين النظاميين وغيرهم ، فدرسة العطارين والصمارين والسبّعين وعجيسة نظامية ، ومدرسة الصهريج والمصباحية والعنانية والشراطين غير نظامية (من وثائق المجلس العلمي بالقرويين ، دفتر بتاريخ ١٨ شعبان ١٣٥٥ ﻫ ٦٠) .

٢٣) كان ذلك بتاريخ تاسع صفر ١٢١٢ راجع صفحة ٣٧١ .

٢٤) كان هذا من دواعي تفكير بعض الطلبة في ايجاد وسيلة لهم للتوجه الى القاهرة من اجل الدراسة وكان من أوائل هؤلاء : الأساتذة ابن المليح وعبد الكريم غلاب والعربي بناني وعبد المجيد بن جلون وعبد الكريم بن ثابت .

٢٥) كان من خطباء الطلبة على ذاك الوقت السيد احمد بن سودة ، وكان من شعرائهم السيد إدريس الجاي . . .

٢٦) كانت الموضوعات التي علينا أن نعالجها كتابةً بحسب القرعة : في التوحيد : « مخالفته تعالى للحوادث ، وفي الفقه أولاً شرح قول خليل : « ولا يغسل شهيد معركة » ، وثانياً قوله : « وعفى عما يعسر . . . » ، وفي النحو المعرف بأداة التعريف ، ومن الأدب : المقامة الحريرية لبديع الزمان الهمذاني ، وفي الحساب : ضرب الكسور ، : نموذج من حياة . القسم الأول ص ١٢ – ١٣ – مطبوع على الآلة الكاتبة .

٢٧) عُين مولاي مبارك ، في مطلع يناير ١٩٤٠ (حجة ١٩٥٨ .Le Courier du Maroc. 16-1/1940

٢٨) مضى على العاهل زهاء ست سنوات لم يزر فيها مدينة فاس احتجاجاً على تدخل الإقامة العامة فيما لا يعنيها ، عندما زار المدينة صباح الخميس عاشر مايه ١٩٣٤ فخصّص له الوطنيون استقبالهم العظيم

٢٩) وثائق المجلس العلمي . . .

٣٠) اصطدم مولاي مبارك ببعض المصاعب ، ففضل ان يرجع الى مراكش ، وترك لسلفه مولاي عبد الله الفضيلي الرئيس الأسبق فرصة العودة الى رئاسة المجلس العلمي .

٣١) كان ذلك يوم ١٥ ماي ١٩٤٩ م .

٣٢) نذكر على سبيل المثال أن الفصل التاسع من مرسوم ١٠ ذي الحجة ١٣٥١ هـ (٣١ مارس ١٩٣٣) ينص على أنه لا بد، لكي يصبح خريج القرويين أستاذاً بها ، من أن يمضي عامين في التطوع والتدرب على إلقاء دروس حرة ، وأن ينجح في المبارة التي تنظم عند الحاجة ، كان هذا هو المرسوم ، لكن الفاسي عين - بايعاز من جلالة الملك - الخرّيج المتفوق في عام ١٩٤٧ م مدرساً بالجامعة مباشرةً بعد تخرجه ، وقبل أن يمضي عامين ، فكان ذلك مثار متاعب . . .

٣٣) من العلماء الذين حضروا هذا الاحتفال ، الأستاذ علال الفاسي الذي حُرِمَ شهادته العلمية عام ١٩٣٢ م وكان قد عاد من منفاه ، وهنا حيَّى الملك بقصيدة بائية

٣٤) كانت هذه التحريات جديرة بأن توجه حملة الدبلوم الى المطالبة بمعادلة شهادتهم لشهادة القسم الثانوي للقرويين ، وكان المجلس العلمي قد رفضه آن ذاك ! .

٣٥) أثنى على هذا الانجاز خطاب جلالة الملك بفاس في ٢١ جمادى الاولى ١٣٦٠ هـ (١٦ يونية ١٩٤١ م) ، وذلك يؤكد انه كان رحمه الله وراء الحركة بفرض نظام القرويين على جميع الطلبة الحضريين ، والأفاقيين ، ليهيئهم بذلك لحياة واحدة غير متنافرة ولا متناقضة .

٣٦) خطاب ١٨ نونبر ١٩٤٣ ، وخطابه يوم ١٨ نونبر ١٩٤٧ م .

٣٧) نص الشهادة العلمية النهائية التي تمنحها الدولة لخريجي الجامعة :

الدولة المغربية الشريفة - الشهادة النهائية من كلية القرويين

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

يشهد رئيس المجلس العلمي التحسيني بجامع القرويين الواضع خط يده أسفله أن السيد . . . أدى امتحان الاجازة النهائية أحسن تأدية ، ووفى عما سئل عنه في العلوم افضل توفية ، بمحضره ومحضر لجنة الامتحان المنعقدة عامة لهذا الغرض بجامع القرويين ، عمر الله بذكره ، فاستحق بذلك نيله للشهادة العالمية ، والسلام . ٢٥ قعدة عام ١٣٦٦ الموافق ١١ اكتوبر سنة ١٩٤٧ ٢٥ قعدة عام ١٣٦٦ الموافق ١١ اكتوبر سنة ١٩٤٧ .

امضاء رئيس المجلس التعيني للقرويين   امضاء وزير العدليه الشريفة .

وعلى الزاويتين العليين كتبت الآية الشريفة ، (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ) ، والآية الشريفة : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) ، وعلى الزاويتين المقابلتين الحديث الشريف : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

٣٨) . . . حفظنا من المتفوقين اسم الاستاذ عبد الهادي بو طالب الذي كانت شهادته العلمية الوحيدة في تاريخ القرويين التي تحمل توقيع الملك محمد الخامس . وقد تقلَّب في عدَّة وظائف سامية .

٣٩) كنت ممن حضروا هذا اللقاء حيث ردّد أحد المشايخ قولةً لبعض الحكماء وقد رأى امرأة تتعلم : « أفعى تسقى سمّا » وكان الشيخ يقصد اظهار تحفظه ازاء الرغبة الملكية ، فأجابه العاهل : ان البنت ليست بأفعى اولاً ولا يمكن ان نَقبل ان تكونوا انتم وهؤلاء ونحن ابناء افاعي ! ! وعلى فرض ان الفتاة كذلك فاننا نعتقد ان العلم ما كان ولا يمكن ان يكون سمّا ولكنه على العكس من ذلك ترياق يحفظ من السموم . . . التراتيب الادارية ١ ، ٥٢ - مجلة المغرب غشت ١٩٣٢ - التازي : ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس ، دعوة الحق مارس ١٩٦٧ .

٤٠) نموذج من حياة -

٤١) ٨ لقاءات مع المغفور له محمد الخامس . دعوة الحق . مارس ١٩٦٧ ص ٦٧ .

٤٢) راجع خطاب العرش ٥ المحرم ١٣٦٧ هـ - ١٨ نونبر ١٩٤٧ م .

٤٣) خطاب الملك ٢٦ المحرم ١٣٦٩ هـ - ١٨ نونبر ١٩٤٩ م .

٤٤) وصلت أصداء هذه الترّهّات الى جلالة المغفور له . ولما تفضل باستقبالي يوم ٢٣ شوال ١٣٦٦ هـ (٩ شتنبر ١٩٤٧) كان مما قاله لي : « إنه

يريدها قرويين تستطيع أن تقول كلمة الحق في وجه المضلّين والمشعوذين . . . » .

دعوة الحق مارس ١٩٦٧ .

٤٥) جاء في خطاب جلالته ١٨ نونبر ١٩٤٦ م (٢٣ ذي الحجة ١٣٦٥ هـ) : « قررنا في الصيف الماضي اجتماع لجنة كبرى للمذاكرة في تسيير المعارف على ما يرضي من التقدم والنهوض الى مستوى الرقي العصري . كما أنشأنا لجنة للوقوف على اختيار الكتب الدراسية ، ليكون التعلم في مدارسنا المغربية موحد الوسائل . »

٤٦) كان ذلك يوم الأحد ١٧ شهر رجب ١٣٦٨ هـ (١٥ مايه ١٩٤٩ م) العَلَمْ عدد ١٩ مايه ١٩٤٩ .

٤٧) خطاب العاهل ٢٩ يونية ١٩٤٣ .

٤٨) نذكر منها مجالس القاضي الشيخ السائح . . .

٤٩) العادة هذه ذات تاريخ عريق ، وقد كان من المعهود أن يعين القصر بأمر مَوْلَويٌ فئةً من العلماء الذين يختارون للحضور ، يحلّقون حول الملك لسرد أحاديث البخاري ، فإذا ارتأى جلالته أن يتكلم شيخه الذي هو رئيس المجلس على حديثٍ ما من الأحاديث المسرودة طوى نسخة البخاري التي بين يديه ، فيتصدى للشيخ حينئذ للتعليق على ذلك ، وقد يناقشه الملك نفسه أو أحد العلماء الحاضرين لتلخيص ما راج في المناقشة وإعطاء رأيه الخاص ، وقد يجعل الملك حداً لذلك النقاش بعودته الى فتح السجل . . . ولا بد أن يكون للمجلس سارد ، يتوفر على فهم طيب وصوت حسن . . وقد عرف من شيوخ هذه المجالس أيام مولاي عبد الرحمن الشيخ محمد المدغري (ت ١٢٤٨ هـ) ، والتهامي المطيري (ت ١٢٤٩ هـ) ، والعباس بن كيران (ت ١٢٧١ هـ) والمهدي بن سودة (ت ١١٩٤ هـ) . كما عرف من شيوخ المجلس على عهد محمد الرابع الشيخ احمد بن سودة (ت ١٣٢١ هـ) ، وعلى عهد مولاي عبد العزيز الشيخ أحمد بن الخياط (ت ١٣٤٣ هـ) ، وعلى عهد مولاي حفيظ الشيخ ابو شعيب الدكالي ، وعلى عهد المولى يوسف الشيخ عبد الرحمن بن القرشي . وكان على عهد محمد الخامس شيخ من ألمع شيوخ مجلسه الرئيس المدني ابن الحسني وكذلك الفقيه الشيخ ابن العربي العلوي . وكثيراً ما كان يحتدم النزاع بين المتناقشين مما يكون حديث مجالس الناس من بعد .

٥٠) كان الطلبة في هذه الأثناء لا يفتؤون مظهرين تضامنهم مع العاهل بما يقدمون اليه من مطالب متوالية . رسالة المغرب ١١ دجنبر ١٩٥٠ .

٥١) جريدة الأهرام – تحقيقات الأهرام في بلاد المغرب للدكتور محمود عزمي . الأهرام ٢٧ – ٣ – ١٩٥١ . تاريخ المغرب الدبلوماسي

٥٢) راجع خطاب العاهل في العيد الفضي لجلوسه على العرش ١٨ نونبر ١٩٥٢ م وبعده نفي الى كورسيكا .

٥٣) تحدث المرحومان اليّ كثيراً وباعتزاز عن أيامهما في القرويين ، وعلى مشايخهما الذين كان منهم الشيخ مولاي عبد الله الفضيلي والشيخ العباس بناني

٥٤) كان آخر لقاء جلالة الملك رحمه الله للعلماء عصر يوم الأربعاء غرة ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٢ غشت ١٩٥٣ م) وقد حملوا اليه عريضة تشجب مساعي السلطات الفرنسية ، وتدعم كماحه البطولي . وإن أنس لا أنسَ ما سمعناه من جلالته في هذه اللحظات التي لم يبق بينه فيها وبين النفي إلاَّ أيام :

« ان القوم صمموا العزم على محو كيان المغرب ، ولكننا صممنا العزم على أن لا نساعدهم اطلاقاً . . . » وقد ردد كلمة « الكيان » حتى لنقشت في ذهني نقشاً وكان جالساً على (شلْية) زاوية بهو وقد ارتدى جلباباً وطربوشاً رماديين . . . قال : « لو سألونا شيئاً كان ملكاً لنا ، لتساهلنا معهم فيه ، لكنهم يساوموننا أمانة ليس لنا من حق فيها الا واجب الحفظ والصيانة . . . » عبد الهادي التازي : ٨ لقاءات مع جلالة المغفور له محمد الخامس دعوة الحق مارس ١٩٦٧ م .

٥٥) روت مجلة باري ماطش قصة قرد اهدي الى سمو المولى الحسن ، وهو مع اسرته في طريقه الى المنفى الثاني وأنه لما كان يهم بصعود الطائرة ترك ذلك القرد ، ولما ذكروه فيه ، اجاب بقوله :«القرد بقي في الأرض !» وقد فهم الصحفيون انه سخرية بالجهات التي حاولت ان تجعل من القرود نسوراً . !

Paris Match N 254/6–13 Fevrier 1954 : Le singe est resté à terre !

٥٦) ارى من واجبي ان اذكر انني كنت في عداد اولئك الذين عصم الله أيديهم وعيونهم كذلك ، فلم يغتصب مني توقيع من هذا القبيل ولم أتجشم رؤية طالع النحس في مرة من المرات .

٥٧) لعب الشيخ عبد الحي الكتاني في هذه الإذايات دوراً دنيّاً ونعيد الى الذاكرة ان هذا « . . . . . » كان مختفياً حين كان العلماء يتهافتون التوقيع ضد السياسة البربرية ١٩٣٠ ، تاريخ المغرب ، دار الكتاب ص ٣٨٠ .

٥٨) جريدة الوداد عدد ٣٠٩ – الاحد – الاثنين ٢٣ / ٢٤ / غشت ١٩٥٣ م .

٥٩) شهادة اردها حول مشاعر العلماء الذين صحبتهم في وفادتهم هذه الى الاقامة العامة في غشت ١٩٥٤ م .

٦٠) Expresse 28 Out 1954.

٦١) رسالة للأستاذ ماسينيون في ١٦ يوليه ١٩٥٨ م الى عبد الهادي التازي .

٦٢) ظل العلماء يقدرون أكثر من غيرهم تلك الأيام السُّود التي كانت فيها الرقابة الاستعمارية لا تسمح بذكر لقب ولي العهد ، وكانت تعمد في غير حياء ولا خجل ان تترك مكان اسمه بياضاً في الصحف الوطنية .

٦٣) Maroc–presse 25-1-1956.

٦٤) هو المكان الذي اختاره «الاستعمار» منفى لجلالته في مدغظكر ، وهو الذي ورد في شعري أخاطبها به ، وكان اسمها في الإذاعات يثير الإشفاق والأسى واللوعة :

إلى متى أنت يا زُنْــزا تلطِّينــــا ... فإن ذكــرك في الأرجاء يكوينـــا !
سلبت قلباً ، ومـا قلبٌ سلبـت لنـا ! ... ورحتِ بـالحـلم والأمـال تلهينـــا !
لـقد صبرنـا فـا أغنى تحملنــــا ... فعمرَك الله ردّي مـــا تَسْبِيْنـــا !
زُنـزا ! سلام عـلى « أروبـة » ملكت ... منا القلـوبَ فليس البعــد يثنينـــا !

وهي قصيدة طويلة استحوذت عليها الرقابة الفرنسية عند تفتيش بيتي بظاهر مدينة فاس .

٦٥) استفادت القرويين جداً من عهد الاستقلال ، فقد ذاع صيتها في مؤتمرات اليونسكو ، وفي المؤتمر الدولي للتعليم بجنيف ، وفي الصين لما قام وفد المجلس الوطني الاستشاري بزيارة الصين في مايس ١٩٥٧ م وهلمّ . . .

٦٦) جريدة العلم ١٨ / ١ / ١٩٥٧ .

٦٧) الى جانب هذه الطفرة في المنهج ، سلم جلالة الملك مفاتيح ثكنات فسيحة الارجاء كانت الى الامس القريبة بيد الجيش الفرنسي (قصبة الشراردة) سلمها يوم رابع أكتوبر من سنة ١٩٥٨ م الى السيد الحاج عمر بن عبد الجليل وزير التربية ، لتصبح حياً جامعياً لطلبة القرويين بدلاً من المدارس العتيقة التي لم تكن سكناها مما يلائم العصر الحديث . كما انتقلت الدراسة من الجوامع الى البيوت والقاعات التي تملكتها الدولة أو أجرتها .

٦٨) راجع خطاب عيد العرش ليوم ١٨ نونبر ١٩٥٧ م .

٦٩) جاء في المذكرة المرفوعة الى السيد الوزير من لدن رئيس القسم ، وهو يقدم اليه مخططاً لبحثه عن التاريخ المعماري والفكري للجامعة : « . . . وإنني لأغتنم هذه الفرصة لأترجاكم في أن نعمل من الآن على اقامة مهرجان لها يوم ٣٠ نونبر المقبل (١٩٥٩ م) بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على ميلادها ، يدخل هذا المهرجان في دائرة نشاط (الفرع الثقافي) وتستدعي له بعض الشخصيات العلمية من الخارج » . ويلاحظ أن المذكرة رفعت في ربيع سنة ١٩٥٩ م بَيْدَ أن الفكرة لم تحقق إلا في السنة الموالية بعد المصادقة على الميزانية .

٧٠) كانت الطوابع تمثل : منارة القرويين ، والقبة الغربية ، والخصة الوسطى ، وثريا الصحن ، وواجهة المحراب وقد أنجز ذلك بأمر معالي الأستاذ السيد محمد الشرقاوي وزير البريد آنذاك .

٧١) تم اختيار الأستاذ محمد الفاسي رئيساً للمهرجان ، وعبد الهادي التازي كاتباً عاماً ، ووزعت الكلمات على جلسات ، فكان الذين تحدثوا في الجلسة الأولى التي حضر الوزير جانباً منها بعد ظهر الاثنين : الدكتور سليمان حُزَيّن عن الجمهورية العربية المتحدة ، والشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر الشريف ، والشيخ محمد المبارك عبد الله عن أم درمان بالسودان ، وسعادة الدكتور فافاري سفير إيران ، ومعالي الوزير بوني وزير التربية لشاطئ العاج عن جامعة ابدجان ، والشيخ الشاعر إبراهيم القطان (الأردن) ، والدكتور السيد انجلوز عن جامعة باريز والسوربون وستراسبورغ ، وماريو مارتينو عن جامعة بولونية بايطاليا ، والأستاذ تشوابليان عن جامعة بيكين ، والبروفيسور بابان عميد جامعة بوردو ، والشيخ محمد رضا الشبيبي عن المجمع العلمي العراقي ، والأستاذ عزيز أباظه عن مجمع اللغة بالعربية المتحدة ، والشيخ خير الدين عن جمعية العلماء الجزائريين ، والأستاذ كوفالوف عن جامعة موسكو ، والسيد ناردان عن جامعة داكار ، والسيد كييس عن الاتحاد الدولي للجامعات ، والشيخ محمد الفاضل بن عاشور عن جامعة الزيتونة ، والشيخ إسماعيل مخدوم بن دامالا عن طاشقند ، والسيد روني ما هو عن منظمة اليونسكو. ثم تحيّة جامعة لبنان من سعادة الدكتور سليم حيدر سفير الجمهورية اللبنانية ، وتحية نيجيريا للسيد عبد الوهاب ، وتحية الأستاذ الحاج مالك سي عن وزارة التربية الوطنية بالسينغال ، وتحية معهد كولخ

من الشيخ الحاج ابراهيم نياس ، وتحية جامعة سرايفوا للأستاذ مدحت بيكيشت وكلمة الشيخ محمد منصور محجوب عن الجامعة السنوسية بليبيا ، والأستاذ درويش عن جامعة ليدن بهولندا .

أما الذين تحدثوا في الجلسة الثانية في صباح يوم الثلاثاء ، فهم : سعادة الأستاذ الشيخ خير الزركلي سفير المملكة العربية السعودية ، والشيخ رضا المظفر عن كلية النجف الأشرف ، وسعادة الشيخ محمد بهجة الأثري مدير الأوقاف العام (بالعراق) ، والدكتور محمد البهي مدير جامعة الازهر ، ومعالي الشيخ محمد الامين الشنقيطي وزير التربية والتعليم بالاردن ، والأستاذ محمد سعيد العربان عن (مصر) ، والأستاذ عبد الجواد الفريطس عن الجامعة الليبية العصرية ، وكلمة الدكتور جمال الدين الشيال عن جامعة الاسكندرية ، وقصيدة الشاعر محمد الحلوى من علماء القرويين ، والانسة زهور الزرقاء خريجة جامعة القرويين . . . ولم تكَفِ جلسة الختام الا لتلاوة الكتاب العام لعناوين الكلمات المتعددة التي ضاف الوقت عن القائها فسجلت جميعها أو بعضها في (الكتاب الذهبي) الذي أصدرته وزارة التربية الوطنية بتقديم معالي الوزير الدكتور يوسف بن العباس وزير التربية آنذاك . وإلى جانب هذه كانت الجوقة المغربية للاذاعة الوطنية قد لحنت عدداً من القصائد حول القرويين ، منها ما كان من نظم ابن عبد الله المغيلي وتلحين الأستاذ عبد الوهاب الدكالي .

يا فـاس حيـا الله أرضـك مـن ثـرى   وسقاك مـن صوب الغمـام المسبـل ! !

وفيا ما كان من نظمي وتلحين الأستاذ عبد الوهاب أكومي :

إسـألـوا التـاريخ عـن أيـامهـا   كم عظيم شـاد مـن بنيـانهـا
وغـدا يـرجـو رضـاهـا راكعـاً   يـرتجي الحكمـة مـن أعـلامهـا
واسـألـوا الإسـلام والضـاد هنـا   فهمـا أدرى بمـا في احسانهـا
وهمـا اعـلم بـالضيم الـذي   لحـق العجمـة والكفـر بهـا
واسـألـوا التـاريخ عـن يـوم الوغـى   واسـألـوا الطـاغـيَ عـن أقـوامهـا
فهمـا اعـلم بـالبـأس الـذي   لحـق المحتـلّ مـن شجعـانهـا
ولهـا مـن مجدهـا الخـالـد مـا   يضمـن القـابـل مـن أيـامهـا
ولهـا مـن عـاهـل المغـرب مـا   يبعـث المنشـود مـن آمـالهـا



ملحق الباب الثالث

تراجم لبعض أعلام القرويين في هذه المرحلة

أعلام كانت لهم صلة بالقرويين

ايام الدولة العلوية الشريفة

نرى من المناسب ان نتعرف على طائفة اخرى من العلماء ممن كانوا لهذه القرويين أزراً في هذه الحقبة من التاريخ . واذا كنا قد شعرنا بصعوبة في اختيار شخصيات العهود السابقة ، فإن حيرتنا – أمام اعتناء المؤرخين الزائد بهذه المرحلة الجديدة – تتضاعف ، ونحن نحاول أن لا نتعدى العدد الذي يتناسب مع التصميم الذي اخترناه لكتابنا ، ومع ذلك سنحاول – كما فعلنا في الأول – أن نقدم مجموعة من الرجال ممن عرفوا بنشاط ملحوظ في هذه الجامعة العظيمة .

١) أبو حامد الفاسي (١٠٥٢هـ.) :

شيخ الإسلام أبو حامد محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي علم من اعلام المغرب في تحقيق المسائل الغامضة ، وايضاح الابحاث المعقدة ، كان من « العلماء المتنقلين » في بوادي المغرب فراراً بأنفسهم من الافتاء لمصلحة تسليم « العرائش » . وقد أدركته منيته بتطوان ، ونقل جثمانه الى فاس.الصفوة ٧١ – خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤ / ٢٧٣ : تاريخ الزاوية الدلائية ص١١٣ .

٢) المري (١٠٥٣هـ.) :

القاضي الأجل أبو الحسن علي بن محمد المري ، قاضي الجماعة بها وأستاذها . نشر المثاني ١ ص١٨٨ مخطوط لأبي المزايا .

٣) ابن عبد الواحد السجلماسي (١٠٥٤هـ.) :

أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السلجماسي ممن ارتحلوا من سجلماسة الى فاس لدراسة العلم بجامعتها . ورحل الى المشرق فأخذ عن عدد من العلماء . ثم استوطن مدينة سلا ، حيث الف كتباً عديدة ، منها : اليواقيت الثمينة ، وشرح التحفة ، والأجرومية . وقد أدركته الوفاة في الجزائر . الصفوة ١٥٣ – الفكر السامي ٤ ص ١١١ – : الزاوية ص ١٢٦ .

٤) الزموري (١٠٥٧هـ.) :

القاضي المدرس المفتي أبو العباس أحمد بن محمد الزموري . ولي القضاء بعد أبي الحسن علي بن محمد المريني السلوة ٢ ص ٧٠ .

٥) أبو القاسم الفشتالي (١٠٥٩هـ.) :

أبو القاسم الفشتالي المعروف بالغول . ألف في الموادّ الرياضية والطبية ، ومن أشهر مؤلفاته : الإكسير في الحساب ، ورسالة في الهندسة ، وحافظ المزاج ، ولافظ الأمشاج ، ورسالتان في الطب والطاعون . نشر المثاني ٢ ، ١٩٥ .

٦) عبد الوهاب قصارة (١٠٦٠هـ.) :

الفقيه العدل عبد الوهاب قصارة ، من فقهاء القرويين المعروفين ، كان له بحسب حوالة ١٠٥٩ حانوت بالسماط

مع جليسه الفقيه العدل أحمد حجيج . وإلى اسرة قصارة هذه ينتسب ناظر الأوقاف على عهد السلطان المولى إسماعيل أحمد بن محمد قصارة الذي كان يقف بنفسه على إقصاء ما في مخازن القرويين . حوالة ١٠٥٩ ، أيام السلطان (محمد الأول) .

٧) ابن عمران (الابن) السلاسي (١٠٦٥هـ .) :

أبو العباس أحمد بن علي بن عمران السلاسي . كان أبوه قاضي الجماعة ، وجده عبد الرحمن من شيوخ الفقه والنحو. أخذ عن جماعة مهمة من العلماء ، وأخذت عنه كذلك طائفة . وكان متولياً للفتوى بجامع القرويين . الصفوة ١٤١ ، النشر ١ ص ١١١ ، : الزاوية ص ٩٤ – ٩٥ .

٨) التنملي (١٠٦٧ هـ .) :

عبد الله بن ابراهيم التَّنملي ، مشهور بعلم الأوفاق ، وبالمهارة في الفقه ، ممن تتلمذوا بجامعة القرويين وأخذوا عن علمائها ، المختار السوسي : علماء لامعون من سوس في فاس الكتاب الذهبي ص ١١٦ .

٩) حمدون الأبّار (١٠٧١هـ .) :

أبو العباس أحمد الملقب بحمدون بن محمد بن موسى الأبار ، الامام المستشار في عويص الاحكام . كان ذا أسلوب ممتاز في التدريس ، وكان من رأيه أن الحواشي مضللة ولهذا لم يكن يتجاوز في إقراء المختصر سنة واحدة ، وهو صاحب الحاشية على المختصر الصفوة ١٤٠ .

١٠) الطليطلي (١٠٧١هـ .) :

أبو محمد عبد القادر بن الشيخ أبي الحسن علي الطليطلي الأندلسي الأنصاري (ربما كان اسم الطليط اختصاراً) . أستاذ الحساب والتوقيت والربع المجيب . نعتته الحوالات الخبسية بأنه (مزوار المؤذنين) على العادة في تسميتها مؤقت المنار بذلك ، وهو والد العدلين الفقيهين : العربي ومسعود ، نشر المثاني ١ – ٢٦٥ ، المراكز الثقافية ، البحث العلمي يناير ١٩٦٦ ص ٢١ حوالة ١٠٧٩ .

١١) ميارة (١٠٧٢هـ .) :

الشيخ الإمام أبو عبد الله مَحمد (فتحاً) بن أحمد ميارة الفاسي (الأكبر) . كان حامل لواء المذهب المالكي ، مستحضراً للنقول ، ذاكراً للنوازل . أخذ عن جماعة منهم : ابن عاشر ، والمقّري ، وله تآليف عديدة منها : شرحه الكبير والصغير على المرشد ، وشرحه لتحفة بن عاصم ، وشرحه للامية الزقاق ، وتنبيه المغترين في حرمة التفرقة بين المسلمين . دفن في الدرب الطويل برحبة القيس – الصفوة ١٤٠ – سلوة ١ ص ١٦٥ .

١٢) السملالي (١٠٧٤هـ .) :

علي بن عبدالله السملالي ، من علماء سوس اللامعين الذين أخذوا من جامعة القرويين ، وهو من أساتذة الحسن اليوسي حين كان في سوس . علماء لامعون من سوس يتكونون في القرويين – الكتاب الذهبي ١١٦ .

١٣) الشفشاوني (١٠٧٥هـ .) :

الفقيه الناظر أبو عبدالله محمد العربي بن الشريف الشفشاوني . كان يشرف على أوقاف القرويين بحسب الحوالة الوقفية لعام ١٠٧٥هـ . أواخر أيام السلطان سيدي محمد الأول ، وتضم هذه الحوالة أسماء عدد مهم من الفقهاء العدول

الذين أهملت ذكرهم المصادر التاريخية ، من أمثال : عبد الرحمن الشفشاوني ، وحمدون بن بركات ، وابن جلال المرابط ، وعلي حجيج ، ومحمد الحناوي ، وموسى الزرهوني ، والصغير بن سودة ، وابراهيم الشامي ، وعبد الوهاب الشامي ، والطيب الشريف والعربي بن عاشر ، وعبد السلام بن علال ، وحمدون عنون ، وعلي الشريف بوغالب ، وحمو الفيلالي ، وعبد العزيز الفيلالي ، والقاسم بن ابراهيم ، ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد الأبار. حوالة ١٠٧٥ .

١٤) ابن ابي القاسم بن سودة (١٠٧٦هـ.) :

القاضي الخطيب المفتي أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم بن سودة الغرناطي المري . كانت له اليد الطولى في الأدب ، وكان يستظهر عدداً من دواوين الشعر وقد أورد القادري شعراً لمحمد بن قاسم الزجالي يهنئه فيه بالفتوى والخطابة :

أمُفتي الورى * دام السُّرور يؤمكم

نشر المثاني ١ ص ٢٤٢ (الصفوة ١٤٠) . السلوة – ص ١٦٥ .

١٥) الصباغ (١٠٧٦هـ.) :

أبو عبدالله محمد بن أحمد البوعقيلي ، الملقب الصباغ ، صاحب أرجوزة . « سلك الفرائد اليواقيت في الحساب والفرائض والمواقيت » تعرض فيها للخط الفاسي الذي يسمى بالقلم الرومي . السلوة ١ ص ٢٣٩ .

١٦) المسْناوي (١٠٧٧هـ.) :

الأستاذ العلامة الطيب بن المسناوي . كان ممن شدّوا الرحلة الى مدينة فاس من اجل طلب العلم على أحوالها القلقة في ذلك العهد ، الزاوية ص ٨٤ .

١٧) السوسي (١٠٧٧هـ.) :

ابراهيم بن محمد السوسي ممن التحقوا بالقرويين ، فأخذوا أيضاً عن جمع حافل من العلماء . كان مشاركا في الفنون والعلوم ، وبعد أن اقام بالزاوية الدلائية توجه الى المشرق ، فدخل مصر عام ١٠٧٥هـ ، وفي مكة أدركته الوفاة المحبي : خلاصة الأثر .

١٨) عبد الوهاب الفاسي (١٠٧٩هـ.) :

الخطيب الناظر أبو الفضل عبد الوهاب بن العربي الفاسي . تولى القضاء مدة في تطوان ، واستوطن مدينة فاس ؛ وناب عن خطيب القرويين ، ودرّس الحساب والتوقيت ، وقد نصت حوالة ١٠٥٩ أنه كان ناظر أوقاف القرويين (الصفوة ١٦٩) السلوة ٢ ص ٣٢٤ ، المراكز الثقافية : البحث العلمي ، يناير ١٩٦٦ ص ٢١ .

١٩) الأندلسي (١٠٨٠هـ.) :

الفقيه الناظر إبراهيم بن الحاج محمد مسامح المكناسي الأندلسي . كان كذلك ناظراً لأوقاف القرويين بالاضافة الى نشاطه العلمي ، ويظهر أن له علاقةً بإدريس بن مسامح ، الاتحاف ٢ ص ٢٨ ، ٥ ص ٤٤٢ .

٢٠) السوسي (١٠٨١هـ.) :

أحمد وعلي (باقامة الواو مقام أبي ، على الطريقة السوسية) . ارتحل من السوس الى فاس ، وأقام في المدرسة المصباحية عاكفاً على دراسة العِلم . أخذ عن بن عاشر والمَقّري ، ولازم عبد الرحمن الفاسي كثيراً ، وكان ممن يتورعون عن المرور بصحن القرويين للشبهة في تزليجه – الصفوة – السلوة ٢ ص ٨٥ .

٢١) المولى الرشيد (١٠٨٢هـ.) :

هو السلطان المولى الرشيد، أخو السلطان محمد الأول، وابن المولى الشريف. كان من أشهر طلبة القرويين الذين تردد ذكرهم في كتب التاريخ. ومما أثر عنه أنه - وقد حبسته مشاغله - طلب الى الأستاذ الحسن اليوسي أن يحضر لقصره ليأخذ عنه، فبعث اليه هذا يقول : "العلم يؤتى ولا يأتي!" وقد أدركته الوفاة بمراكش في حادثة ركوب الخيل. الدرر الفاخرة ص ١٢

Archiv t. XXIV P. 215-216

٢٢) أبو زيد بن القاضي (١٠٨٢هـ.) :

الفقيه العلامة المقرئ الحيسوبي الشيخ ابو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي ، من علماء القرويين وشيوخ مولاي عبدالله بن الشريف . كان يسكن برحبة ابن زروق من عدوة فاس التي بها ضريح سيدي عبد الرحمن المليلي ، ومن داره ثمة خرج لاستقبال السلطان المولى الرشيد بعرصة باب الدروج . وكان السلطان يستشيره فيمن يوليه على شؤون فاس من حا كم وقاض ومحتسب وناظر أوقاف . الزياني : الفية السلوك ، مجلة المغرب ١٩٦٣ : الاتحاف ٤ ص ٤٧ ، المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين ، الكتاب الذهبي ص ١٥٦ - ١٥٧ .

٢٣) مسعود الشامي (١٠٨٢هـ.) :

الفقيه العالم مسعود الشامي . ناظر أوقاف القرويين على عهد السلطان المولى الرشيد بايعاز من ابن القاضي السالف ذكره وكان قد امتنع من ذلك ، فحبس سبعة أشهر ، ثم أجاب بعد شروط فرضها لمصلحة الأوقاف . الفية السلوك ، مجلة المغرب ١٩٦٣ ص ٤٢ .

٢٤) ابن احمد الفاسي الخطيب (١٠٨٤هـ.) :

أبو عبد الله محمد بن الامام أبي العباس الامام أحمد بن أبي المحاسن الفاسي . كان يستظهر تسهيل ابن مالك ، ومختصر ابن الحاجب الأصلي ، وغير ذلك ، الى فصاحة في العبارة ، ولطف في الإشارة . ولي قضاء مكناس ، ثم عينه المولى الرشيد للفتوى والخطابة بالقرويين - الصفوة ١٧٠ .

٢٥) حمدون المزوار (١٠٨٤هـ.) :

الخطيب أبو العباس أحمد المدعو حمدون بن محمد بن الحاج الفاسي المزوار ، من أهل البراعة في الفنون ، والمهارة في العلوم بتملى من المعقولات الغاية ، وتولى الخطابة بجامع القرويين ، وولاه المولى الرشيد أيضاً خطة القضاء بفاس ، وعزل عن القضاء فمرض ، فلما زاره الطبيب قال لهم : إنه مريض بالعزل فإن لم يرجع الى القضاء هلك ! ! وكان أسند الحسبة الى السيد عبد القادر المركني الفيلالي ، والنظارة للشامي - الصفوة ١٧٢ السلوة ٣ ص ٧٧ ، الفية السلوك .

٢٦) ابن عبد العزيز السجلماسي (١٠٨٥هـ.) :

أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السجلماسي ، من أدباء المغرب المجيدين ، وممن عرفتهم القرويين في بداية العهد العلوي . حج عام ١٠٨٢هـ وادركته الوفاة بمصر ، ومن شعره يصف إشفاق المولى الرشيد على ولد له ، وقد انقطعت عنه أخباره :

بلت مدامعه البطاحْ	سكران حب غير صاحْ
وضع اليدين على الحشا	شة من تحرقه، وصاح !

٢٧) المرابط الدلائي (١٠٨٩هـ.) :

أبو عبدالله محمد الدلائي ، المعروف بالمرابط أو الصغير ، « خاتمة النُّحاة » ارتحل الى فاس لمتابعة رسالته العلمية وتولى الخطابة في مدرسة أبي عنان ، ورحل الى القاهرة عام ١٠٨٠ هـ ، فاقبل عليه الطلاب والعلماء واستفادوا منه ، وجرت بينه وبين العلامة الشهاب البشبيشي مطارحات وأسئلة منظومة في فنون العربية . ثم عاد الى مدينة فاس ، فأقام فيها الى أن توفي . من كتبه نتائج التحصيل في شرح التسهيل ، وفتح اللطيف للبسط والتعريف . خلاصة الأثر ص ٢٠٣ ٢٠٤ – الصفوة ص ١٧٩ – نشر المثاني ٢ ص ٣٣ .

٢٨) أبو سالم العياشي (١٠٩٠ هـ) :

أبو سالم عبدالله بن محمد العياشي الرحالة الشهير ، أخذ علومه عن فقهاء جامعة القرويين ، واشتهر برحلته التي سماها (ماء الموائد) في مجلدين وتعتبر من أهم الرحلات التي يرجع إليها... اليواقيت الثمينة ص ١٩٨-

٢٩) الشيخ عبد القادر الفاسي (١٠٩١ هـ) :

الشيخ عبد القادر الفاسي من الطلبة الافاقيين الذين وردوا على فاس برسم القراءة ، فكان له بيت في المدرسة المصباحية ، فأصبح اماماً من الأئمة ، وعلماً من الأعلام . أخذ عن المقّري ، وتخرج عليه أعلام من أمثال المزوار. وكان ينتقد بشدة الطريقة التي تسلكها النساء في أخذ العلم ، ملأت حياته القرن الحادي عشر كله وله رسائل متبادلة مع السلطان المولى اسماعيل حول العبيد، الصفوة ١٨١-السلوة ١-٣٠٩- الاستقصاء ٨ ص ١٠٨، مجلة المغرب، دجنبر ١٩٦٥، مجلة تطوان عدد خاص بمناسبة الذكرى المئوية الثالثة لجلوس المولى اسماعيل على العرش المغربي.

Hes. Tamuda 162 P. 44

٣٠) المغراوي (١٠٩٢ هـ) :

أبو عبدالله محمد المغراوي ، من شيوخ القرويين ، وممن درس عليهم مولاي عبدالله الشريف فيما بين ١٠٢٨ أو ١٠٣٤ – الصفوة – السلوة ٣ ص ٢٨٠ تحفة الاخوان للقادري .

٣١) ابن سليمان الرّوداني (١٠٩٤ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن محمد بن سليمان الرّوداني . انتقل من ناروداننت الى فاس ، وفيها اكتملت معارفه ، ورحل الى مصر والحجاز والشام وبلاد الروم . كان يتقن فنون الرياضة بأقليدس والهيئة والمخروطات والمسجطي ، ويعرف أنواع الحساب والارتماطيقي والموسيقى . وقد تنافس العلماء في اقتناء الآلة التي اخترعها ، فكان يبيعها بثمن غال ، وهي كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسوماً وقد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف . وفي مكتبة القرويين شذرات يظن أنها من المسجطي الذي هو أهم كتب هذا الفن عند الأقدمين ، نشر المثاني ص ٨٧ – خلاصة الاثر : تراث العرب العلمي ص ٢٥٢ .

٣٢) المجليدي (١٠٩٤ هـ) :

أبو العباس أحمد بن سعيد ، شيخ الجماعة في إقراء مختصر خليل ، يختتمه كل سنة كما كان (٧ بارت ١٠٧١) . له اختصار معيار الونشريسي في مجلد ضخم ، وشرح على المختصر ، وكتاب في الحسبة . النشر ٢ – ٤٤ سلوة ٣ ص ٢٠٦ الاتحاف ١ ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .

٣٣) أبو زيد الفاسي (١٠٩٦ هـ) :

عبد الرحمن بن الشيخ عبد القادر الذي كان منفرداً في تحقيق التعاليم من هيئة وطبٍ ، نعته والده بسيوطي زمانه . قرأ عليه اقرانه وشيوخه على السواء . له تآليف عديدة ، منها : منظومة في الطب والاسطرلاب والتوقيت ، ومنها : « الاقنوم في مبادئ العلوم » . الصفوة ٢٠١ - السلوة ١ ص ٣١٤ استقصا ٧ ص ١٠٨ هبسبيرس ١٩٣٢ - : هبسبيرس ١٩٤٢ المجلد ٢٩ (الجزء الوحيد) .

٣٤) محمد البوعناني (١٠٩٨ هـ) :

القاضي الخطيب أبو عبدالله محمد (فتحا) بن الشيخ أبي عبدالله محمد بن محمد بن سليمان البوعناني ، من أسرة الخطباء والإمامة بجامع القرويين ردحا من الزمن - النشر ٢ ص ٩٣ ، الاستقصا ٧ ص ٤٨ ، السلوة ١ ص ٢٠٠ ، العلمي : الانيس المطرب ص ١٧ .

٣٥) الشراط (١٠٩٩ هـ) :

هو ابن عيشون الشراط ، من فقهاء فاس المعروفين ، وهو صاحب « كتاب الروض العاطر الأنفاس » - بروفنصال .
Les historiens des Charfas

٣٦) أبو علي اليوسي (١١٠٢ هـ) :

من العلماء الذين عرفتهم كراسي القرويين في هذه الحقبة ، الإمام أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي . له عدد من المؤلفات منها : المحاضرات ، القانون ، وشرح جمع الجوامع . كان الاقبال على مجالسه عظيما ، لتضلعه من العلوم العقلية. من شيوخه محمد بن سعيد السوسي المرغيثي صاحب المقنع ، ومن تلامذته السلطان المولى الرشيد . الصفوة ٢٠٥ - ٢١٠ ، الاستقصا ٧ ص ١٠٨ ، الزاوية الدلائية ص ٩٧ .

٣٧) الطيّب الفاسي (١١٠٣ هـ) :

الأستاذ الكاتب أبو عبدالله محمد الطيب الفاسي . تلقى دروسه ، وأخذ عنه جماعة بالقرويين . اختاره السلطان المولى اسماعيل ليصحب الأمير مولاي عبد الملك نجل السلطان لعقد صلح مع الجزائر في حدود ثلاث ومئة وألف ، لعلمه وفصاحته وبينته ، وقد صحبتهم بعثة مهمة كان منها أبو عبدالله محمد بن عبد الوهاب الغساني المدعو الوزير . الاستقصا ٧ ص ٧٩ - جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي .

٣٨) القاضي المجاصي (١١٠٣ هـ) :

الخطيب القاضي أبو عبدالله محمد بن الحسن المجاصي . زاول التدريس بجامع القرويين مدةً طويلةً . وكان السلطان المولى اسماعيل يستدعيه لختم تفسير القرآن في قصره بمحضر علماء القرويين ، وينصب له كرسياً في إحدى القباب . النشر ١١ ص ١٥٢ : الدرر الفاخرة مجلة المغرب ١٩٦٣ ص ٤٣ .

٣٩) العربي الدكالي (١١٠٦ هـ) :

الخطيب الفقيه الأديب العربي بن عبد السلام بن ابراهيم الدكالي . تولى الخطبة بعد أبي عبدالله مَحمد (فتحا) البوعناني - نشر المثاني ٢ ص ٨٠ ، النزهة ص ٢٦١ .

٤٠) عبد الواحد البوعناني (١١٠٦ هـ) :

الخطيب الفقيه الأديب عبد الواحد بن محمد البوعناني السالف ذكره . خطب بالقرويين بعد الفقيه العربي الدكالي مدح السلطان المولى اسماعيل بقصيدة رائية طويلة عند استرجاع مدينة العرائش . النشر ٢ ص ٨٠ ، النزهة ص ٢٦١ ، السلوة ١ ص ٢٠٠ .

٤١) العربي القادري (١١٠٦ هـ) :

الفقيه المؤرخ العربي بن الطيب القادري . النشر ٢ ص ١٥٨ – سلوة ٢ ص ٣٤٥ .

٤٢) أحمد بن العربي بن الحاج (١١٠٩ هـ) :

أبو العباس أحمد بن العربي بن الحاج . كان يقرئ في مدرسة الخصة ومدرسة العطارين ، بالإضافة الى تدريس صحيح البخاري بالكرسي ظهر خصة العين من جامع القرويين . السلوة ١ ص ١٥٣ : مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس . الكتاب الذهبي ص ٢٢٣ .

٤٣) المهدي الفاسي (١١٠٩ هـ) :

محمد المهدي بن احمد بن علي بن يوسف الفاسي ، من علماء فاس . له : تحفة الملوك – منظومة في الميقات ، ومطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات . ويذكر سركيس أن وفاته كانت ١٠٥٢ هـ ويظهر أنه خطأ . معجم المطبوعات ، مخطوطة ابي المزايا .

٤٤) عبد السلام القادري (١١١٠ هـ) :

عبد السلام بن الطيب القادري ، من مشايخ فاس ومؤرخيها وأعلامها ، له مؤلفات نفيسة في تاريخها وانساب أهلها ورجالها . النشر ٢ ص ١٦٢ – السلوة ٢ ص ٣٤٨ .

٤٥) الفاسي (١١١٠ هـ) :

القاضي ابو العباس احمد بن العربي الفاسي ، قاضي الجماعة بفاس . دفن بروضة سيدي عزيز بالدرب الطويل . الصفوة – السلوة ٢ ص ٣٢٤ .

٤٦) الهوزيوي (١١١٤ هـ) :

الشيخ أبو العباس أحمد الهوزيوي ، شيخ تاوردانت وإمامها . أخذ في فاس عن أبي حفص الفاسي وبناني وطبقتهما . علماء من سوس في القرويين . الكتاب الذهبي ص ١١٦ .

٤٧) ابن عبد القادر الفاسي (١١١٦ هـ) :

الإمام أبو عبدالله مَحمد (فتحا) بن عبد القادر الفاسي . كان من أهل الرسوخ في العلم ، غواصاً على الدقائق – له تآليف جيدة ، منها : شرح حصن بن الجزري ، والشواهد ، وله رسائل الى السلطان المولى إسماعيل . الصفوة ٢١٥ مجلة تطوان ١٩٦٢ ، العدد الخاص بذكرى السلطان اسماعيل ص ٢٢ .

٤٨) ابن الكماد (١١١٦ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن أحمد القسنطيني . قدم فاساً ، وجلس للتدريس بالقرويين وبجامع الابارين . كان من العلماء الذين يقرئون في فصل الشتاء ، ويتفرغون في الصيف لمراجعة ما يلقيه في زمن الشتاء . وقد نعت في كتب التاريخ بأنه

أحفظ علماء عصره ، من تلامذته الشيخ محمد بن عبد السلام البناني . السلوة ٢ ص ٣٠ ، تعريف الخلف برجال السلف ٢ ص ٣٤٦ .

٤٩) العكاري (١١١٨ هـ) :

أبوالحسن علي بن محمد بن علي الحسني ، العلامة المشارك النفاعة ، التحق بمدينة فاس بعد ترك الزاوية الدلائية ، فاشتغل بالتعليم فيها بجامع القرويين فكان يدرس كبرى الإمام السنوسي على كبار أعيان الطلبة والعلماء ، بصوت فصيح جهير ، وشاشية مائلة الى أحد شقي رأسه (معنكر الطربوش) إشارة الى تمكنه وعدم اكترائه ، وقد انتقل بعد الى العدوتين سلا والرباط ، حيث ترك عدداً كبيراً من الطلاب ، منهم الحاج أحمد مورينوالأندلسي ، والأستاذ (والزهرة) ، والزبدي ، والغربي . وأدركته الوفاة هناك بالرباط . العكاري الحفيد : البدور الضاوية ص ٢ - ٥ . الزاوية الدلائية ص ١١٨ .

٥٠) السلاسي (١١١٨ هـ) :

القاضي أبوالحسن علي بن أحمد السلاسي ، قاضي الجماعة ومفتي المدينة . النشر٢ر١٠٤ ، اتحاف المطالع لابن سودة .

٥١) جَمُّوع (١١١٩ هـ) :

الشيخ الإمام العلامة أبوسرحان مسعود جَمَّوع ، من علماء فاس انتقل الى مدينة سلا حيث تفرغ لنشر العلم ، وله تصانيف مفيدة في كل فن ، وبسلا أدركته وفاته . الاستقصا ٧ ص ١١٠ .

٥٢) ابن عبد الوهاب الوزير (١١١٩ هـ) :

المؤرخ السفير أبوعبدالله محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي الفاسي . كان من أعيان علماء فاس . استوزره السلطان المولى إسماعيل ، وبعثه سفيراً الى ملك اسبانيا كارلوس الثاني في مهمة تخليص الأسرى ، وانقاذ المخطوطات العربية ، وقد ضمن ذلك كتابه (رحلة الوزير في افتكاك الاسير) كما كان ضمن السفارة المغربية الى الجزائر عام ١١٠٣ هـ الاستقصا ٧ ص ٧٩ ، مجلة المجمع العلمي العربي ١٦ ص ٢٦٩ ، الاعلام : ٧ ص ١٣١ - ٩٣٧ ، الاتحاف ٢ ص ٦٣ - ٤ ص ٦١ ، تاريخ المغرب الدبلوماسي ص ٢٣ .

٥٣) أبو غالب (١١٢٠ هـ) :

الفقيه العدول أبوعبدالله محمد أبوغالب من عيون العدول بالسماط ، ممن احتفظت بذكرهم الحوالة الإسماعيلية في هذا التاريخ ، من أمثال : عبد الرحمن الفشتالي ، والخياط بن ابراهيم ، وعبد السلام بن زيان ، والطالب الجوراوي ، ومحمد بن الحاج ، والمهدي الحسني ، وعبد العزيز الداعي ، والمرابط الزموري ، وعبد الرحمن السلاوي ، ومحمد بن سودة ، وأحمد الشامي ، والعالم الشامي ، والطالب الشفشاوي ، ومحمد بن العربي ، والمهدي بوعنان ، وأحمد بن عيسى ، وعبدالله الفاسي ، ومحمد بن أحمد الفاسي ، ومحمد الفاسي ، والعربي قصارة ، وميارة الأصغر ، ومحمد الندرومي ، وعلال بن نعيم ، والعربي الرندة ، وأحمد أجانا ، وعبد السلام الزكوري .

٥٤) ابن زاكور (١١٢٠ هـ) :

أبوعبدالله محمد بن قاسم بن محمد بن زاكور ، العلامة الطبيب ؛ من كتبه : المغرب المبين بما تضمنه الأنيس

المطرب وروضة النسرين ، وعنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة ، والروض الأريض ، وشرح قلائد العقبان الخ . . النشر ٢ ص ١٨٦ العلمي : الأنيس المطرب ص ٢٤ – ٢٨ ، الكتاب الذهبي ١٧١ ، مجلة المغرب ١٩٦٥ ص ١٣ ، السلوة ٣ ص ١٨٠ ، مشاهير رجال المغرب العدد ١٣ .

٥٥) الحلبي (١١٢٠ هـ) :

أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي . كانت له مجالس علمية بالقرويين مذكورة ، وخوطب بولاية الكراسي والمنابر . كان ممن لقيهم بفاس محمد بن الطيب العلمي صاحب الأنيس المطرب ، وهومؤلف «كتاب الدر النفيس في مناقب الامام ادريس بن ادريس » الذي نقل ندوة شعرية حول سيف منارة القرويين ، وصاحب الحلل السندسية، ومقامات عارض بها مقامات الحريري. الأنيس المطرب ص ١٠، ليفي بروفنصال : مؤرخوا الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي الرباط ١٣٩٧=١٩٧٧

Les historiens des charfas

٥٦) السلماني (١١٢٠ هـ) :

القاضي أبوعبدالله محمد بن علي السلماني ، قاضي فاس وفقيهها . السلوة ٣ ص ٢٨٨ .

٥٧) عبد السلام جسوس (١١٢١ هـ) :

ابو محمد عبد السلام بن أحمد جسوس (بضم السين مشددة) . كانت له معرفة فائقة بالنحو واللغة والفقه والحديث والتفسير والأصول والبيان وعلم الكلام وغير ذلك . أخذ عن جماعة من رجال العلم بفاس وأهل المشرق . نشر المثاني – السلوة ٣ ص ١٤ – التقاط الدرر للقادري بالخزانة العامة ١٨٤ ص ٦٧٦ د ، رياض الورد لابن الحاج مخطوطة بالخزانة رقم ١١١ د ، فواصل الجمان ص ٢٦٠ – ٢٦١ ، الاتحاف ١٤ ص ١٠٠ ، النبوغ المغربي ٢ ص ١٦٩ – ٣٣٢ .

٥٨) ابن ناجي (١١٢٢ هـ) :

القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناجي الخطيب والمفتي بجامع القرويين ، وكان يشرف على أوقاف القرويين وتجريد حوالاتها التي يصادق عليها أبو علي الروسي حاكم المدينة الذي تنسب اليه (داربو عليّ .) . التي أصبحت اليوم نظارة للأوقاف . كناشة بن سودة .

٥٩) الجرندي (١١٢٥ هـ) :

القاضي ابو العباس أحمد بن علي الجرندي ، من قضاة فاس وعلمائها . النشر ٢ ص ١٨٩ – السلوة ٢ ص ١٦ كناشة بن سودة .

٦٠) الهشتوكي (١١٢٦ هـ) :

أبو العباس أحمد الهشتوكي . أخذ عن طبقة سيدي محمد بن عبد القادر بعدما أخذ عن بن ناصر . علماء لامعون من سوس أخذوا من القرويين (الكتاب الذهبي ص ١١٦ .) .

٦١) ابن الحاج (١١٢٨ هـ) :

القاضي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الحاج . تولى جميع ما كان لوالده أبي العباس (ت ١٠٩ هـ) . السلوة ١ ص ١٥٣ – ١٥٦ ، اتحاف المطالع لابن سودة .

٦٢) ابن عبد القادر القادري (١١٣٣ هـ) :

أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادري ، الفقيه الأديب العلامة ، مؤلف (نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس) . ومن شعره رجز فيمن هاجر الى الحبشة من الصحابة ، وبحث في قاعدة بن خلدون في تقدير الأجيال . نشر المثاني ٢ ص ١٢١ - ١٢٢ ، السلوة ٢ ص ٣٥٣ ، ليبيا لدى الرحالة المغاربة ، مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ١٩٧٠ .

٦٣) بردلة (١١٣٣ هـ) :

القاضي السلفي العلامة المفتي أبو عبدالله محمد العربي بن أحمد بردلة الأندلسي الفاسي . عمل ناظراً لأوقاف القرويين ، وكان مساعده فيها الفقيه عبد السلام بن أحمد الغمارشي بحسب حوالة ١١٢٧ ، وهو الذي أمر بإزالة سارية خلوة القرويين متحدياً أساطير العامة وكان ينشد دائماً : « فإن الهموم بقدر الهمم » . السلوة ٣ ص ١٣٨ ، الاستقصا ٧ ص ١١٣ .

٦٤) ابن الطيب العلمي (١١٣٥ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف بن أحمد الشريف العلمي صاحب كتاب (الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب) . وقد ذكر فيه شيوخه في فاس (ص ٢٩١ - ٢٩٢) : عبد الرحمن الرايس ، وأبو عنان ، وابن الحاج ، والجرندي ، والمشاط . أدركته منيته بمصر . النشر ٢ ص ٢٠٤ معجم المطبوعات .

٦٥) ابن سودة (١١٣٦ هـ) :

القاضي الفقيه الكبير بن الطالب بن سودة . كان بيده كرسي قراءة العمدة بجامع الأندلس ، وكان قيماً على الخزانة العلمية بها - نشر ٢ ص ١٠٨ - ٢٠٧ ، اتحاف المطالع لابن سودة .

٦٦) المسناوي (١١٣٦ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن أحمد الدلائي الشهير بالمسناوي ، صاحب كتاب (الاستنابة في إمامة الصلاة) . وهو إمام حجة ممن ازدانت بهم القرويين . السلوة ٣ ص ٤٨ .

٦٧) القيسي (١١٣٨ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله القيسي الاندلسي الفاسي المكناسي ، المشهور بالكاتب. أسندت اليه في عهد السلطان المولى إسماعيل النظارة على أوقاف القرويين ، كأبي عبد الله محمد بن محمد الخطيب ، وكأبي العباس أحمد بن شنوف ، وبعده تولى النظارة الفقيه بالقاسم المسطاسي . الاتحاف ٤ ص ٦٠ ، مجلة تطوان ١٩٦٢ عدد خاص بمولاي إسماعيل ص ٣١ ، مجلة المغرب مايه ١٩٦٣ الحوالات .

٦٨) البوعصامي (١١٣٩ هـ) :

الموسيقي الفقيه الأديب ، أبو عبدالله محمد البوعصامي . رحل الى المشرق ، وأخذ عن الأئمة وأتى في فن الموسيقى بكل خارق ، وأنسى ذكر الموصلي ومخارق . ثم رجع الى المغرب ، وانتهى الى فاس واستقر ، كانت له مجالس طرب نظرية وتطبيقية ، وكان يدرس الموسيقى بغريفة الصومعة . العلمي : الأنيس المطرب ١٦٨ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ ، الاتحاف ١٤ ص ١١٨ ، السلوة ٣ ص ٢٩٠ .

٦٩) ابن رحال (١١٤٠ هـ) :

القاضي أبوعلي الحسن بن رحال التادلاوي المعداني ، المعروف بحاشيته الكبرى على مختصرخليل التي تشمل على عدة أسفار ، تنخيته في المكتبة الملكية ، وله مؤلفات أخرى . أدركته الوفاة في مكناس . النشر٢ ص ٢١٤ ، الاتحاف ٣ص ٧ – ٨ – ٩ .

٧٠) عبد القادر بن شقرون (١١٤٠ هـ) :

الطبيب الصيدلي الفقيه الأديب اللغوي عبد القادر بن العربي المنبهي المدغري المعروف بابن شقرون المكناسي . أخذ بفاس عن جماعة من الشيوخ ، بينهم : أحمد بن الحاج ، والقسمطيني ، والمسناوي ، وابن عمران ، والقادري ، وأبوعنان والطبيب أحمد ادراق . رحل الى المشرق . وكان له مشايخ بي تلك الديار . له نظريات في الأطعمة والأشربة وخواص الأعشاب ، وهو مؤلف (الشقرونية) في الطب . الأنيس المطرب ص١٩٣ ، الاتحاف ٥ص ٣٢٠ ، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب ، العصر الاخير .

٧١) ابن حمدون بناني (١١٤٠ هـ) :

العدل العلامة المفتي مَحمد (فتحا) بن حمدون بناني ، ممن استشارهم السلطان المولى إسماعيل في تخطيط قبلة الحرم الأدريسي حوالة عام ١١١٥ هـ .

٧٢) البادسي (١١٤٠ هـ) :

أبوفارس بن عبد العزيز البادسي الفقيه الناظركان من الذين يشرفون على ميزانية المدارس السبع في حوالة ١١٤٠ هـ.

٧٣) الشدادي (١١٤١ هـ) :

القاضي أبوالحسن علي بن الخطيب المفتي أحمد الشدادي ، من قضاة فاس وعلماء القرويين ، السلوة ٣ ص١٩٨.

٧٤) الجامعي (١١٤٤ هـ) :

أحد الجسور المهمة التي ربطت بين جامعة القرويين وبين جامعة الزيتونة : الشيخ عبد الرحمن الجامعي ، اديب علامة ممن رحلوا من فاس الى تونس اواخر دولة المولى اسماعيل في الثلث الأول للقرن الثاني عشر ، بعد تقوية معارفه على جلة علماء القرويين ، من أمثال عبد الرحمن بن عبد القادرالفاسي ، ومحمد العراقي ، وابن زاكور ، والحسن بن رحال . وكان من أبرزأعماله في تونس علاوة على تدريسه في الزيتونة احياؤه للمدرسة الشنتمرية ، وله شاعرية نوه بها صاحب (ذيل بشائرأهل الايمان) . مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس : الكتاب الذهبي ص ٢٢٢ –٢٢٣ .

٧٥) ابن زكري (١١٤٤ هـ) :

العلامة المشارك ، ابوعبدالله محمد بن عبد الرحمن بن زكري ، ممن دخلوا مصر ، وناقشوا فقهاءها ؛ عقد له مجلس حضره علماء الأزهر الشريف الذين ناصروه واحداً واحداً – السلوة ١ ص ١٥٨ – ١٦١ استقصا ٨ ، ٨٣ دعوة الحق ، يناير ١٩٦١ .

٧٦) الحريشي (١١٤٥ هـ) :

أبوالحسن علي بن احمد بن عبد الله الخياط الحريشي الفاسي دفين المدينة المنورة كان له اقدام على التأليف ، وهوصاحب الشرح على الموطأ ، وشرح الشفاء ، اختصار الاصابة لابن حجرأخذ عنه الشيخ أحمد المكودي الذي أصبح

شيخ تونس . وكان له كرسي في مستودع باب الحفاة كان القائد عبدالله الروسي نفذ له جامع درب القاضي من زقاق البغل . الحوالة الاسماعيلية . مخطوط أبي المزايا . الكتاب الذهبي ص ١٧١ .

٧٧) المشاط (١١٤٨ هـ) :

الخطيب الفقيه المؤقت أبوجيدة المشاط . كان عدلاً بالسماط ، يعتمر الحانوت الرابع عن يمين الخارج من باب الموثقين . سلوة ٢ ص ١٢٦ – الحوالات .

٧٨) التَّماق (١١٥١ هـ) :

القاضي الخطيب أبوعبد الله محمد بن احمد الفاسي الشهير بالتَّماق . السلوة ٢ ص ١٢٥ .

٧٩) الاسحاقي (١١٥١ هـ) :

أبومحمد (عبد القادر الجيلاني) ، هكذا سمي تيمناً بشيخ بغداد ، ويعرف بالشرقي الاسحاقي . أخذ من مدينة فاس ، وله شيوخ بالمشرق عندما حجَّ في ركب الأميرة خناثة ، وله رحلة ممتعة تعد ترجمة لروحه المرحة وقوة ملاحظته وتضلعه من الفقه والتاريخ. د. عبد الهادي التازي : امير مغربي في ليبيا ص ٦٦-٦٧مطبعة فضالة ١٩٧٦.

٨٠) ابن الرغاي (١١٥١ هـ) :

ابن الرغاي القاضي الخطيب محمد أبو البقاء يعيش بن الرغاي . النشر ٢ ص ٢٤٣ – السلوة ٣ ص ٢٠٨ كناشة ابن سودة .

٨١) علي البوعناني (١١٥٣ هـ) :

الخطيب القاضي المفتي أبوالحسن علي بن عبد الواحد البوعناني ، ولاه السلطان المولى اسماعيل بعد صرف بن منصور وتردد الكتب أصداء رسالة بعث بها علماء فاس الى المولى اسماعيل يشكرونه على هذا التعيين . سلوة ١ ص ١٠٢ .

٨٢) الأميرة خناثة (١١٥٥ هـ) :

الفقيهة العالمة خناثة بنت بكار زوجة السلطان المولى إسماعيل . كان لها ضلع قوي في نهضة البلاد الثقافية ، لما تميزت به من تكريم لرجال العلم ، وكانت أستاذة في قصرها ، تستمع الى كبار العلماء من خريجي القرويين . الاتحاف ٣ ص ١٦ ، امير مغربي في ليبيا ص ٥٦ – ٥٧ – ٥٨ – ٥٩ – ٦٠ – ٦١ – ٦٢ – ٦٣ – ٦٤ – ٦٥ .

٨٣) ابن مبارك السجلماسي (١١٥٥ هـ) :

أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي ، من تلامذة الشيخ أحمد المكودي الذي التحق بتونس مدرساً ، وتوجد إجازة للمكودي المذكوره بخط السجلماسي . وهو صاحب كتاب الإبريز . السلوة ٢ ص ٢٠٣ ، الكتاب الذهبي

٢٢٣ ، مجلة المغرب ١٩٦٥ ص ١٣ .

٨٤) الزبادى (١١٥٨ هـ) :

عبد المجيد المنالي الزبادى ، من علماء القرويين الأعلام ، رحل الى المشرق برفقة العلامة القطب سيدي عبد الوهاب التازي (ت ١٢٠٦ هـ) ، وأتم دراسته هناك على عدد من المشايخ ، وله (رحلة ممتازة) . السلوة ١ ص ١٣٤ – ٢ ص ١٨٤ ، ١٨٥ . ليبيا « لدى الرحالة المغاربة » مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٠ ص ٣٣٤ .

٨٥) ادراق (١١٥٩ هـ) :

الطبيب الفقيه عبد الوهاب بن الطبيب ابي العباس أحمد بن الطبيب ابي عبدالله محمد ادراق ، وقد عرفت له تآليف كثيرة ، أغنت الدراسات الطبية بالمغرب ، منها تعليق على النزهة للشيخ داود ، وأرجوزة ذيل بها أرجوزة ابن سينا في الطب ، وأرجوزة في حَبّ الافرنج المعروف في العامية المغربية بالنَّوار ، وقصيدة في فوائد النعناع الذي ينقعه المغاربة في الآتاي « الشاي » يقول منها :

إذا الشهوتان احتاجتا لموافق * فليس سوى النعناع خِدْنٌ موافق !

ويظهر لي أن كثرة النعناع بمكناس تعزى الى الطبيب ادراق المكناسي د. التازي : مع الطبيب الصيدلي عبد الوهاب ادراق في منظومته حول فوائد النعناع والكبر - مجلة أكاديمية المملكة المغربية عدد نونبر ١٩٨٦

٨٦) ابن عبد السلام بناني (١١٦٣ هـ) :

الفقيه العلامة محمد بن عبدالسلام بناني ، شارح الشفاء والاكتفاء ، كان يدرس الفقه في الصف الاول من جامع القرويين ضحوة ، والحديث قبل ذلك في مسجد عياض ، وله مجلس ثالث تصحيح البخاري بين العشاءين في المدرسة المصباحية . السلوة ١ ص ١٤٧ Fes, son Université

٨٧) العراقي (١١٦٣ هـ) :

الفقيه الهادي العراقي ، من مدرسي القرويين الممتازين - السلوة ١ ص ٢٧٤ .

٨٨) الورديغي (١١٦٤ هـ) :

من علماء القرويين الذين عنوا بتدريس مختصر الشيخ خليل . السلوة ١ ص ٢٥٠ .

٨٩) السرغيني (١١٦٤ هـ) :

أبو المواهب عبد الكبير بن محمد السرغيني ، عالم بالقرويين ، وإمام خطيب بجامع الأشراف بعد الشيخ أبي العباس أحمد الصبيحي . الاتحاف ١٤ ص ٣٣٧ - ٤٤٣ - ٤٥٠ - ٥ ص ٢٢٨ .

٩٠) أحمد المكودي (١١٧٠ هـ) :

أبو العباس أحمد المكودي أحد الجسور بين القرويين والزيتونة . وهو مدار أسانيد علماء تونس ومشايخها ، تلقى العلم بالقرويين ، ومن أخص شيوخه : أحمد بن المبارك اللمطي . وابوالحسن علي بن محمد الحريشي ، جال في الشرق لأداء الفريضة ، ثم اتخذ تونس مقراً له . وتلمذ له العلامة التونسي صاحب المؤلفات الذائعة الصيت الشيخ محمد بيرم التونسي صاحب الكتب المفيدة . وتحتفظ المكتبة المشهورة بالعبدلية بمجموع رقمه ٨١٦ بخط الشيخ محمد بيرم الثاني يبين كيفية أخذه عن والده عن الشيخ المكودي الى أن يصل سنده الى الشيخ عبد القادر الفاسي ١٠٩١ ، مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس الكتاب الذهبي ص ٢٢٣ .

٩١) ابن الطيب الشرقي (١١٧٠ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن الطيب الشرقي الصميلي العلامة اللغوي المحدث نشأة فاس دفين المدينة المنورة ، وخطيب

المسجد النبوي ، صاحب المستدرك على القاموس في أربع مجلدات ، والمزهر ، وصاحب الفهرستين والمسلسلات ، وهو عمدة تلميذه المرتضى . الاعلام ٧ ص ٤٧ : جامع القرويين : الكتاب الذهبي ص ١٧٢ .

٩٢) التازي (١١٧٠ هـ) :

الفقيه الأديب أبو عبدالله محمد بن الحاج التلمساني التازي حَلّاه الشيخ التاودي بالأستاذ الفقيه النحوي ، وذكر أن له معرفة به لما بينهما في القراءة على الشيخ الوجاري ، وأنه ارتحل من فاس الى التازة لمتابعة رسالته العلمية . نظم سنة ١١٦٢ هـ مسالك الحج في همزية طريفة ، نشرها الأستاذ المنوني في كتابه ركب الحاج المغربي ص ٨٩ - ١٠٤ .

٩٣) البكري (١١٧٤ هـ) :

القاضي المفتي أبو عبدالله محمد البكري ، من أكبر علماء المغرب ، وقد تصدر للقضاء بفاس مدة من الزمن . كناشة ابن سودة .

٩٤) ابن عبد الصادق الدكالي (١١٧٥ هـ) :

المفتي أبو عبدالله محمد بن عبد الصادق الدكالي ، ممن ازدانت بهم مجالس القرويين . السلوة ١ ص ٢٧٣ (كناشة ابن سودة) اتحاف المطالع .

٩٥) الهلالي (١١٧٥ هـ) :

الحافظ أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي . له درس بمدغرة وسجلماسة وفاس - نشر المثاني ١ ص ٢٧٣ - معجم سركيس .

٩٦) الغربي (١١٧٧ هـ) :

أبو عبدالله الغربي الرباطي ، من أعضاء المجلس العلمي الذي كان يجتمع به الملك العالم سيدي محمد بن عبدالله (مقدمة مسانيد الأئمة) .

٩٧) العميري (١١٧٨ هـ) :

العالم الجليل أبو القاسم بن سعيد العميري المكناسي ، كان من المترددين على فاس الذين يعقدون المجالس العلمية بجامعها ، وهو والد الفقيه العلامة المكي ، وشيخه كذلك . (اتحاف المطالع) الاتحاف ٤ ص ٣٠٨ . الاتحاف ٣ ص ٧٩ - ٣٣٧ - ٥ - ص ٣٢٤ .

٩٨) الأودي (١١٧٩ هـ) :

القاضي أبو عزة بن عبد الواحد الأودي - السلوة ٣ ص ٢١٥ .

٩٩) عبد الرحمن المنجرة (١١٧٩ هـ) :

الفقيه العلامة عبد الرحمن بن إدريس المنجرة . كان له مجلس بعنزة القرويين ، تولى الخطابة بجامع الشرفاء بعد أبي عبدالله محمد الكبير بن محمد السرغيني (ت ١١٦٦) السلوة ٢ ص ٢٧٠ : الدرر الفاخرة ص ٤٨ .

١٠٠) أبو مدين (١١٧٩ هـ) :

الخطيب أبو عبدالله مَحمد (فتحا) بن أحمد بن محمد المكنى (أبو مدين) . كان مضرب المثل في البلاغة ،

مشاركا ، ضابطاً متقناً . السلوة ١ ص ٣٢١ – اتحاف المطالع لابن سودة . مركز العلماء ، الكتاب الذهبي ص ١٥٥ .

١٠١) بناني (١١٨٠ هـ) :

الفقيه مَحمد (فتحا) بن الحسن بناني ، أخو الأستاذ بناني صاحب حاشية على الزرقاني . كان مدرساً بجامع القرويين – السلوة ١ ص ١٦٩ .

١٠٢) العراقي الحافظ (١١٨٣ هـ) :

هو إدريس بن محمد العراقي ، حافظ المغرب ، وعالم فاس ، شارح الشمائل وصاحب التعاليق الحديثة الكثيرة . استدرك على الجامع الكبير ما ينيف على خمسة الآف حديث . الكتاب الذهبي ص ١٧٢ .

١٠٣) السلاوي (١١٨٦ هـ) :

عبد القادر بن عبد الرحمن السلاوي أصلاً الفاسي نشأة ودراسة ، بذلك أخبر عن نفسه كتابه (الكوكب الثاقب في الأخبار والمناقب) كما في الجزء الرابع من تاريخ الشيخ أحمد بن أبي الضياف . تولي القضاء ببنزرت . من شيوخه بالقرويين أبو عبدالله المسناوي . كان خير هدية قدمتها فاس الى تونس ، ولولا التنازع بين أفراد الأسرة الحسينية وانزواؤه هو تجنباً للعواصف ، لكان له شأن مشهور. الكتاب الذهبي ص ٢٢٦ .

١٠٤) ابن الونَّان (١١٨٧ هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الفاسي الونَّان ، صاحب المنظومة المشهورة باسم (الشمقمقية) ، ومطلعها :

مهْلًا على رسلِك حادي الأيْنُقِ * ولا تكلفْها بما لم تطـق

وقد شرحها عدد من العلماء والأدباء المغاربة . الاتحاف ٣ ص ٣٤٤ .

١٠٥) العلوي (١١٨٧ هـ) :

أبو محمد القاضي الأعدل بن محمد بن عبد الملك بن العربي ، ممن درسوا بالقرويين ، وتولوا قضاء مدينة مكناس ، فكان يدعى قاضي القضاة . من تآليفه شرح على الهمزية في اربع مجلدات . الاتحاف ٥ ص ٣٣٢ .

١٠٦) القاضي أبو خريص (١١٨٨ هـ) :

أبو عبدالله القاضي الشيخ عبد القادر بن العربي بو خريص ، من العلماء الذين كان السلطان محمد بن عبدالله يجالسهم ، وقد عهد اليه شرح الثلث الثاني من كتاب مشارف الأنوار للإمام الصاغاني (ت ٦٥٠ هـ) ، وكان شرح الأول التاوديُّ ، والثالث العراقيُّ . وقد حضر تسلم الساعة التي أهداها محمد الثالث الى غريفة القرويين عام ١١٧٧ هـ . السلوة ٢ ص ١٢ مجلة المغرب ، الفاخرة ص ٥٩ مجلة المغرب نوفبر ١٩٣٦ .

١٠٧) يوسف البوعناني (١١٨٨ هـ) :

القاضي أبو الحجاج يوسف بن القاضي بن عبدالله الطالب بن عبد الواحد بن محمد البوعناني . خطب بمنبر القرويين وهو ابن عشرين سنة أيام السلطان المولي عبد الله . سلوة ١ ص ٢٠١ .

١٠٨) حمدون الطاهري (١١٩١ هـ) :

الخطيب أبو العباس الملقب بحمدون الطاهري ، فقيه ، محدث بالقرويين . سلوة ٢ ص ٧٢ ، المحاضرات ٣٠٧ .

١٠٩) الغزال (١١٩١ هـ) :

الأستاذ السفير أبو العباس أحمد بن المهدي الغزال من العلماء الأعلام الذين كان السلطان محمد بن عبدالله يجالسهم وهو الى علمه من رجال السياسة . كان سفير محمد الثالث لدى ملك اسبانيا . له كتاب نتيجة الاجتهاد . مجلة المشرق ٤١ ٤٥٩ – واعلام للزركلي ١ ص ٢٤٥ ، مقدمة مساند الائمة .

١١٠) الفاسي (١١٩٤ هـ) :

الخطيب عبد الحفيظ بن أبي مدين ، وكان ولده محمد الطيب خطيباً فيها كذلك . الى سنة ١٢١٣ .

١١١) بناني (١١٩٤هـ) :

العلامة الفقيه محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني ، المعروف بأبحاثه الدقيقة وتعقيباته على فطاحل العلماء . كان إمام مسجد الشرفاء وخطيبه ومدرسه يدرس فيه بعد الصبح التفسير وصحيح البخاري ونحوة مختصر خليل ، وبعد الظهر الألفية وغيرها وبين العشاءين الرسالة وغيرها . أخذ في حجته عن الحفني والجوهري والملوي وابن الصباح ، وعند عودته من الحج عام ١١٦٣ هـ سئل عن مسائل من الكلام والمنطق والنحو والحديث ، فأجاب عنها في سفر كامل من غير مراجعة السلوة ١ ص ١٦١ ، الدرر الفاخرة ص ٤٨ . الكتاب الذهبي ص ١٧٢ .

١١٢) الجنوي (١٢٠٠هـ) :

العالم أبو عبدالله محمد بن الحسن الجنوي ، ذكره الشيخ الرهوني في أول الحاشية . ابن سودة : اتحاف المطالع في رجال القرن الثالث عشر والرابع .

١١٣) محمد بن عبد الله (السلطان) (١٢٠٤) هـ :

هذا هو الملك محمد الثالث من الدولة العلوية ويعتبر من أبرز ملوك الدولة العلوية الذين رسّخوا العلم بالمغرب وسنوا له القوانين بجامع القرويين، وقد قام هو بتأليف بعض المصنفات وكان إلى جانب كل هذا رجل سياسة وديبلوماسية يراجع في ترجمته ومركزه الدولي كتابنا التاريخ الدبلوماسي للمغرب المجلد التاسع...

١١٤) التاودي بن سودة (١٢٠٩ هـ) :

التاودي أبو عبدالله محمد التاودي بن الطالب بن سودة ، كان عارفاً بعلم الحساب والتنجيم والهندسة ، ويتساءل عن صلته بابن سودة الذي ذكره عبد الله عنان كزائر لمصر عام ١١٨٢ حيث عقد مجلساً حافلاً بالازهر الشريف برواق المغاربة في الفقه المالكي حضرته جموع حاشدة تاريخ الأزهر– الفصل الثالث العصر التركي – السلوة ١ ر١١٢ – الكتاب الذهبي ١٧٢ .

١١٥) ابن عثمان (١٢١٣ هـ) :

الأستاذ السفير محمد بن عثمان ، تولي الوزارة أيام السلطان محمد بن عبدالله ، واستعمل في السفارة . له رحلة الى

اسبانيا ومالطة ونابولي ، وكلها ألف فيها . وقد نشر المركز الجامعي للبحث العلمي كتابه (الإكسير في فكاك الاسير) بتحقيق وتعليق محمد الفاسي . رأس الجامعة ١٩٦٥أدركته الوفاة في مراكش . الاتحاف ٢ ص ٣١٠ . في تاريخ المغرب الدبلوماسي .

١١٦) بنيس (١٢١٤ هـ) :

أبوعبدالله محمد بن أحمد بنيس . كان حيسوبياً ، حافظاً ، ماهراً في علم الفرائض . ويظهر أن له صلة بالفقيه الحاج عبد النبي بنيس ناظر الأوقاف في العهد السلياني . السرب ص ٦ السلوة ١ ص ٢٠٤ .

١١٧) الطرنباطي (١٢١٤ هـ) :

القاضي أبو عبدالله محمد بن مسعود الطرنباطي ، فقيه أديب مشارك . سلوة ٢ ص ٢٦٨ .

١١٨) ابن زاكور (١٢١٤ هـ) :

الفقيه العلامة أبوعبدالله محمد بن علي بن زاكور ، وقد اختاره السلطان المولى سليان ليكون أمين ماله . السلوة ٣ ص ٩٦ .

١١٩) لوبليش (١٢١٨ هـ) :

من الأعلام الأجانب الذين زاروا مدينة فاس سنة ١٢١٨ هـ ١٨٠٣م واقتحموا القرويين واتصلوا باعلامها ، السنيور (Badia Levlich) الذي تنكر باسم علي باي العباسي الذي كانت له محاولات مع فقهاء القرويين لإصلاح عقلية العلماء على حد تعبيره ، قال : إن هدفه الأول كان إلقاء الشك في قلوب الناس فيما يعرفون ، ثم ينسخ هذا الشك بأفكار إصلاحية جديدة ، وهوالذي نعت فاساً بأنها « أثينا الشمال الإفريقي » .

Le Maroc de demain

١٢٠) القاضي ابن شقرون (١٢١٩ هـ) :

القاضي الصيدلي عبد القادر بن أحمد بن شقرون . كان مضرب المثل في حل المشكلات المستعصية . تولى خطة القضاء والى جانب ذلك كان يقوم – على عادة القضاة – بمهمة توجيه الناس على المنابر ، ويتأكد أن له صلة بالقضاء في مدينة الصويرة . السرب ص ٧ ، السلوة ١ ص ٩٥ . ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة ص ٢٦ .

١٢١) الهواري (١٢٢٠ هـ) :

القاضي أبو عبدالله محمد بن طاهر الهواري ، واسطة العقد في العلوم الأدبية والقضايا الشرعية ، وقد كان ضمن أساتذة السلطان المولى سليان . السلوة ١ ص ٣٠٧ .

١٢٢) الزعري (١٢٢٢ هـ) :

الخطيب أبوالعباس أحمد بن العربي الزعري . كانت له حلقة للتفسير بجامعة القرويين – ويظهر أن له صلة بالقاضي محمد بن مبارك الزعري (ت ١٢٧٦ هـ) . السلوة ١ ص ٩٨ إتحاف المطالع لابن سودة .

١٢٣) الحلو (١٢٢٧ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز الحلو ، أحد الوراقين الخطاطين البارعين الذين خلدت الكتب أسماءهم وكانوا معتمدي القرويين في مادتها المدروسة ، وقد شاركه في عمله رجال من أسرته ونساء ، عرفوا جميعاً بالخط الفائق .

وفي الزيتونة أيضاً نسخ من البخاري بمرويات الصدفي من خَطه سنة ١٢٢٧ بالاضافة الى مخطوطات بقلم الفقيه ابن موسى (١٢٨١ هـ) . بن عاشور. مجلة المغرب ص ١٨٠ .

١٢٤) ابن كيران (١٢٢٧ هـ) :

أبو المواهب الشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران . تفرد بعلم الأصول والفروع والمفردات والجموع ، له تآليف عديدة . السرب ٨ ، سلوة ٣ ص ٢ ، الدرر الفاخرة ص ٧٣ .

١٢٥) العراقي (١٢٢٨ هـ) :

إدريس بن زيان العراقي الفقيه المشارك . شرح الثلث الثالث من كتاب مشارق الأنوار للأمام الصاغاني ، وقد شرح الأول الشيخ التاودي ، والثاني الأستاذ بو خريص . مجلة المغرب نوفمبر ١٩٣٦ - اتحاف المطالع .

١٢٦) ابن الخياط القادري (١٢٢٨ هـ) :

المؤرخ الفقيه أبو محمد عبد السلام بن عبدالله بن الخياط القادري وهو صاحب التحفة القادرية في ثلاثة أجزاء ، ويعد من الوثائق المهمة في تاريخ المغرب ، وهو من المخطوطات التي تضمها خزانة الشيخ عباس بن ابراهيم بمراكش ، وقد أهداها ولده الأستاذ البشير الى خزانة الرباط .

١٢٧) يحي الشفشاوني (١٢٢٨ هـ) :

أبو زكريا يحيى بن المهدي الطالب الشفشاوني ، ممن اتسعت مشاركته في العلوم ، وتمكن من المنطق والفقه والحديث ، وكان إماماً بالضريح الإدريسي وخطيبه . السلوة ١ ص ٩٤ . الدرر الفاخرة ص ٤٨ - ٧٢ .

١٢٨) العربي بن سودة (١٢٢٩ هـ) :

العربي بن أحمد بن سودة ، عالم ومُفْتٍ خطيب أحكم النظر في الأدلة على لإجمال والتفصيل . كان يدرس الموطأ - علاوة على القرويين - بالضريح الإدريسي . سلوة ١ ص ١٢٣ .

١٢٩) الزروالي (١٢٣٠ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عمرو الزروالي العلامة المحقق المتبحر في العلوم ، من شيوخ المولى سليمان . سلوة ٣ ص ٥ .

١٣٠) الرهوني (١٢٣٠هـ) :

أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الرهوني المشهور بحاشيته على الزرقاني المطبوعة في ثمانية أسفار ، أدركته الوفاة بوزان . اتحاف المطالع .

١٣١) التيجاني (١٢٣٠ هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني العَيْناضي . ارتحل الى فاس وهو ابن احدى وعشرين سنة لطلب العلم ، وأصبح فقيهاً مالكياً ملماً بالأصول والفروع ، عارفاً بالآداب . وكانت له حلقات علمية بفاس . حج عام ١١٨٦ هـ ، وعاد الى فاس ، وصار شيخاً للطريقة التيجانية . وله في تربية العدد العديد من السوادين يرجع الفضل الكبير . شجرة النور ٣٧٨ ، تعريف الخلف برجال السلف ٢ ص ٣٧ .

١٣٢) اليازغي (١٢٣١ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن هنو اليازغي الفاسي داراً ومنشأ . عهد اليه السلطان المولى سليمان شرح كتاب الشامل لبهرام فشرحه وسماه : « الفتح الكامل في توضيح الشامل » . أدركته الوفاة قبل إنهائه خاتمة الشيخ التسولي . الدرر الفاخرة ص ٧٦ – ٧٧ . السلوة ١ ص ٣٥٨ ، ٢ ص ١١٥ ، ٣ ص ١٢٦ .

١٣٣) الحوات (١٢٣١ هـ) :

لسان الأدباء وتاج البلغاء ، أبو الربيع سليمان بن مشيش الشفشاوي الشهير بالحوات . ورد على فاس فاستوطنها ، وأخذ عن أبي الربيع سليمان بن أحمد الفشتالي الحساب والطب ، وانتهت اليه الرئاسة في الأدب ، والمهارة في العربية . له تآليف عديدة ، منها : كتابه (ثمرة أنسي في التعريف بنفسي) . السرب ص ١٠ – سلوة٣ ص ١١٦

١٣٤) حمدون ابن الحاج (١٢٣٢ هـ) :

أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن السلمي المرداسي الشهير بابن الحاج . شارك بصفة متقنة في جميع الفنون ، واستكمل أدوات الاجتهاد . له عدة تآليف . السرب ص ١٠ ، السلوة ٣ ص ٤ الدرر الفاخرة ص ٦٣ .

Les historiens des Charfas

١٣٥) الفاسي (١٢٣٢ هـ) :

أبو عبدالله محمد الفاسي . عَرَّف به الشيخ ابن أبي الضياف . وقد اغتبط به مفتي تونس محمد بن حسن البارودي وأنزله بداره ، وكان الفاسي هذا مجدداً للجسور التي ربطت بين المغرب والمشرق ، وكان هذه المرة بواسطة الشيخ ابراهيم الرياحي (ت ١٢٦٦ هـ) فلقد تأثر به كثيراً ، وكل علماء تونس تخرجوا على الشيخ الرياحي ، وقد عبر عن منزلة الفاسي لدى علماء تونس الشيخ الرياحي في رثائه له :

شمس بفاس أشرقت وبتونس * غربت فيا أسفاً عليك ضرمتُه

وقد خلف الفاسي أثرين في تونس هما : العناية بكتاب الأحياء ، والعناية بالاعشاب وتفسيرها . مجلة الهداية الاسلامية جزء ١٢ مجلد ١ – القاهرة جمادى الأولى ١٣٤٨ . الكتاب الذهبي ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

١٣٦) أحمد بن سودة (١٢٣٥ هـ) :

القاضي أبو العباس أحمد بن التاودي بن سودة ، تولى القضاء ، وقدم للخطبة بالأمراء والملوك ، وله بنيت مقصورة القضاء بالسماط عام ١٢٢٠ . ممن أخذ عنهم في رحلته الشيخ محمد النيفر (ت ١٢٧٧ هـ) . السراب ١٢ – السلوة ١ ص ١١٥ . الكتاب الذهبي ٢٩٣ .

١٣٧) العلمي (١٢٣٦ هـ) :

الفقيه بن ريسول العلمي ممن طلبوا العلم بفاس ، وتخرجوا في جامعتها ، له مؤلفات كان يشجعه على تأليفها السلطان المولى سليمان . (اتحاف المطالع) .

١٣٨) الحايك (١٢٣٧ هـ) :

الفقيه عبد الرحمن بن محمد الحايك الموسيقي المعروف ، ممن تلقوا دراستهم في جامعة القرويين على خيرة العلماء ، وقد تلقى فن الطرب عن أحمد بن محمد الفاسي (ت ١٢١٤ هـ) : منها دار الموسيقى العربية . ترجمة دكتور حسين

نصار ١٩٥٧ ص ١١١ – ١١٢ ، ضون فرناندو : كناش الحايك ، اتحاف المطالع لابن سودة ، الكتاب الذهبي ١١٢.

١٣٩) المولى سليمان (١٢٣٨ هـ) :

من العلماء الأمراء السلطان المولى سليمان خريج أساطين القرويين ، وعالمها . كان يرى أن الصواب في الرجوع الى آثار السلف ، والاجهاز على كتب الفروع ، ولا بد أن نقرأ رأيه في السلفية المنبوزة بالوهابية ، وردود الفعل من جانب العلماء . له مؤلفات عديدة ، منها : ما خصصه : بجواز التطبيب بالعود القماري في أيام رمضان . السلوة ٢ ص ١٠ – ٤١ – الدرر الفاخرة ص ٨٢ .

١٤٠) الضُّعَيف (١٢٤٠ هـ) :

الأستاذ المؤرخ محمد بن عبد السلام الضُّعَيف الرباطي صاحب (التاريخ المفيد) ، وقد كان في جملة الرباطيين الذين انتقلوا الى جامعة القرويين لتتميم دراستهم بعد أن كان أخذ في الرباط عن الشيخ الغربي والسجلماسي . اتحاف المطالع :
Les historiens des Charfas P. 114

١٤١) المتيوي (١٢٤٧ هـ) :

علي بن عبدالله المتيوي ، فقيه علامة مشارك . سلوة ٣ ص ١٣٢ .

١٤٢) المكي الدلائي المسناوي (١٢٤٧ هـ) :

القاضي المكي بن محمد الدلائي الشهير بالمسناوي قاضي بفاس . سلوة ٣ ص ٤٨ .

١٤٣) ابن حمادي المطيري (١٢٤٩ هـ) :

التهامي بن حمادي بن عبد الرحمن الحمادي المكناسي المطيري ، تلقى العلم عن ثلة من العلماء بالقرويين ، منهم : إدريس العراقي ، والطيب ابن كيران ، وحمدون بن الحاج ، وأخذ عنه جماعة منهم المهدي بن سودة ، والطالب السراج . فهرست المهدي بن سودة ، السراج : ٥٢ – ١٥٣ .

١٤٤) الزياني (١٢٤٩ هـ) :

الأستاذ السفير أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني ، العالم المؤرخ . درس بجامعة القرويين وبجامع الاندلس ومدرسة الصهريج والعطارين ، واستوزر ، ورحل سفيراً الى الأستانة عن السلطان محمد بن عبدالله سنة ١٢٠٠ هـ ، ثم سنة ١٢١٦ ، وكان المؤرخ المغربي الوحيد الذي اشتغل بالجغرافيا الى جانب التاريخ ، ونصب خارطة للبلاد التي زارها ، وكانت له منزلة أيضاً لدى مولاي عبد الرحمن ، توسط لديه في ارجاع العمل بخطة الإفتاء . النبوغ المغربي ١ ص ٢٥٠ . دعوة الحق مارس ١٩٦٧ .

١٤٥) الشيخ أحمد بن ادريس (١٢٥٠هـ) :

الإمام أبو العباس أحمد الميسوري الشهير بابن ادريس. أخذ عن علماء القرويين، وأصبح من أعلام العالم الإسلامي، صوفي شهير، رحل الى مكة عام ١٢١٤هـ ثم رحل الى اليمن سنة ١٢٤٦هـ وأدركته الوفاة في (صبيا) شمال (موخا) وجنوب عسير بعد أن أنشأ هناك إمارةً إدريسية. د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج ٩ ص ٥٧. وكانت لذريته إمارة في عسير.

١٤٦) الكوهن (١٢٥٤ هـ) :

عبد القادر بن أحمد الكوهن ، عالم بارز من علماء القرويين ، من شيوخ مجلس الحديث الملكي على عهد السلطان

المولى عبد الرحمن ، تثقف على جماعة من علمائها ، منهم : ابن شقرون، وابن سودة ، ومحمد العربي الدرقاوي ، وهو من شيوخ المهدي بن سودة كما في فهرسة الكتاب الذهبي ص١٥٣ .

١٤٧) البكراوي (١٢٥٧ هـ) :

وبعد الخطيب الشيخ عبد الواحد الفاسي نفذ المولى سليمان الخطبة لابنه الفقيه عبد القادر ، لكنه تنازل عن الخطبة للشيخ إدريس بن عبدالله البكراوي خطيب جامع القرويين وإمامها . السرب ١٨ ، السلوة ٢ ص٣٤٣ .

١٤٨) التسولي (١٢٥٨ هـ) :

أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي ، تولي القضاء في الحضرة الفاسية لما عزل الفقيه النوازلي العربي الزرهوني . له تآليف عديدة ، منها : شرح الشامل في عدة أسفار ، وشرح التحفة والنوازل ، وحاشية على شرح سيدي التاودي على الزقاقية . السرب ١٩ ، السلوة ١ ص٢٣٨ .

١٤٩) ابن فارس (١٢٥٩ هـ) :

القاضي الحسن بن فارس ، قاضي الجماعة بها . سلوة ٢ ص٢٦٨ ، اتحاف المطالع لابن سودة .

١٥٠) ابن نافع (١٢٦٠ هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد بن نافع (من أهل فاس) الفقيه الاديب المشارك ، له مجالس بالقرويين ، توفي فجأة بغريفة القرويين – سلوة ٣ ص٢٣٦ ، الاعلام ١ ص٢٣٣ ، اتحاف المطالع لابن سودة .

١٥١) المجذوب الفاسي (١٢٦٠ هـ) :

الخطيب الشيخ المجذوب بن عبد الحفيظ بن أبي مدين الفاسي ، تصدر للخطابة بها بعد أن صرف عنها الخطيب البدراوي . السلوة ١ ص٣٢٦ .

١٥٢) الفاسي (١٢٦٣ هـ) :

الخطيب الأستاذ عبد القادر بن الشيخ عبد الواحد الفاسي، تصدر للخطابة وهو ابن ثمان عشرة سنة كزميله عبدالله ابن أبي عمران (ت ٦١١) على عهد الموحدين ، لكن كبر القرويين من جهة ، وخفوت صوته من جهة أخرى ، اضطرت المولى عبد الرحمن أن يحوله الى مسجد الشرابليين . جني زهرة الآس ص٥٨ ، السلوة ٣٤٧ .

١٥٣) العمراوي (١٢٦٤ هـ) :

الأستاذ أبو العلاء الحاج محمد بن إدريس العمراوي الوزير الدبلوماسي والكاتب الشاعر الاديب الفلكي الرياضي . من شيوخه بفاس : محمد بن الطاهر الحبابي مزوار الموقتين بمنار القرويين ، والشيخ حمدون بن الحاج ، ومحمد اليازغي الاتحاف ٤ ص١٨٩ – ٥ ص١٧٢ ص٢٢٥ ص٢٣٩ – فواصل الجمان .

١٥٤) السراج (١٢٦٤ هـ) :

الفقيه العالم الطالب بن عبد الرحمن السراج . كانت له بالقرويين وبغيرها مجالس علمية حافلة . السلوة ٣ ص٣٩ .

١٥٥) التلمساني (١٢٦٤ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن سعيد التلمساني ، قدم الى فاس وعقد فيها مجالس انتفع بها جماعة من نجباء طلبة الوقت . السرب ٢١٠ ، السلوة ٣ ص٧٨ .

١٥٦) الحمومي (١٢٦٦ هـ) :

أبو عبدالله محمد بدر الدين بن الشاذلي الحمومي . أخذ عن جماعة من الشيوخ بالقرويين – سلوه ١ ص ٧٨ ، اتحاف المطالع .

١٥٧) الرياحي (١٢٦٦ هـ) :

الأستاذ السفير أبو اسحاق ابراهيم بن عبد القادر الرياحي ، شيخ الجماعة بتونس . كان في جملة أساتذته بتونس : العلامة الشيخ محمد الفاسي (ت ١٢٣٢ هـ) الذي وفد على تونس . لما ورد الشيخ الرياحي سفيراً لبلاده ، لدى المغرب عام ١٢١٨ هـ ، وجهه السلطان المولى سليمان لزيارة القرويين للتعرف على قادتها ، وهناك كانت له مناظرة مع الشيخ عبد السلام حركات :

لقيه الشيخ أبو إسحــاقِ • عالم تونس سنا الرفـ ــاقِ
وحضر الدرس له بفــاسِ • فأورد الاشكال في إئتِنَاسِ

الاتحاف ٥ ص ٣٥٨ – ٣٦٠ .

١٥٨) ابن عجيبة (١٢٦٦هـ) :

أحمد بن محمد بن عجيبة ، من علماء تلكوات له ازهار البستان في طبقات الاعيان . وتفسير القرآن – في ثمان مجلدات ، وفهرست أشياخه : اليواقيت الثمينة – الاعلام ٢٣٤ .

١٥٩) الحبابي (١٢٦٧ هـ) :

محمد بن الطاهر بن أحمد الحبابي ، الاستاذ الموقت المعدل مزوار الموقتين لمنار القرويين ، صنع الرخامة المبسوطة بسطح الجامع قبالة الداخل اليه من الغريفة ، السلوة ٢ ص ٣٦٠ – فواصل الجمان ص ٤٠ .

١٦٠) الكردودي (١٢٦٨ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن عبد القادر الكردودي ، علامة كبير له تآليف عديدة منها كشف الغمة ببيان ان حرب النظام حق على هذه الأمة . مقدمة التحفة السنية بقلم حفيده أحمد الكردودي ص ١٠ .

١٦١) الشدادي (١٢٦٩ هـ) :

القاضي عبد الرحمن بن أحمد الشدادي . سلوة ١ ص ١٣٠ ، اتحاف المطالع لابن سودة .

١٦٢) العباس بن كيران (١٢٧١ هـ) :

العباس بن محمد بن كيران ، من أبناء القرويين وعلماء فاس تولى القضاء بمكناس ، وبها ادركته الوفاة . درس على المشايخ : ابن سودة ، والزوالي ، وابن منصور . الكتاب الذهبي ص ١٥٣ .

١٦٣) المولى عبد الهادي العلوي (١٢٧٢ هـ) :

القاضي شيخ الاسلام مولاي عبد الهادي بن عبدالله العلوي ، واليه وجه السلطان المولى عبد الرحمن الظهير الخاص باصلاح نظام التدريس بالقروين ، وكان ثاني ظهير بعد الذي أصدره السلطان سيدي محمد بن عبدالله كان بصيراً بالمذهب المالكي ، ضابطاً لقواعده ، عارفاً بصناعة الاحكام ، جماعاً للدواوين . له شرح على تيسير الوصول الى

جامع الأصول لابن الديبع وهو الذي أشرف على جمع حوالة الأوقاف بمحضر الناظر علال الشامي . السرب ٢٦ ، سلوة ١ ص ١١٧ – الدرر الفاخرة ص ٧٩ – ٨٠ – ٨٦ .

١٦٤) الطالب بن الحاج (١٢٧٣ هـ) :

القاضي الخطيب محمد الطالب بن الحاج ، علامة مشارك مكب على اقتناء العلوم . كان بيده كرسي خصة العين ، وقد تلى ظهير تعيينه من قبل المولى عبد الرحمن على منبر القرويين . سلوة ١ ص ١٥٧ .

١٦٥) ابن عبد الرحمن الحجرتي (١٢٧٥ هـ) :

شيخ الجماعة أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي . كان يحضر مجالسه الجم الغفير ، وخاصة كبار الطلبة ، وقد رفض خطة القضاء مفضلاً مهمة التدريس . السرب ص ٢٩ : خلال حزولة ٤ ص ١٩٨ – ١٩٩ .

١٦٦) ابن السنوسي (١٢٧٦ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن علي بن السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية . ولد بمستغانم (الجزائر) ، ولم يلبث ان التحق بفاس من ١٢٣٦ هـ الى ١٢٤٥ هـ حيث أخذ يدرس بجامعة القرويين على علمائها الأعلام ، وتصوف على يد القطب الشيخ عبد الوهاب التازي ، أخذ أيضاً عن الشيخ بن إدريس ١٢٥٣ هـ ، ثم رحل الى المشرق ، ظل على صلة برجال القرويين يجيزهم ويستجيزهم ، وأقام اخيراً في برقة حيث كان له الفضل الأكبر في تصفية النفوس . له مؤلفات عدة منها : الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة (مخطوط وقفت على جله) ، والدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية ، وقد أدركته الوفاة في واحة الجغبوب على مقربة من طبرق . حاضر العالم الاسلامي ١ ص ٢٧٧ – دائرة المعارف الاسلامية ج ١٢ ص ٢٩٢ – الاعلام ٧ ص ١٩٢ ، مجلة المغرب عدد سبتمبر ١٩٣٢ – منصور المحجوب بين جامعة القرويين وجامعة بن السنوسي ، الكتاب الذهبي ص ١٩٧ . الكتاب الذهبي ص ١٧٢ .

١٦٧) المرنيسي (١٢٧٧ هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد المرنيسي ، علامة مشارك . كان كثيراً ما يمزح مع الطلبة ، ويلقي عليهم ما يدخل السرور والرفاه عليهم . يحضر مجلسه العلماء واعيان الطلاب ، توفي فجأة في جامع اللبارين . السرب ، السلوة ١ ص ٢٥٩

١٦٨) الزمّوري (١٢٧٩ هـ) :

الأديب المعروف عبد السلام بن محمد الزمّوري ، شاعر مجيد . له ديوان شعر ، وله نظم في « الأتاي » « التاي » آداب شربه ومنافعه ، من أطرف ما يقرأ :

وشربه مع الشواء والكبــابْ   يفتح للصحة منه ألف بـاب
إلا إذا كان الطعـام كسكسِيا   فـكـل من أخره فقـد أسا !

١٦٩) الساموكني (١٢٨٠ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن ابراهيم الساموكني ، نزيل اكلو ، رفيق الشيخ ابراهيم محمد الاكراري ، من الأسرة الأكرارية الطافحة بالعلماء . علماء من سوس بفاس . الكتاب الذهبي ص ١١٧ .

١٧٠) التازي (١٢٨٣ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن محمد التازي الملقب (مسْواك) . كان له كرسي بالقرويين . وهو أول من عرف مدرساً بجامع

الرصيف . أخذ عن عدد كبير من الشيوخ . سلوة ١ ص ٢٦٢ ديلمان : فاس وجامعتها .

١٧١) ابن عبد الصادق (١٢٨٥ هـ) :

أبوالحسن الحاج علي بن عبد الصادق . تلقى علمه في جامعة فاس عن عدة مشايخ ، فيهم : أبوالحسن التسولي ، والعربي الزرهوني ، وعبد القادر الكوهن ، ومحمد بن أحمد السنوسي . إيقاظ السريرة ص ٩٣ - ٩٤ .

١٧٢) العراقي (١٢٨٦ هـ) :

أبوالعباس أحمد بن محمد العراقي ، خطيب الضريح الإدريسي وإمامه بعد الشيخ الوليد العراقي (ت ١٢٦٥ هـ) وقبل الشيخ أحمد بن الطالب والعراقي هذا هو صاحب الفتوى حول مساهمة الرعية في تحمل أعباء المبالغ التي اقتضاها صلح تطوان مع اسبانيا عام ١٢٧٦ هـ . بن سودة ١٣٢١ نوازل الوزّاني ١ ص ٣٤١ . الدرر الفاخرة ص ٤٨ - ٤٩ ، تاريخ المغرب الدبلوماسي .

١٧٣) اللجائي (١٢٨٩ هـ) :

الفقيه الشيخ الغالي بن محمد العمري الجاي ، علامة مشارك . له كتاب دوحة المجد والتمكين ، وكتاب الفجر الصادق المتلاءلئ ومضض السياط ، وكتاب إبطال الشبه ورفع الإلتباس . (إتحاف المطالع لابن سودة) .

١٧٤) محمد الرابع (١٢٩٠ هـ) :

الملك محمد بن عبد الرحمن العلوي، عالم. له فضل على القرويين في توجيه البعثات الى الخارج. وهو الذي عمل على تعريب مؤلفات في علم الفلك. الدرر ص ٩٤-٩٥، مجلة المغرب نوفمبر ١٩٣٦ د. التازي عن الترجمة العلمية ايام العلويين : الاكاديمية.

١٧٥) الرندة (١٢٩٠ هـ) :

القاضي عمر بن عبد القادر الرندي أستاذ مدرس ، له تآليف عدة ، منها : كتاب (جامع النوازل) . سلوة ٢ ص ٣٦٨ .

١٧٦) اكنسوس (١٢٩٤ هـ) :

الفقيه الوزير أبوعبدالله محمد اكنسوس السوسي المراكشي ، غادر بلاده الى القرويين لتكميل دراسته العليا وتحسين معارفه ، وصاروزيراً للمولى سليمان وكاتباً ، وهوصاحب كتاب (الجيش العرموم) . من شعره قصيدة الى باي تونس على لسان السلطان المولى عبد الرحمن . Les historiens des Charfas P.200 ، استقصا ٩ ص ١٦١ ، فواصل الجمان ص ٧ ، دعوة الحق مارس ١٩٦٧ - زمامة : دعوة الحق مارس ١٩٦٧ ص ١٢١ .

١٧٧) المهدي بن سودة (١٢٩٤ هـ) :

القاضي الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة ، صاحب الحاشية على جمع الجوامع والحاشية على شرح السلم في المنطق . وأستاذ المجالس الملكية . سلوة ج ١ ص ٣٠٣ - الدرر الفاخرة ص ١٠٩ .

١٧٨) الحاج إدريس بن إدريس (١٢٩٦ هـ) :

السفير الكاتب الاديب الشاعر الحاج إدريس بن محمد بن ادريس العمراوي السالف ذكره (١٢٦٤ هـ) من خريجي جامعة القرويين ، وجهه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن - في بداية دولته ١٢٧٦ هـ - سفيراً الى فرنسا ، ثم الى أسبانيا . له آثار ، منها : كتابه تحفة الملك العزيز في الرحلة لباريز. الاتحاف ٢ ص ٣٣ - ٢ ص ٥٢٢ ، الدرر الفاخرة ص ١٢٠

١٧٩) ابن المدني بن جلون (١٢٩٨ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن المدني بن علي بن جلون ، تلقى دروسه في القرويين ، وصار من علمائها الاعيان ، والتحق بمدينة الصويرة قاضياً لها ، ومدرساً في جوامعها ، الى أن عاد الى بلاده فاس . سلوة ٢ ص ٣٦٣ – ايقاظ السريرة في تاريخ الصويرة .

١٨٠) الحبابي (١٢٩٨ هـ) :

الموقت المعدل عبد القادر بن محمد بن الطاهر الحبابي مزوار الموقتين بمنار القرويين ، تولى التوقيت بعده أخوه إدريس سلوة ٢ ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

١٨١) القاضي المدغري (١٢٩٩ هـ) :

القاضي أبو عبدالله مولاي مَحمد (فتحا) بن عبد الرحمن العلوي المدغري . كان آية في الحفظ والاتقان والتحرير ظلّ قاضياً نحواً من عشرين سنة . السرب ٤٠ ، سلوة ١ ص ٢٠٥ .

١٨٢) الفاسي (١٢٩٩ هـ) :

الخطيب عبد الكبير بن المجذوب الفاسي ، خطب بالقرويين – (مخطوط الخزانة رقم ٣٣٥٤) اتحاف المطالع لابن سودة .

١٨٣) الدويري (١٣٠٢ هـ) :

أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد الدويري ، من علماء فاس وفقهائها . الاعلام ، سلوة ٢ – ٢٥٦ اتحاف المطالع.

١٨٤) الشيخ كنون (١٣٠٢ هـ) :

الحاج محمد بن المدني كنون شيخ الجماعة عالم فاس والمغرب كان له مجلس حافل بالقرويين . وله اختصار حاشية الرهوني . سلوة ٢ ص ٣٦٤ ، الاعلام ٧ ص ٣١٣ ، المعسول المجلد ١ ص ٢١٨ .

١٨٥) الساحلي (١٣٠٣ هـ) :

أبو العباس أحمد بن ابراهيم السملالي الساحلي ، من الأسرة العلمية المشهورة التي تدين لرجال القرويين . المختار السوسي : علماء من سوس في فاس (الكتاب الذهبي ١١٧) .

١٨٦) الحرشاوي (١٣٠٦ هـ) :

أبو المكارم العلامة محمد الحرشاوي الندرومي . ارتحل من الجزائر الى فاس ، فحضر مجالس القرويين العلمية ، ونال منها ما فتح الله به ، فأصبح من علماء الجزائر المبرزين . له (كتاب الأكياس في جواب الأسئلة عن كيفية التدريس بفاس) ، وعلى هذا الكتاب اعتمد ديلفان في كتابه عن فاس وجامعتها . تعريف الخلف برجال السلف ٢ ص ٣٥٨ .
Fas et son Université

١٨٧) صالح التادلي (١٣٠٧ هـ) :

الحاج صالح بن المعطي التادلي ، من كبار العلماء في القرويين ، ومن أواخر الذين كانوا مختصين بكرسي التنجيم . كان امتحنه الشيخ المهدي بن سودة بأمر من السلطان محمد الرابع ، فكان مما ورد في تقرير القاضي : امتحنته فيما أعرف من العلوم ، فأفاد وأجاد ، ولم أمتحنه في الحساب والفلك والتعديل ، لأنني لا أحسنها ، وقد ترجمه سبطه الأستاذ

المرحوم محمد السراج ، مركز العلماء – الكتاب الذهبي ١٥٢ / ١٢ .   Hes. 1932 Tame 12

١٨٨) الصنهاجي (١٣٠٩ هـ) :

أبوعبدالله محمد بن أحمد الصنهاجي الفقيه المدرس الشاعر الوزير. فواصل الجمان . . الاتحاف ٢ ص ٣٥٧ .

١٨٩) المزوار (١٣١٠ هـ) :

التهامي المكناسي الشهير المعروف بالمزوار ، الاديب الكاتب ، ممن تلقوا دروسهم بالقرويين . من شعره يمدح فتوى صدرت عن علماء القرويين :

لله در جواب زانــــه أدبُ — من أفق فاس أتى تحدو به النُّجُبُ
وثغره افترّ عن نُبل وعن حِكَم — نيطت بها قربُ سمت به رُتبُ
مزية أحـرزت فاس بسـابقة — وغادرت غيرها يبكي وينتحـب
وقادة العلمـاء المستضـاء بهم — فيها لقد أحسنوا فيما به كتبـوا

الاتحاف ٢ ص ١٠٦ ، فواصل الجمان ص ١٩٥ .

١٩٠) التادلي (١٣١١ هـ) :

أبو اسحاق ابراهيم بن محمد التادلي (الرباطي) . رحل الى فاس للدراسة فيها ، وكان يغتنم فرصة العطل بها فيتفرغ لدراسة علوم الفلسفة والموسيقى المسماة أندلسية ، على مشايخه فيها : الحاج حدو بن جلون ، ورشيد الجملي ، ومحمد الصبان ، والمكي محروش ، والحاج أحمد العسراوي . مظاهر يقظة المغرب الحديث ، البحث العلمي دجنبر ١٩٦٦ ص ٩٧ .

١٩١) الصقلي (١٣١١ هـ) :

أبو عبدالله محمد الفاطمي الحسين الصقلي ، الذي خمس وتربات جمال الدين البغدادي وقد طبع بفاس عام ١٣١٠ هـ . معجم المطبوعات ص ١٢١٦ – ١٦٨٥ – الاعلام للمراكشي ٣ ص ١٥٢ ، دعوة الحق دجنبر ١٩٦٠ .

١٩٢) الفاسي (١٣١٤ هـ) :

العلامة النحرير خطيب السلطان المولى الحسن ، أبو الحسن علال بن عبدالله بن المجذوب الفاسي . من مؤلفاته « إيقاظ السكارى المحتمين بالنصارى » أو (الويل والثبور لمن احتمى بالباصور) . السلوة ٢ ص ٣٠٢ ، الدرر الفاخرة ص ٩٥ – ١٠٥ .

١٩٣) شهبون (١٣١٥ هـ) :

أبو العباس أحمد شهبون من العلماء الجغرافيين المبرزين ، مُصَنِف كتاب الجغرافيا المغربية الذي يشتمل على صور وخرائط ، صورة الفلك ، وصورة الأرض ، وصورة فلك القمر ومنه نسخة في المكتبة الزيدانية المهداة الى المكتبة الملكية وقد سجل عليها : أنه كتب بفاس بتاريخ ١٣١٥ . الدرر الفاخرة ص ٩٥ – ٩٦ .

١٩٤) أحمد بن الحاج (١٣١٦ هـ) :

المؤرخ الضابط أحمد بن محمد بن الحاج ، صاحب الحاشية على المكودي ، والأزهري على الأجرومية ،

وصاحب التاريخ المسمى بالدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر مولانا الحسن . مجلة المغرب نوفبر ١٩٣٦ .

١٩٥) مولاي إدريس الفضيلي (١٣١٦ هـ) :

أبو العلاء إدريس بن أحمد الفضيلي ، العالم الأديب، له كتب « الدرر البهية » في مجلدين ، تكلم فيه على الأنساب بفاس ، وهو مطبوع على الحجر . (اتحاف المطالع) .

١٩٦) موليبراس (١٣١٧ هـ) :

في عداد الذين تهافتوا على فاس للاتصال بعلماء القرويين الذين تردد ذكرهم في تقارير الدبلوماسيين الأجانب على أنهم ، أي العلماء ، يظلون العرقلة الأساسية في طريق التغلغل الأوروبي باعتبارهم المرجع الاعلى لعاهل البلاد ، في عداد أولئك ورد موليبراس Moulieras سنة ١٩٠٠م (١٣١٧ هـ) فاجتمع في بيت مولاي علي الكثيري بالعالم « الفاناتيك » الشيخ بو بكر بناني ، والشيخ أحمد بن المأمون البلغيثي . Fes, Paris, 1920

١٩٧) عبد الواحد بن المواز (١٣١٨ هـ) :

القاضي عبد الواحد بن محمد بن المواز ، فقيه أديب . ولي قضاء محله السلطان المولى الحسن الاول ، وكتب للمحتسب الفقيه إدريس السراج، صحب السفير عبد المالك بن علي إلى فرنسا وحضر حفلات ١٤ يوليه ١٨٨٥ ،

١٩٨) احمد بن سودة (١٣٢١هـ)

من علماء فاس الذين يشار اليهم بالبنان، مارس التدريس والقضاء الى جانب اشتغاله بالعمل الدبلوماسي ولا ندري لماذا أهمل صاحب السلوة ترجمته، ومن حسن الحظ أن نجد له ترجمة في (الاتحاف) لابن زيدان ج ١ ص ٤٥٦ وقد وقفت في ارشيف الخارجية الفرنسية على تقرير عن الوزير الفرنسي فيرو نعته بأنه شخصية مهمة في المجتمع الفاسي. الحجوي : الفكر السامي ج ٤ ص ١٤٣

١٩٩) جعفر الكتاني (١٣٢٣هـ) :

الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني ، العلامة الحجة المحدث الشهير ، له حاشية على صحيح البخاري ، وأخرى على الترمذي ، وكتاب السرب المختصر في رجال القرن الحادي عشر ، وكتاب الدواهي المدهية للفرق المحمحية . وهو والد صاحب السلوة (ت ١٣٤٥ هـ) . الدرر الفاخرة ص ١١٦ .

٢٠٠) عبد السلام العلمي (١٣٢٣هـ) :

أبو محمد عبد السلام العلمي بن أحمد الموقت ، له مشاركة في العلوم ، وتخصص في التنجيم والهيئة والفلك والطب كذلك ، له: شرح على أرجوزة الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الوزكاني الوزاني (تحرير المواقيت) . كانت مرجعاً للطلاب بالقرويين، وضؤ النبراس في حل مفردات الانطاكي بلغه فاس ، والبدر المنير في علاج البواسير . وهو مخترع الآلة ذات الشعاع والظل. ماضي القرويين (المغرب) سبتمبر ١٩٣٢ ، مجلة المغرب نوفبر ١٩٣٦ ، وممن ذهبوا في بعثة للدراسة بالقاهرة . Hes 1932 T. 12

٢٠١) القاضي بن خضراء (١٣٢٤هـ) :

القاضي الفقيه الشيخ عبد الله بن الهاشمي بن خضراء ، السلوى الأصل ، آخر من سكن مصرية الإمام الخطيب من قضاة فاس . كان يجمع العلماء للتشاور في النوازل الصعبة . له عشر سنوات في فاس لم يتعرف فيها على بيت أحد ، وكان يقول : « المحكمة تجمعنا وهي تفرقنا » ، وكان يتصرف في كرسي الصومعة .

٢٠٢) مَحمد كنيون (١٣٢٦هـ)

مَحمد بن محمد بن عبد السلام جنون الملقب (كنيون) بالتصغير المستاري اصلا الفاسي مولدا وقرارا من بيت كنون الشهير بفاس نعت بانه تحفة الدهر وسعة افق. كان شغوفا بالعلم بعيداً عن حمأة السياسة هو الذي أحيى تدريس علم التفسير ردّا على اشاعة بعض القاصرين: ان ذلك يتسبب عنه موت السلطان ! وهو الذي تروى عنه قصة دخول سبطه عليه وهو يدرس بالقرويين طالبا إليه أن يصنع له (زمارة) فأوقف الدرس حتى ارضى صغيره! انقرض عقبه من الذكور الا ان عقبه العلمي لم ينقطع.. الفكر السامي للحجوي ج ٤ ص ١٤٥

٢٠٣) خليل الخالدي (١٣٢٦هـ) :

الشيخ خليل بن صالح الخالدي ، عالم مشارك . له نظم في رحلة السلطان المولى الحسن ، ومقامة في الفيل . نقل من فاس الى مكناس لتولى القضاء بها ، ولعل له صلة بالشيخ عمر الخالدي . سلوة ٣ ص ٣٤٩ .

٢٠٤) القاضي حميد بناني (١٣٢٧هـ) :

القاضي الفقيه الشيخ حميد بن محمد بناني ، علامة مشارك . تولى القضاء في مقصورة الرصيف أكثر من عشرين سنة ، كان خلالها مثال النشاط في العلم . وله مؤلفات كثيرة . الدرر الفاخرة ص١٠٧ ، إيقاظ السريرة ص١٠٢ .

٢٠٥) بوجيدة الفاسي (١٣٢٨هـ) :

الخطيب الفقيه الشيخ بوجيدة بن عبد الكبير الفاسي ، خطيب منبر القرويين بعد والده ، وربما ناب عنه ابن عمه عبد الرحمن ، وقد خلفه عليه بعد وفاته ولده الشيخ إدريس الفاسي الذي حضرناه .

٢٠٦) القاضي الهواري (١٣٢٨هـ) :

القاضي أبو محمد عبد السلام الهواري، مطالع مشارك. تولى قضاء فاس، السماط، والرصيف على عهد السلطان مولاي عبد العزيز، له مؤلفات عديدة وقد تخرج عليه عدد من الفقهاء والعلماء الدرر الفاخرة ص ١١٦.

٢٠٧) الايراري (١٣٢٩هـ) :

أبوعبد الله محمد بن محمد الإيراري الفقيه الموسيقي الذي استمر يعطي دروس الموسيقى بظهر صومعة القرويين شأن الأستاذ البوعصامي (ت ١١٣٩ هـ) الى آخر العقد الثالث من هذا القرن .

٢٠٨) الزريعي (١٣٣٥هـ) :

أبوالعباس أحمد الزريعي . ألفِي من العلماء في احصاء ١٣٣٢ عند انتخاب أول مجلس علمي لجامعة القرويين ، وبعد تنقيح قائمتهم وجعلهم أربع مراتب إثر مداولات المجلس المذكور في أثناء شهر رجب من السنة المذكورة ، أثبتت في المرتبة الرابعة . السراج : (مخدود) التراجم .

٢٠٩) المشرفي (١٣٣٦هـ) :

محمد بن المصطفى المشرفي ، فقيه علامة ، أديب شاعر . ألفي في قائمة علماء الجامعة ، وبعد تنقيح قوائمهم

سنة ١٣٣٢ هـ أدرج في الدرجة الأولى .

٢١٠) أحمد البوعزاوي (١٣٣٨هـ) :

أبو العباس أحمد بن المهدي البوعزاوي ، من الأسرة المعروفة بابن العباس ، ممن أدرجوا في المرتبة الثانية ، وعين في السنة ١٣٣٢ نفسها احد ناظري خزانة الكتب الكبرى بجامعة القرويين .

٢١١) العباس التازي (١٣٣٨هـ) :

الفقيه العلامة المطلع العباس التازي .كان في عداد العلماء عند انتخاب اول مجلس علمي لجامعة القرويين ، وبعد تنقيح قائمة السادة العلماء وجعلهم أربع درجات في مداولات المجلس في اثناء شهر رجب من السنة المذكورة ، ثبت في المرتبة الأولى ، وبقي فيها مشتغلاً بالافتاء والتدريس بكرسي العنزة . ابن سودة : اتحاف المطالع ، تراجم العلماء للسراج .

٢١٢) التازي (١٣٣٩ هـ) :

الفقيه العدل أبو العباس أحمد بن محمد (فتحا) التازي اخ الامين موخا التازي وزير المالية ، الفاسي الاصل الرباطي الدار بعد ان اخذ في الرباط عن بعض المشايخ أقام بفاس لدى عمه الحاج محمد حيث اخذ بالقرويين عن جماعة قبل ان يعود الى الرباط . وقد اجازه المشايخ : البطاوري وابراهيم التادلي وعبد القادر لوباريس وبنعيسى بن أحمد بن مسعود .

عبد الهادي التازي – عائلة التازي الملقبة موخا . . الاتحاف ١ ر٣٣٧ – زهرة الآس في بيوتات فاس مخطوط بالخزانة العامة رقم ١٢٨١ / ٥ .

٢١٣) الغزاوي (١٣٤٠ هـ) :

الفقيه العلامة الحيسوبي الفلكي ، أبو عبدالله محمد بن علي الغزاوي ممن أدرجوا في المرتبة الثانية بعد عمليات التنقيح ، من آثاره : تصحيح نوازل بن هلال ، المطبوعة عام ١٣١٥ هـ ، ويعد من أواخر من صنعوا الأسطرلاب بفاس ، وقد حمل اليه محمد بن الكعاب الودي (ت ١٣١٠ هـ) أحد طلبتنا الذين أموّا فرنسا في البعثة التي أرسلها المولى الحسن الأول ، حمل اليه جداول اللوغاريتم فاتقنها جيداً بحسب شهادة Salmon وقد اعتذر للأمين التازي موخا الذي دعاه للعمل في المالية مفضلاً مجالسه العلمية والسكنى بداره في البليدة . السراج : التراجم . 1932 Tome 12

٢١٤) الولي (١٣٤٠ هـ) :

أبو العباس أحمد الولي ، الفقيه العلامة ، ممن أدرجوا في المرتبة الثالثة لعلماء القرويين .

٢١٥) أحمد بن المواز (١٣٤١ هـ) :

أبو العباس أحمد بن عبد الواحد بن المواز الناظم الناثر ، له : «كتاب الطليعة الجلية على نظم الدلالة الكلية في الأحكام الفلكية » ألفه عام ١٣٢٨ هـ « وكتاب النفائس الإبريزية في هدية الفيل الوافدة من فخامة الحضرة الانجليزية توفي عن رياسة المجلس الشرعي بالرباط ، الدرر الفاخرة ص ١٢٢ .

٢١٦) المهدي الوزاني (١٣٤٢ هـ) :

المهدي الوزاني ، الفقيه العلامة النوازلي ، ممن أدرجوا في المرتبة الأولى عند بداية النظام ، واستمر مشتغلاً بالتأليف والإفتاء والتدريس . ومن مؤلفاته شرح منظومة ياقوتة الأحكام ، في أربع مجلدات ، بأمر من السلطان المولى عبد الحفيظ الدرر الفاخرة ص ١٢٢ .

٢١٧) ابن الحاج (١٣٤٣ هـ) :

المهدي بن بوكبور بن الحاج السلمي ، أدرج في المرتبة الرابعة في سابع جمادى الأولى عام ١٣٣٧ هـ بعد امتحان الانخراط ، واستمر يجمع بين التدريس في المدرسة الثانوية الإدريسية التي أحدثت في أبي الجنود ، القاء الدروس في جامعة القرويين . المصدر السابق .

٢١٨) التزناقتي (١٣٤٣ هـ) :

محمد بن أحمد الفيلالي التزناقتي ، فقيه علامة ، أدرج في المرتبة الرابعة بعد أن أدى امتحان الدخول في العالمية ، ونجح فيه بحسب الوارد وزارة العدلية بتاريخ ٣ المحرم ١٣٤٣ هـ ، وقد أدركته الوفاة في حادثة سيارة ، وهو أول عالم بالمغرب توفي كذلك . راجع المصدر ٥٢٢ - ٥٤٢ .

٢١٩) أحمد بن الخياط (١٣٤٣ هـ) :

أبو العباس أحمد بن الخياط الزكاري ، شيخ الجماعة ، ورئيس المجلس العلمي بالنيابة أولاً عن الفقيه محمد ابن الحسن الحجوي (١٣٧٦ هـ) وبالأصالة أخيراً بعد اعتذار الشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري ، فقيه علامة مشارك من أصحاب الطبقة الأولى لعلماء الجامعة ، والى جانب رئاسته هذه كان يدرس الشيخ خليل ممن عهد اليهم السلطان . الدرر الفاخرة ص ١٢٢ - التراجم للسراج .

٢٢٠) الفاطمي الشرادي (١٣٤٤ هـ) :

الفاطمي الشرادي ، ممن أثبتوا في المرتبة العلمية الأولى . اقبل على التدريس وإفادة الطلاب ، ومضى فترة في عضوية المجلس العلمي . المصدر السابق .

٢٢١) بناني (١٣٤٤ هـ) :

محمد بن محمد بن الحاج عبد القادر بناني ، ممن عينوا بالمرتبة العلمية الأولى لمكانته العلمية ، اشتغل بالتدريس والتقييد والتأليف والإمامة في مسجد الديوان . السراج .

٢٢٢) الهرابلي (١٣٤٤ هـ) :

علال بن الفاطمي الهرابلي . انتخب عضواً من أهل المرتبة الثانية ، ثم صار ناظراً معيناً لشيخ القرويين في مهمته ، ثم عين عضواً في مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى ، ثم قاضياً بطنجة ، ثم تازة حيث أدركته الوفاة - السراج : التراجم

٢٢٣) السليماني (١٣٤٤ هـ) :

محمد بن الأعرج السليماني ، العالم الأديب المؤرخ ، ممن أدرجوا في سلك المرتبة الثانية ، وظل مشتغلاً بالمطالعة والتأليف وقرض الشعر. المصدر السابق .

٢٢٤) ابن الطالب الفاسي (١٣٤٥ هـ) :

الخطيب محمد بن الطالب الفاسي ، فقيه علامة مدرس ممن أدرجوا في سلك المرتبة الأولى عند بداية النظام ، وبقي مشتغلاً بالتدريس والإمامة والخطابة في جامعة القرويين .

٢٢٥) ابن جعفر الكتاني (١٣٤٥ هـ) :

الإمام عبدالله الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ، من كبار علماء القرويين . له : «كتاب النصيحة كتبه للسلطان المولى عبد العزيز» وقد شرحه عالم الرباط الشيخ المدني بن الحسني في أربعة أسفار ، وكان ملاذ المجاهدين في الحروب الريفية . وقد هاجر بأهله الى المشرق – اتحاف المطالع .

٢٢٦) البلغيثي (١٣٤٨ هـ) :

القاضي الفقيه العلامة المشارك الأديب اللامع ، أبو العباس أحمد بن المأمون البلغيثي ، ممن أدرجوا منذ البداية في الدرجة الاولى للعلماء لشدة إقباله على التدريس والتأليف ، وقد ولي القضاء في كبريات مدن المغرب : البيضاء – مكناس – الصويرة ، كما تولى عضوية مجلس الاستئناف الشرعي . له عدة مؤلفات في مختلف الفنون ، منها : الابتهاج بنور السراج ، شرح فيه منظومة القاضي الأديب العربي المستاري في آداب طالب العلم في مجلدين ، طبع بمصر . مقدمة تأليف تشنيف الاسماع ، الدرر الفاخرة ، التراجم للسراج – تاريخ أسفي وما اليه (القسم الثاني) إيقاظ السريرة ص ١٤٣ – ١٤٤ .

٢٢٧) عبد الله الفاسي (١٣٤٨ هـ) :

القاضي الشيخ عبد الله الفاسي كاتب سر السفارة المغربية الى فرنسا أيام السلطان المولى عبد الحفيظ ، له عدة مؤلفات وقد ألف في ترجمته نجله الأستاذ محمد العابد الفاسي محافظ خزانة القرويين الكبرى . . .

٢٢٨) عبد الله السنوسي (١٣٥٠ هـ) :

عبد الله بن إدريس بن محمد السنوسي ، العلامة الحافظ الحجة السلفي ، أول من تظاهر بالأفكار الحرة والاعتقاد الصحيح بالمغرب كان ممن نقلوا أفكار السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده الى المغرب . علال الفاسي : بمناسبة مرور أربعين عاماً على جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، العلم ١٠ يوضية ١٩٧٠ .

٢٢٩) أحمد بن الجيلالي (١٣٥٢ هـ) :

أبو العباس أحمد بن الجيلالي الامغاري ، علامة مشارك ، شيخ الجماعة ، تولى رئاسة المجلس العلمي ، وتنازل عنها للشيخ ابن الخياط – المصدر السابق .

٢٣٠) السرغيني (١٣٥٤ هـ) :

عبد السلام السرغيني ، من العلماء الذين تولوا التدريس للنشئ الجديد في ثانوية مولاي إدريس ، له محاضرة مطبوعة ، ويعد من الشخصيات المتطورة التي كان لها فضل على إلهاب حماسة الشباب .

٢٣١) الحسين العراقي (١٣٥٤ هـ) :

الفقيه الجليل الشيخ الحسين بن محمد بن الوليد العراقي الحسيني الكربلائي . كان كثير التدريس والفائدة ، ممن

انخرطوا في نظام القرويين منذ نشأته . له تآليف منها ، المناطيد الجوية في الرد على المقالات الحجوية ، وهو من أوائل الشيوخ الذين حضرت دروسهم مع والدي في ضريح سيدي عبد الرحمن المليلي بين العشاءين ، نموذج من حياة (القسم الاول) .

٢٣٢) أبو شعيب الدكالي (١٣٥٦ هـ) :

الشيخ أبو شعيب الدكالي . ولد في الصديقات من دكالة ، ثم سافر الى مصر ، وعاد الى المغرب فاتصل بالسلطان المولى عبد الحفيظ ، وهو خليفة بمراكش عن أخيه ، ثم رجع الى المشرق . كان زعيم السلفية في وقته بعد السنوسي السالف ذكره . وقد ألقى أول درس من صحيح الإمام البخاري بجامعة القرويين ، وكان مصحوباً بقاضي الجماعة الشيخ محمد بن رشيد العراقي على الكرسي الذي كان يمين المحراب . وقد زار فاساً مراراً ، وأة عليه العلماء والطلبة . وبعد تنازل السلطان مولاي حفيظ ولي الشيخ وزارة العدل .

٢٣٣) القاضي ابن القرشي (١٣٥٨ هـ) :

القاضي الشيخ ابو زيد عبد الرحمن بن القرشي الإمامي شيخ الجماعة. تولي القضاء بمقصورة الرصيف، وكان احد الذين ناهضوا السياسة البربرية، اتحاف المطالع.

٢٣٤) عبد الواحد الفاسي (١٣٦١ هـ) :

عبد الواحد بن عبد السلام الفهري ، علامة مشارك مطلع . تولى القضاء والعضوية بالمجلس العلمي بفاس ، ثم أقصي عن الجميع انتقاماً منه . وقد رثيته صباح اليوم الثالث من وفاته ودفنه خارج باب الفتوح بكلمة مؤثرة ، وكان ولده علال في المنفى بالكابون .

٢٣٥) الحسن الزرهوني (١٣٦١ هـ) :

الفقيه المفتي السيد الحسن بن محمد الزرهوني . كان مدرساً للفقه بالأقسام الثانوية . وقد كان من الطلبة الذين وردوا على القرويين من خارج فاس . ولما نبغ ، صاهره الشيخ أحمد بن الخياط بينته درسنا عليه مختصر الشيخ خليل . ولكثرة شغفه بمادته كان يردد بين الحين والآخر : « عليك بالفقهُ (ينطق بها ويرفع الهاء) ولو رفعتَ المجرور » .

٢٣٦) المولى عبد الله الفضيلي (١٣٦٣ هـ) :

الشيخ مولاي عبد الله بن ادريس بن أحمد العلوي الفضيلي ، علامة محقق . كان من الطبقة الأولى للعلماء بمقتضى ظهير ٢٦ ذي الحجة ١٣٤٨ هـ . وقد تولى رياسة المجلس العلمي (وهو من صدور مشايخنا بالقرويين) . درست عليه ألفية ابن مالك. وقد كان عالي العبارة ، جهوري الصوت ، مهيمناً على المجلس . نموذج من حياة (مضروب على الآلة الكاتبة) .

٢٣٧) القاضي سكيرج (١٣٦٣ هـ) :

أبو العباس أحمد بن الحاج سكيرج القاضي الشاعر الصوفي العلامة السفير صاحب كتاب الروضة اليانعة والثمرة النافعة في الميراث وله كتاب ارشاد المتعلم والناسي في أشكال القلم الفاسي المترجم الى الفرنسية عام ١٩١٧ من قبل E. Viala وله تنوير الافهام بختم تحفة الحكام والرحلة الوهرانية والمحمودية، والحجازية والسوسية وتاج الرؤوس ورياض السلوان فيمن لاقيت معه من

الاعيان والظل الوريف في محاربه الريف ونظم الشفا وكشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الاصحاب ورفع النقاب بعْد كشف الحجاب، وهو احد المغاربة المكثرين من التصنيف.
د. التازي : الرحلة المكية للقاضي أحمد سكيرج. بحث أعد لندوة الرحلات إلى الجزيرة العربية ١٤٢٠=١٩٩٩
Le Mécanisme au Partage des successions en droit musulman Hes : 1932 T. 14 Page 87 Note 2

٢٣٨) اقصبي (١٣٦٤ هـ) :

الشيخ محمد بن عبد المجيد أقصبي ، علامة مطلع كان يقصد دروسه نجباء الوقت . استدعاه الملك محمد الخامس لاقراء انجاله الامراء الكرام . له مؤلفات منها : اتحاف الفئة المتبقية لحل اقفال شرح الرسالة الفتحية في علم التوقيت في سفرين ، والنور اللائح في شرح ابن القاصح في القراءات ، وحاشية على شرح منية ابن غازي في الحساب العالي ، والمنح الوافية على الألفية . وقد ادركته الوفاة بمدينة الرباط . يظهر انه من ذرية الفقيه ابي الحسن أقصبي المتوفى ١٢٥٠ هـ . اتحاف المطالع .

٢٣٩) الصنهاجي (١٣٦٥ هـ) :

أبو الشتاء الصنهاجي الغازي علامة مشارك ، له تآليف على حاشية التاودي ، وآخر على اللامية ، وتأليف في الفرائض وكانت له لهجة خاصة ، لكن قصده لصميم المسألة كان مباشراً وهو غير الشيخ محمد الصنهاجي أخيه الذي كان أيضاً من أعيان العلماء . وقد عين أبو الشتاء ضمن الطبقة الثانية من العلماء ظهير ٢٦ حجة ١٣٤٨ ، الدُّرر الفاخرة .

٢٤٠) أبو الحسن علي الدرقاوي (١٣٦٥ هـ) :

أبوالحسن علي الدرقاوي ، علامة فاضل ،كان يعمل منذ الأيام الأولى في نظام القرويين ، وهو والد الأستاذ القاضي الشيخ رشيد الدرقاوي . . .

٢٤١) القاضي ابن أحمد العلوي (١٣٦٧ هـ) :

القاضي سيدي محمد بن أحمد العلوي ، احد قضاة فاس وأعلامها الأعلام .كان مهيباً غيوراً ، ممن كنت أراهم في بيوتهم بصحبة بعض أنجاله الذين كانوا رفقاء لي في الكُتاب ، له مؤلفات ، وقد أدركه أجله بمكناس . . .

٢٤٢) السائح (١٣٦٧ هـ) :

القاضي محمد بن عبد السلام السائح ، من مدينة الرباط . تولى القضاء بفاس ، وكانت له بالقرويين بين العشاءين مجالس علمية ذات مستوى عال ، يحضرها أعيان الطلبة ، وقد ترك ذكرا طيبا في البيآت العلمية ، واحتفظ هوكذلك بانطباعات عن المدينة عبر عنها في كتابه « تاريخ فاس » ، لازمته في هذه الدروس .

٢٤٣) ابن عبد القادر بن سودة (١٣٦٨ هـ) :

الشيخ محمد بن عبد القادر بن سودة ، كان أستاذاً للحساب في بعض الفترات ، وفي بعضها أستاذاً للحديث . وتولى الخطبة في مسجد سيدي أحمد الشاوي ، وكان له في العامة نفوذ قوي ، بالإضافة الى تقدير طلبته لصراحته وصلاحه .

٢٤٤) العمراني (١٣٧٠ هـ) :

أبو العباس أحمد بن محمد بن الخضر الحسني العمراني ، من علماء القرويين الذين استفاد منهم عدد كبير من

الطلاب الأوائل (درست عليه في القسم الابتدائي رسالة ابن أبي زيد) ، وكان سهل العبارة مليح الشارة . وإلى جانب دروسه بالقرويين كان يتطوع بالقاء دروس في بعض المساجد الفرعية .

٢٤٥) مَحَمَّدْ العلمي (١٣٧٣ هـ) :

الفقيه الشيخ مَحَمَّدْ (فتحا) بن محمد بن إبراهيم العلمي ، من أعلام القرويين في الرياضيات ، وكان يختص بتدريس الفرائض والتوقيت والتعديل ، مقتصراً على تآليفه في الموضوع ، ويمتاز بالدقة والموضوعية . كان مجلسه دائماً في مستودع ابن عباد . وقد كان له من قوة الشخصية ما جعله يكون مدرسة خاصة من الطلاب ممن يهتدي بهم المغرب الآن في فن التوقيت .

٢٤٦) ابن عبد السلام بناني (١٣٧٦ هـ) :

القاضي الشيخ محمد بن عبد السلام بناني . كان عمدة التدريس في الفقه وبخاصة في مختصر الشيخ خليل الذي كان يستحضر أطرافه . ويستوعب أبوابه . كان كرسيه في الركن الجنوبي الغربي من القرويين تحت الأسبوع الأعلى . وَلِّيَ رئاسة المجلس العلمي في بعض الظروف . ثم عين قاضياً بمدينة طنجة . ولكنه رجع الى فاس ، وبها أدركته منيته

٢٤٧) مزور (١٣٧٦ هـ) :

الشيخ الحسن بن عمر مزور ، علامة مفسر محدث . كانت له طريقة خاصة في تدريس التفسير ، تمتاز باستعراض جميع مايقوله المفسرون ورجال الحديث في الآية المقصود تحليلها ، متخلصاً من ذلك الى المقارنات ، ثم الى الاختبارات المفضلة . « وهو من العلماء الذين أخذت عنهم في الأقسام النهائية » .

٢٤٨) ابن الحاج (١٣٧٨ هـ) :

الشيخ مَحَمَّدْ (فتحا) بن عبد الكبير بن الحاج ، الملقب بالأعرج . كان أديباً عالي النفَس في تحقيقاته ، ترك طائفة من الطلاب الذين كانوا يقصدون درسه ، ويزورونه في بيته حيث ملتقى العلماء والفقهاء . له حاشية على المزهر للإمام السيوطي . لا أعرف مصيرها ، وهو غير الشيخ محمد بن أحمد بن الحاج (ت ١٣٦٤ هـ) الذي كان سَنَدي في صحيح الإمام البخاري ، وهو قريب للشيخ الطايع بن الحاج رئيس المجلس العلمي .

٢٤٩) العباس بن إبراهيم (١٣٧٨ هـ) :

العلامة المؤرخ العباس بن إبراهيم قاضي مدينة مراكش المشهور في بلده بالثعارجي ، درس بمدينة فاس بجامعة القرويين ، ويعتبر من المؤرخين اللامعين وهو صاحب كتاب الاعلام فيمن حل مراكش واغمات من الاعلام طبع منه خمسة مجلدات مخطوطة ، وصاحب كتاب اظهار الكمال في مناقب سبعة رجال ، والمقياس فيمن اسمه العباس والامتاع باحكام الاقطاع ، وهو والد صديقنا الدكتور يوسف بن العباس ، ابن الحسني : طبقات المؤلفين المغاربة .

٢٥٠) محمد الخامس (١٣٨٠ هـ) :

طيلة أربع وثلاثين سنة من ملكه ظلت القرويين بعلمائها وطلابها مشغلة له يرددها في خطبه ، ويدافع عنها في مجالسه ، جاعلاً منها المنطلق لكل جهاده ، وقد كان الاهتمام بها في مقدمة المؤاخذات التي آذنت بنفيه الى مجاهل المتاهات . ولما عاد منصوراً مظفراً صعد على منبرها التاريخي ، فكان بذلك ثاني ملك يرتقي المنبر للخطبة في المغرب بعد الإمام إدريس بن إدريس ، صعد ليقول : (إذا كان العهد البائد قد حال دون تحقيق كل المقاصد ، فإن هذا العهد الجديد سيزيل - بحول الله الموانع ، وييسير الى الدوافع .) .

فهرست المجلد الثالث

البـــاب الثالث

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

ملحق الباب الثالث



جامع القرويين



لوحات ورسوم

المجلد الثالث





رقم (٣٥٥) / ص ٦٥٦

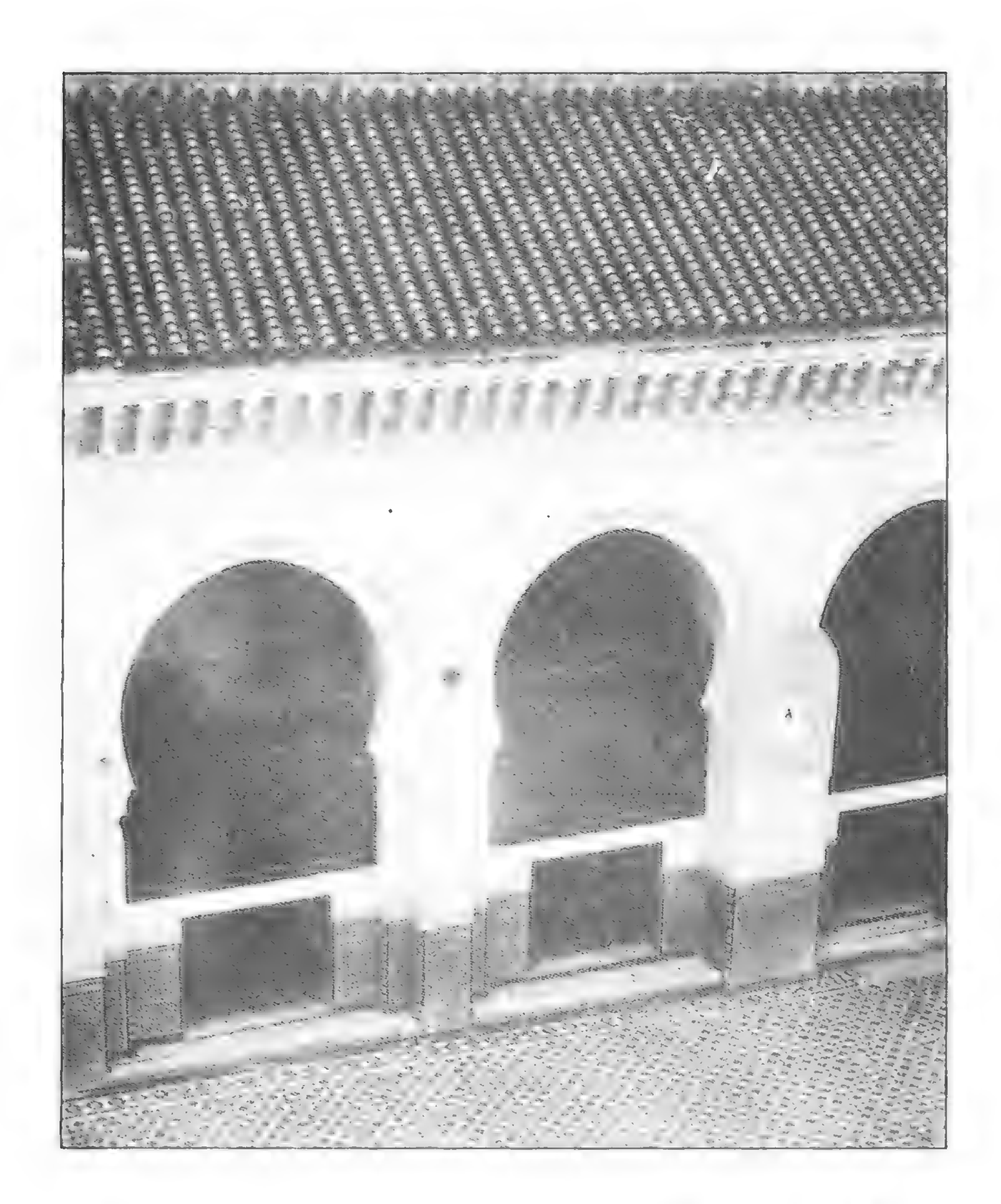
توسع الاقدمون في تحديد المنطقة التي يمكن للمسلمين ان يتوجهوا منها الى سمت الكعبة ، ولذلك نصبت المحاريب العتيقة على اساس متساهل ، لكن فكرة المتأخرين من العلماء تقوم على ضرورة مواجهة الكعبة ...

وهذا الرسم يبين مدى انحراف وضع المحراب في القرويين عن السمت : كان ينبغي أن يكون في محل السهم الموجود عن اليمين ولكنّه يوجد حيث السهم الذي في اعلى الرسم ، وهكذا فهو ينحرف كثيرا عن السمت لانه – تقريبا – في نهاية نصف الدور ومن اجل هذا رسم داخل المحراب شكل يشير لاتجاه مكة ...



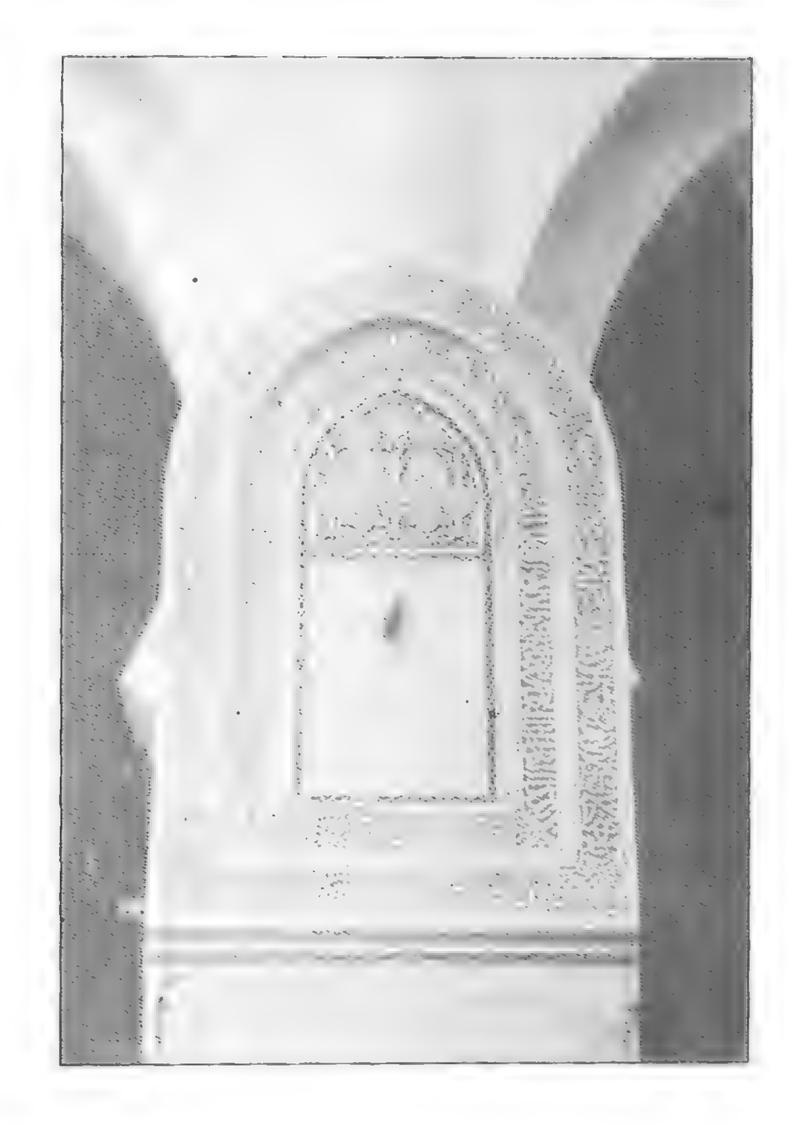
رقم (٣٥٦) / ص ٦٥٧

عندما نصب محراب مدرسة الحلفاويين في عهد المرينيين على اتم وضع حرّك ذلك فكرة اعادة بناء محراب القرويين التي كانت اثيرت في عهد المرابطين... وهذا رسم محراب المدرسة المذكورة.



رقم (٣٥٧) / ص ٦٦٠
جانب من صحن القرويين على المهد العلوي : النوافذ الثلاث التحتية اصبحت لمتوضأ جديد أنشيء عوض مستودع الزيت والمصابيح .. والنوافذ الفوقية للرواق الخاصّ بالنساء .. وترى الساعة الشمسية . . .

رقم (٣٥٨) / ص ٦٦٠
احدى الساعات الشمسية الدقيقة التي أنشأها الملك الحسن الاول على الجدار الشمالي للصحن، وقد صنعها المؤقت الجيلالي الرَّحالي. المكناسي.

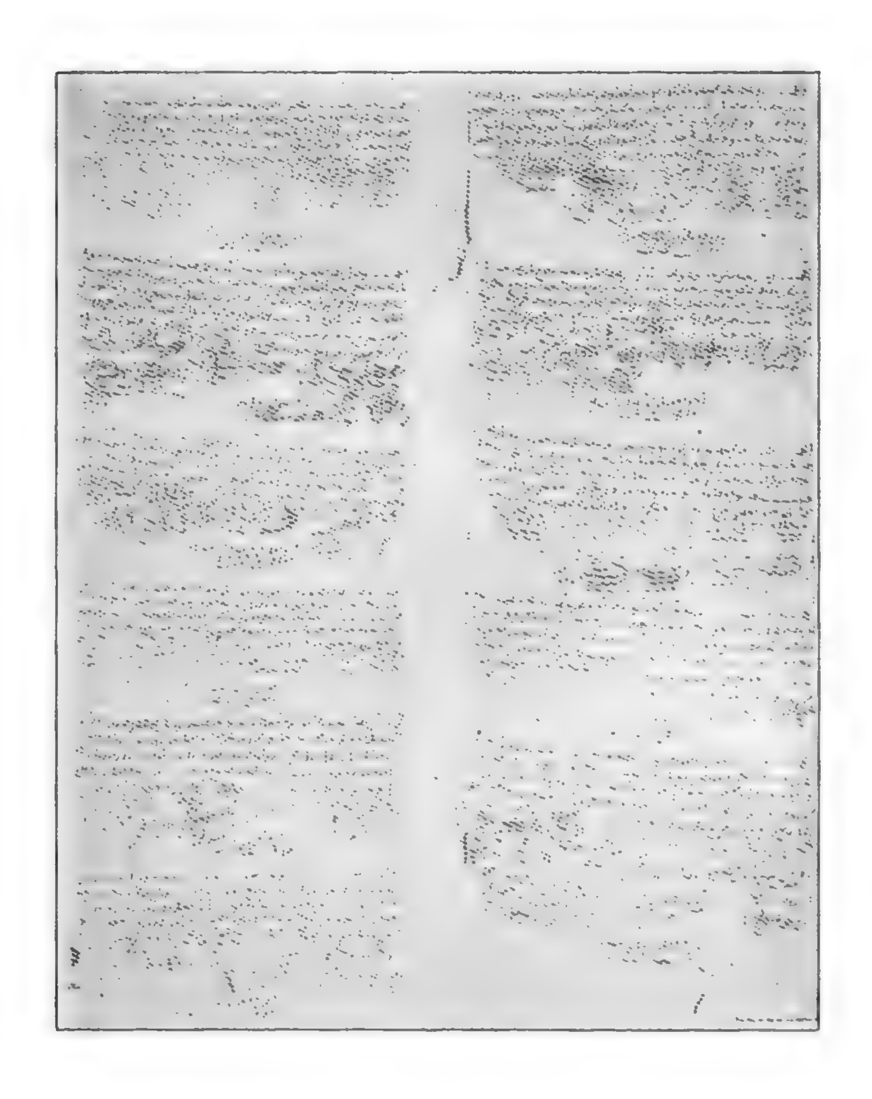


رقم (٣٥٩) / ص ٦٦٥
رسم قديم لمجلس القاضي، يرى الباب على اليسار في بداية الصورة، كما ترى النوافذ الثلاث.. وللمحكمة باب داخلي ينفذ للجامع - الرسم لكوندو ساطر يانو -.



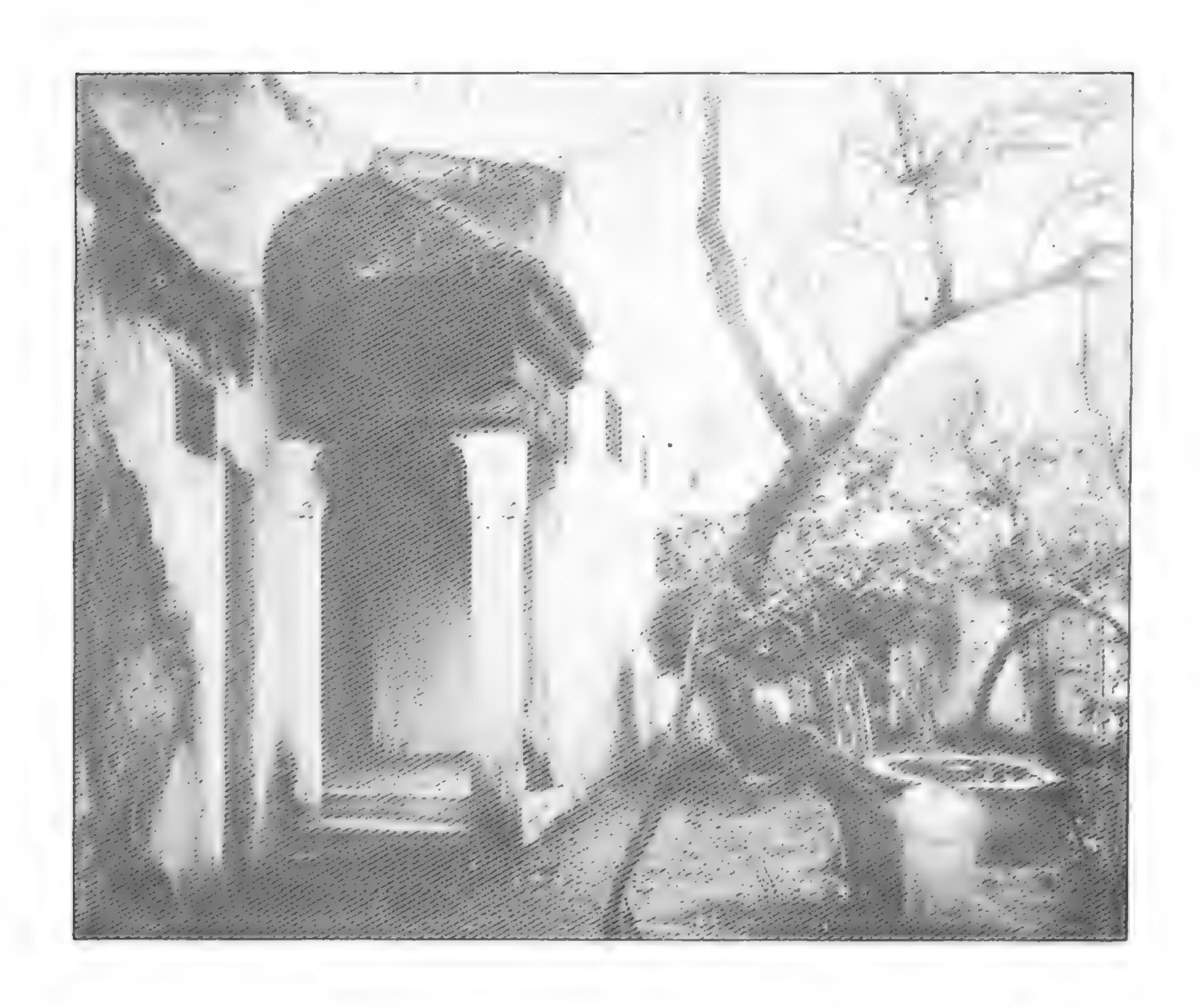


رقم (٣٦٠) / ص ٦٦٥
منظر آخر لجانب من مجلس القاضي الذي أسسه عام ١٢٢٠ السلطان المولى سليمان.

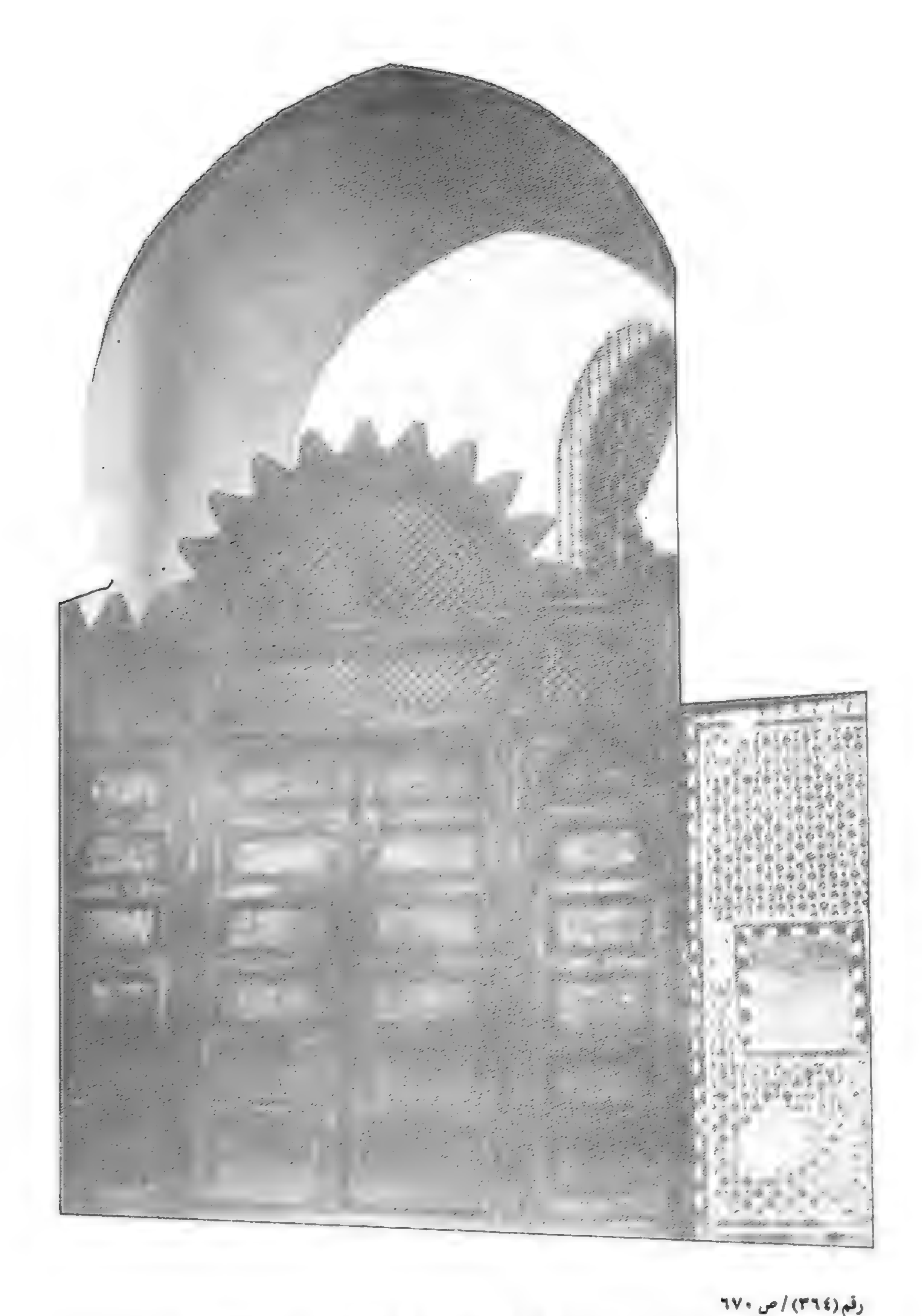


رقم (٣٦١) / ص ٦٦٨
احد المخطوطات الوثائقية التي حررت أيام العهد الاسماعيلي ، وهي عبارة عن نماذج من الشهادات العدلية بمراقبة استهلال الشهور طيلة أيام السنة ..

رقم (٣٦٢)/ص ٦٦٨
أحد المخطوطات التي اكتسبتها خزانة القرويين على عهد السلطان المولى عبدالله : رحلة الاسحاقي الى البقاع المقدسة في رفقة الامير سيدي محمد بن عبدالله الذي أصبح (محمد الثالث).

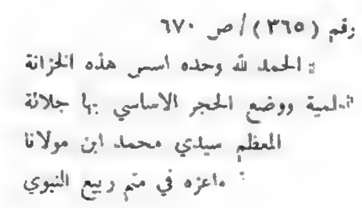


رقم (٣٦٣) / ص ٦٧٠
فتح باب اضافي لخزانة القرويين من جهة الحربة ؛ وذلك حتى يتسنى للزوار الاجانب ان يقفوا على الخزانة دون المرور عبر المسجد كما كان الحال في السابق .



رقم (٣٦٤) / ص ٦٧٠

وضع السلطان سيدي محمد بن يوسف يوم الخميس غرة ربيع الآخر عام ١٣٥٩ (٩ مايو ١٩٤٠) الحجر الاساس للخزانة العلمية الكبرى التي كانت امتداداً للخزائن العلمية التي أنشأها أبو عنان واحمد المنصور السعدي.. هذا باب الخزانة الكبرى قبالة مدرسة الصفّارين.



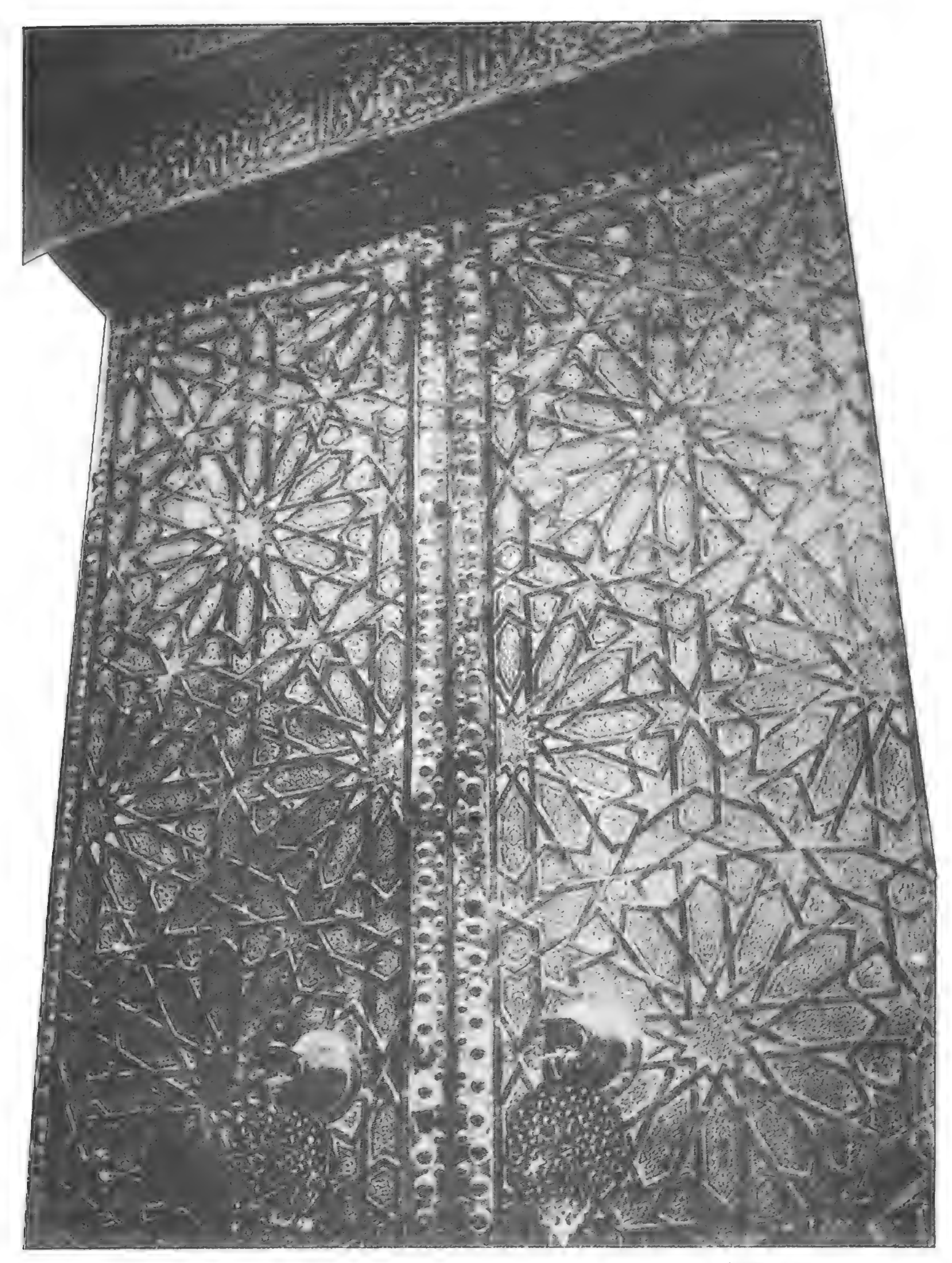
رقم (٣٦٥) / ص ٦٧٠
الحمد لله وحده اسس هذه الخزانة
العلمية ووضع الحجر الاساسي بها جلالة
المعظم سيدي محمد ابن مولانا
اعزه في متم ربيع النبوي



رقم (٣٦٦) / ص ٦٧٠
قبة قاعة المطالعة للخزانة العلمية
الكبرى التي انشأها بالقرويين الملك محمد
الثالث .



رقم (٣٦٧) / ص ٦٧٠
قاعة المطالعة للخزانة العلمية الكبرى بجامعة القرويين ...



٨٤٢

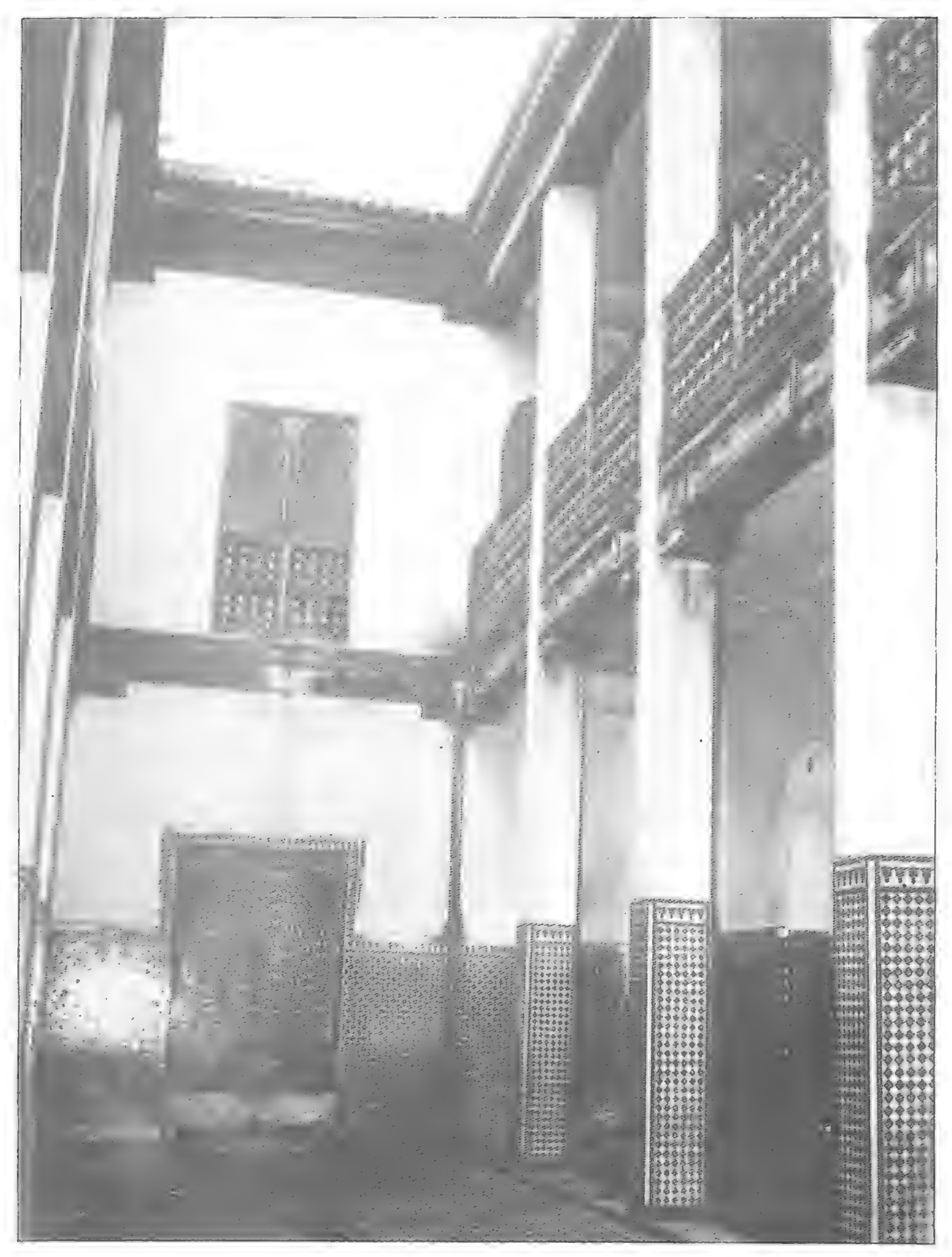
رقم (٣٦٨) / ص ٦٧١

الباب الرئيسي لمدرسة الشراطين التي شيدها السلطان المولى الرشيد مؤسس الدولة العلوية ، وقد كانت تشتمل على ٢٣٢ حجرة لسكنى الطلاب وهي لا تبعد عن جامع القرويين الا خطوات



رقم (٣٦٩) / ص ٦٧١

الجانب الاعلى من باب المدرسة التي أنشأها السلطان سيدي محمد بن يوسف عام ١٣٥٩ ﻫ لارضاء رغبة الطلاب المتزايدة وهي بالصفارين على مقربة من القرويين.



٨٤٤ رقم (٣٧٠) / ص ٦٧١

ركن داخلي من اركان المدرسة المحمدية ١٣٥٩ انها من طابق سفلي وآخر علوي،
وقد كانت تنفذ الى مدرسة الصفارين القديمة.

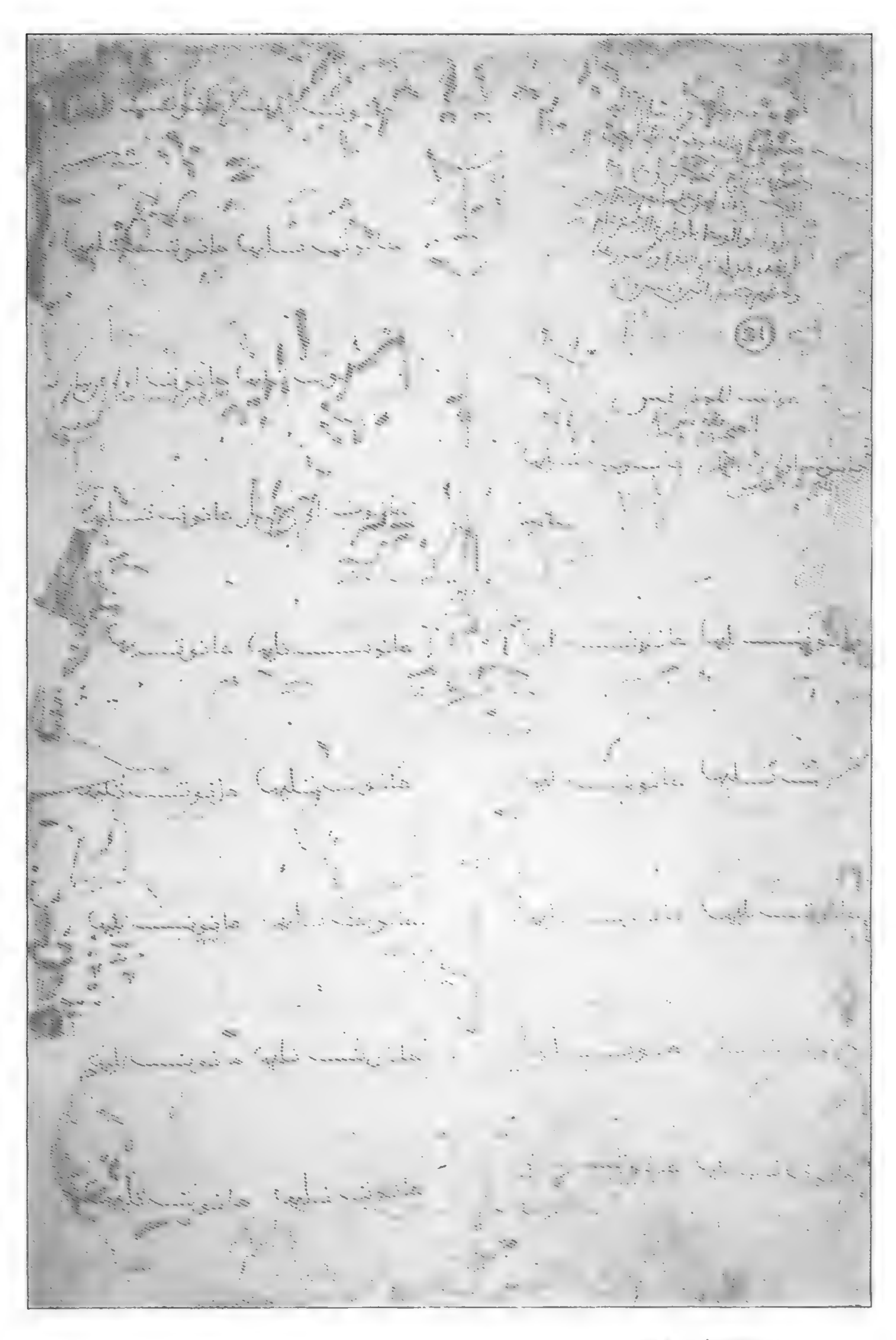
رقم (٣٧١) / ص ٦٧٢

اتخذ عهد الاستقلال من بعض الفنادق القديمة مثوى للطلاب الذين كانوا يتهافتون على فاس، وهذا فندق النجارين الذي امسى مسكنا لطلبة العلم.



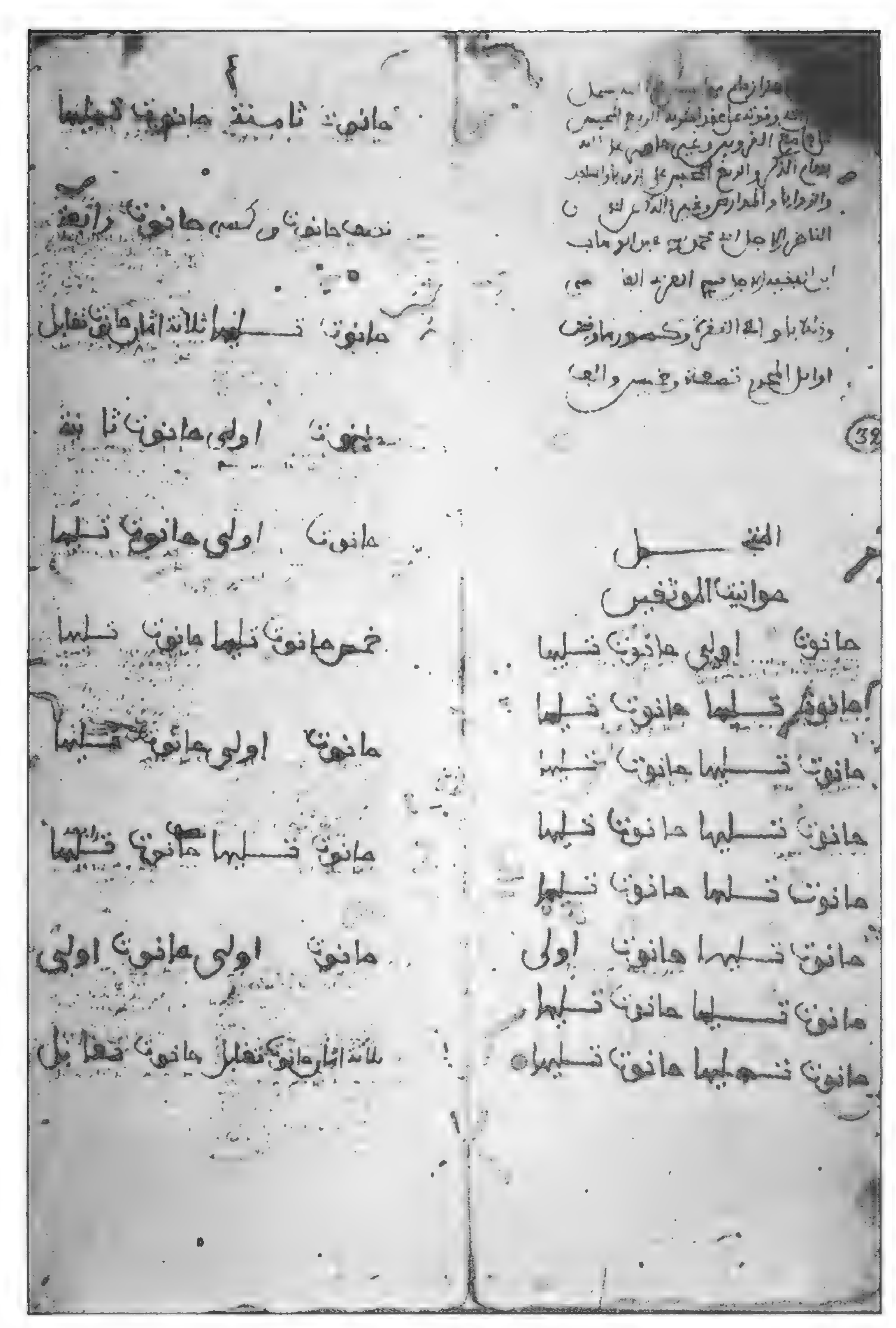
رقم (٣٧٢) / ص ٦٨٣

كان المسجد المعروف بجامع الرصيف احد فروع القرويين الهامة وقد أدركنا به عددا من الكراسي العلمية، هذا أحد أبوابه الكبرى من جهة رحبة الزبيب.



رقم (٣٧٣) / ص ٧٠٥

حوالة ١٠٥٢ بداية عهد الدولة العلوية ، وهذا زمام يتضمن عقود اكرية الربع المحبس على جامع القرويين والاندلس والمساجد والمدارس والزوايا ويلاحظ ابتداء الحوالة بحوانيت الموثقين.


المفصل
حوانيت الموثقين

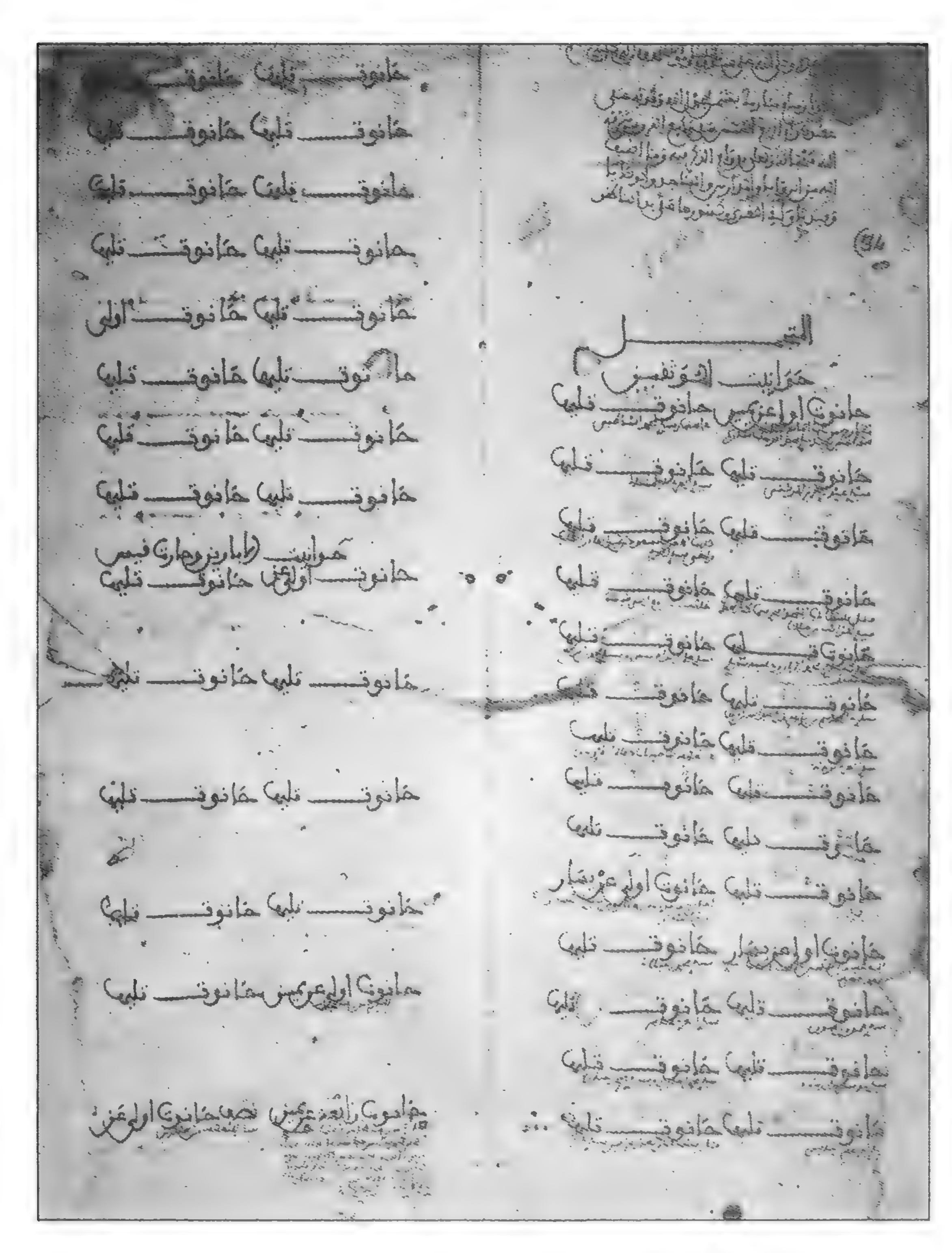
رقم (٣٧٤) / ص ٧٠٥

حوالة ١٠٥٩ مكتوبة على رق الغزال وكان الناظر على ذلك العهد عبد الوهاب بن الشيخ العربي الفاسي وقد ابتدأت على العادة بحوانيت الموثقين.



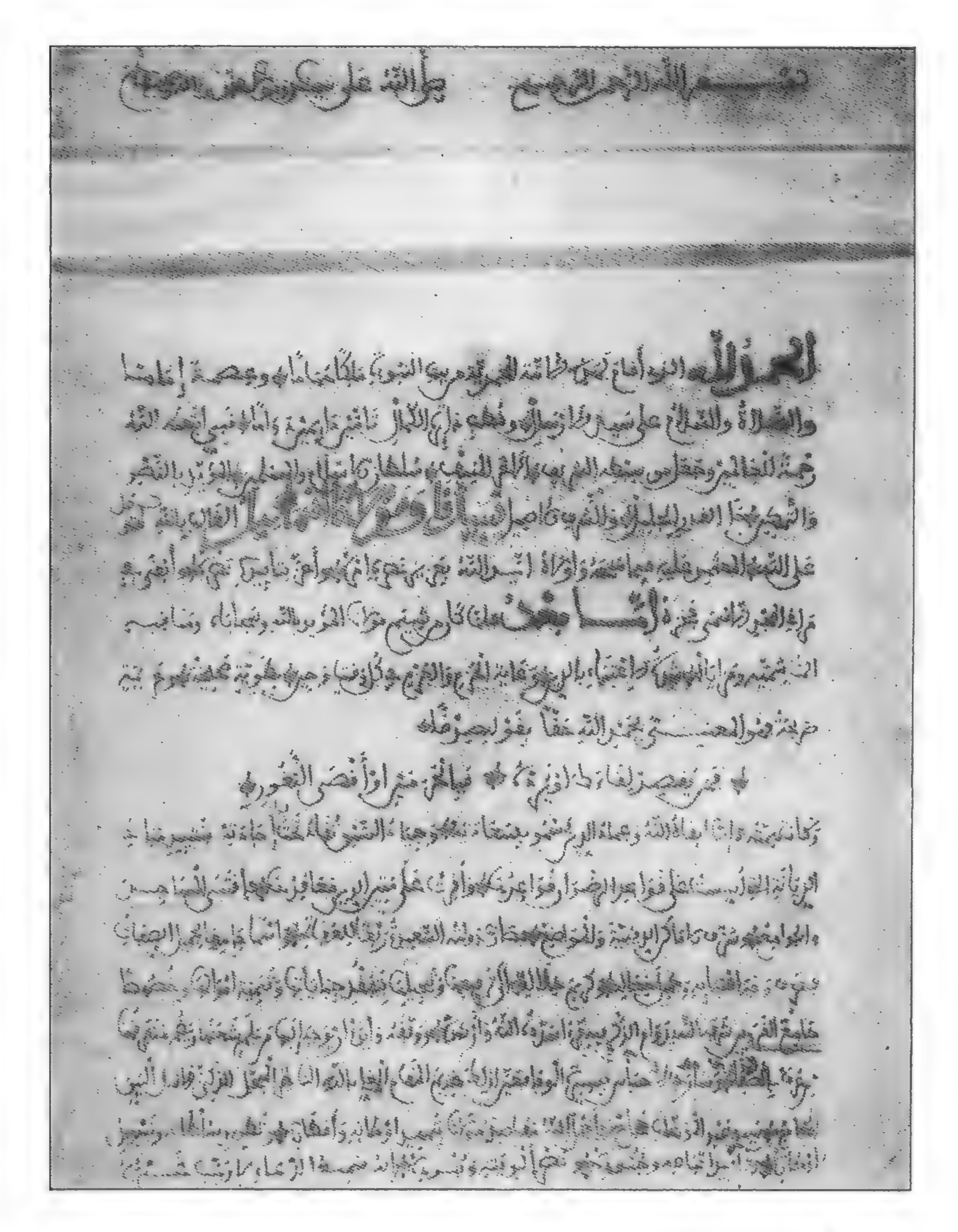
رقم (٣٧٥) / ص ٧٠٦

حوالة ١٠٧٥ عهد السلطان المولى الرشيد وقد كان الناظر هو العربي الشفشاوني وكان الكاتب هو مسعود الطليط .



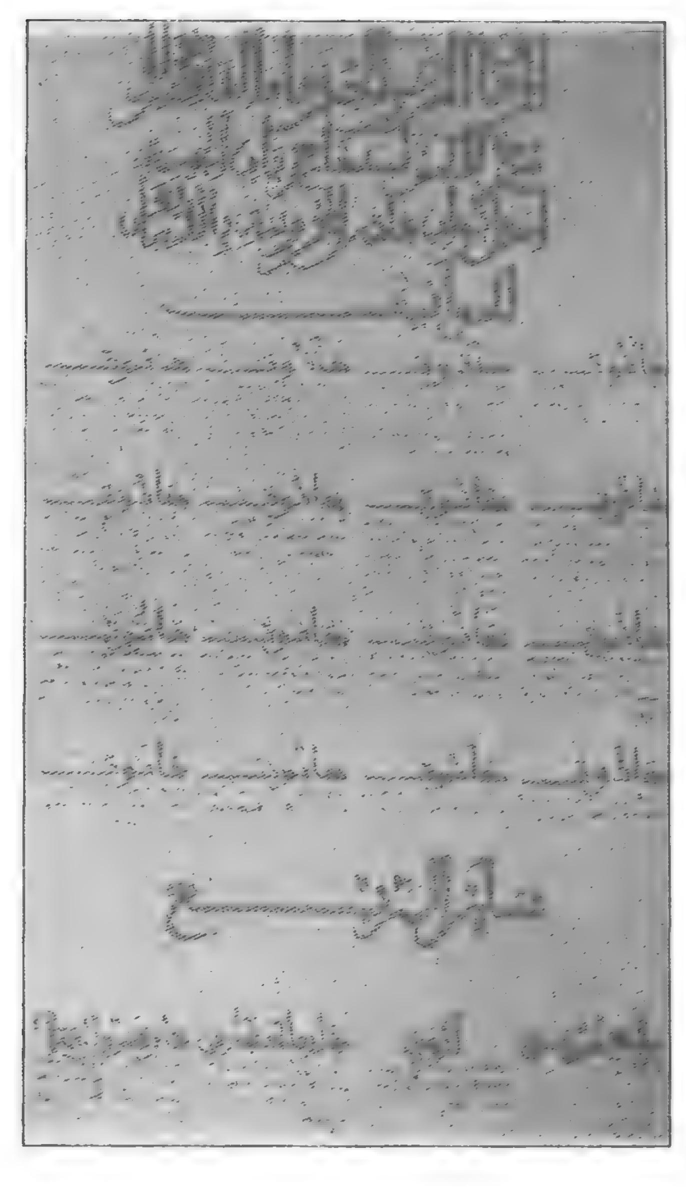
رقم (٣٧٦) / ص ٧٠٦

حوالة ١٠٧٩ وقد تيمّنت كما هي العادة - بالابتداء بحوانيت الموثقين . .



رقم (٣٧٧) / ص ٧٠٦

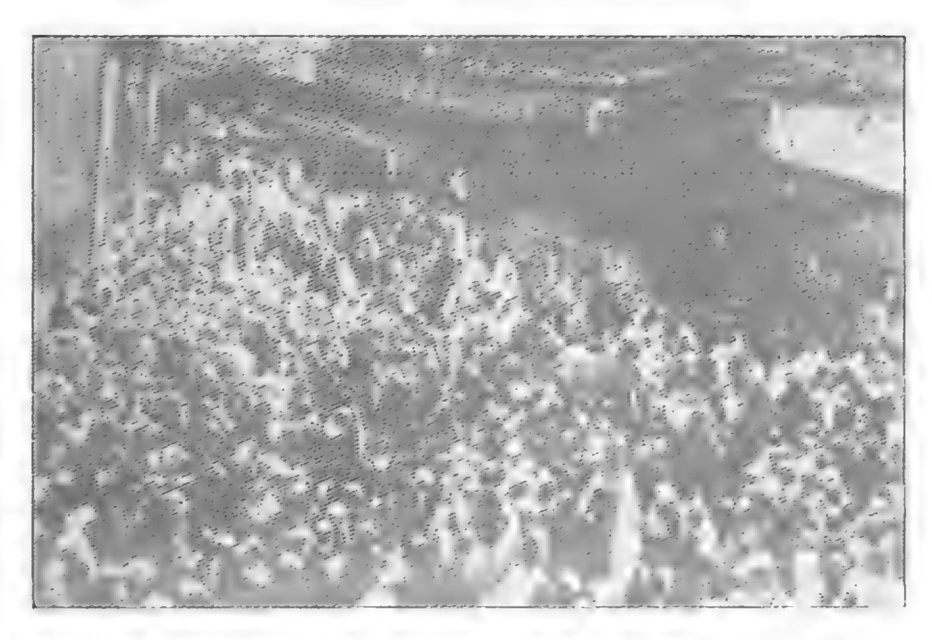
الحوالة الاسماعيلية لعام ١١١٥ وقد امتازت بما لم تسبقها اليه اي حوالة من قبل من حيث مسطرتها وضبطها واتقانها .



رقم (٣٧٨) / ص ٧٠٧
الحوالة السليمانية لعام ١٢١٩ هـ من اجمل الحوالات التي اكتسبتها القرويين عبر تاريخها .

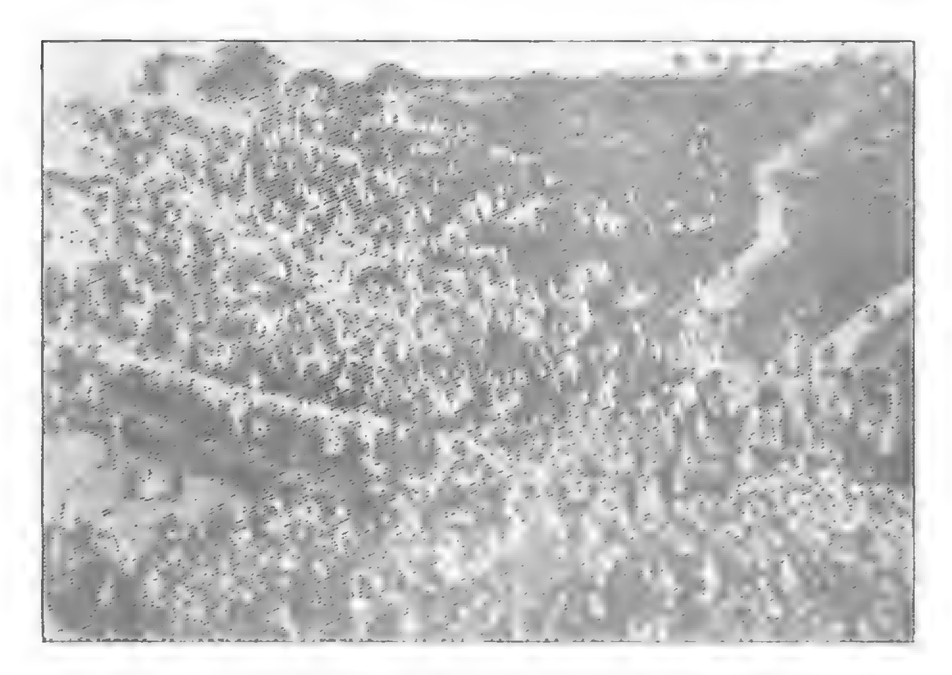
رقم (٣٧٩) / ص ٧١٩
يحتفظ الطلبة الافاقيون الذين يردون على القرويين بسائر مميزاتهم ، صورة لطالب يتخذ من غطائه متكأ بينما هو غارق في قراءة احدى الكراسات .





رقم (٣٨٠) / ص ٧١٩

منظر لموكب قديم لسلطان الطلبة عند باب ضريح سيدي علي بوغالب ، يرى السلطان وقد رفعت على رأسه مظلة الملك لتقيه حر الشمس !



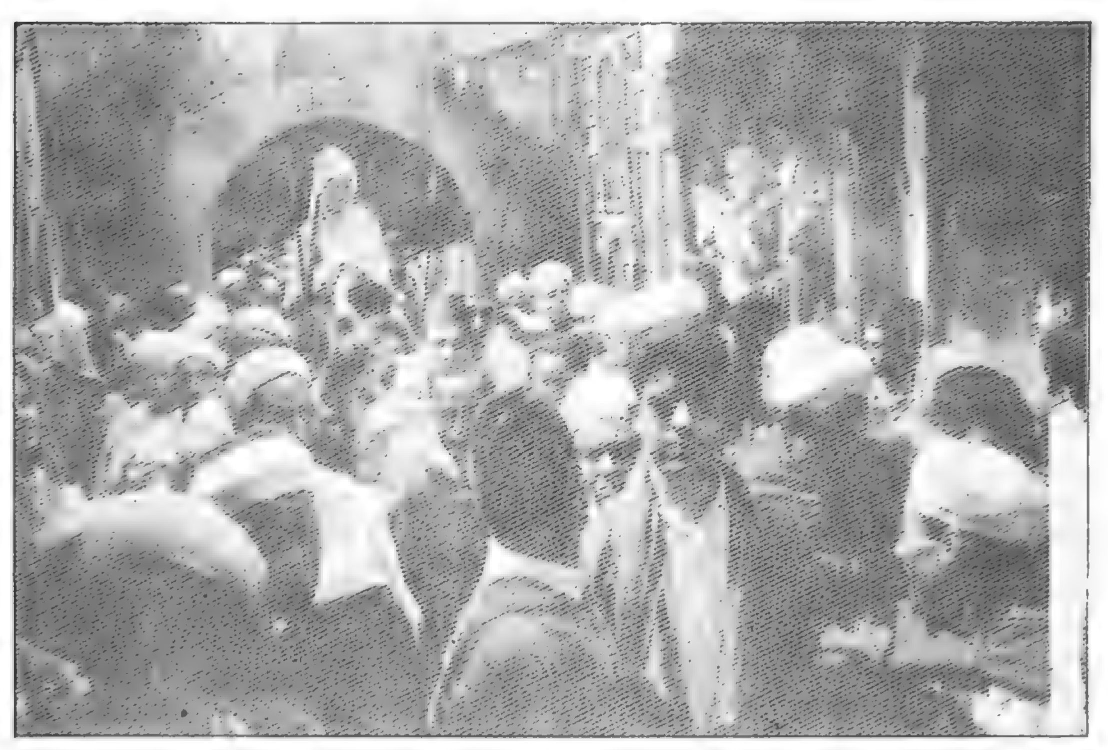
رقم (٣٨١) / ص ٧١٩

رسم قديم آخر لموكب سلطان الطلبة وقد خرج من باب الفتوح متوجها لزيارة ضريح سيدي حرازم حيث دفن السلطان المولى الرشيد.



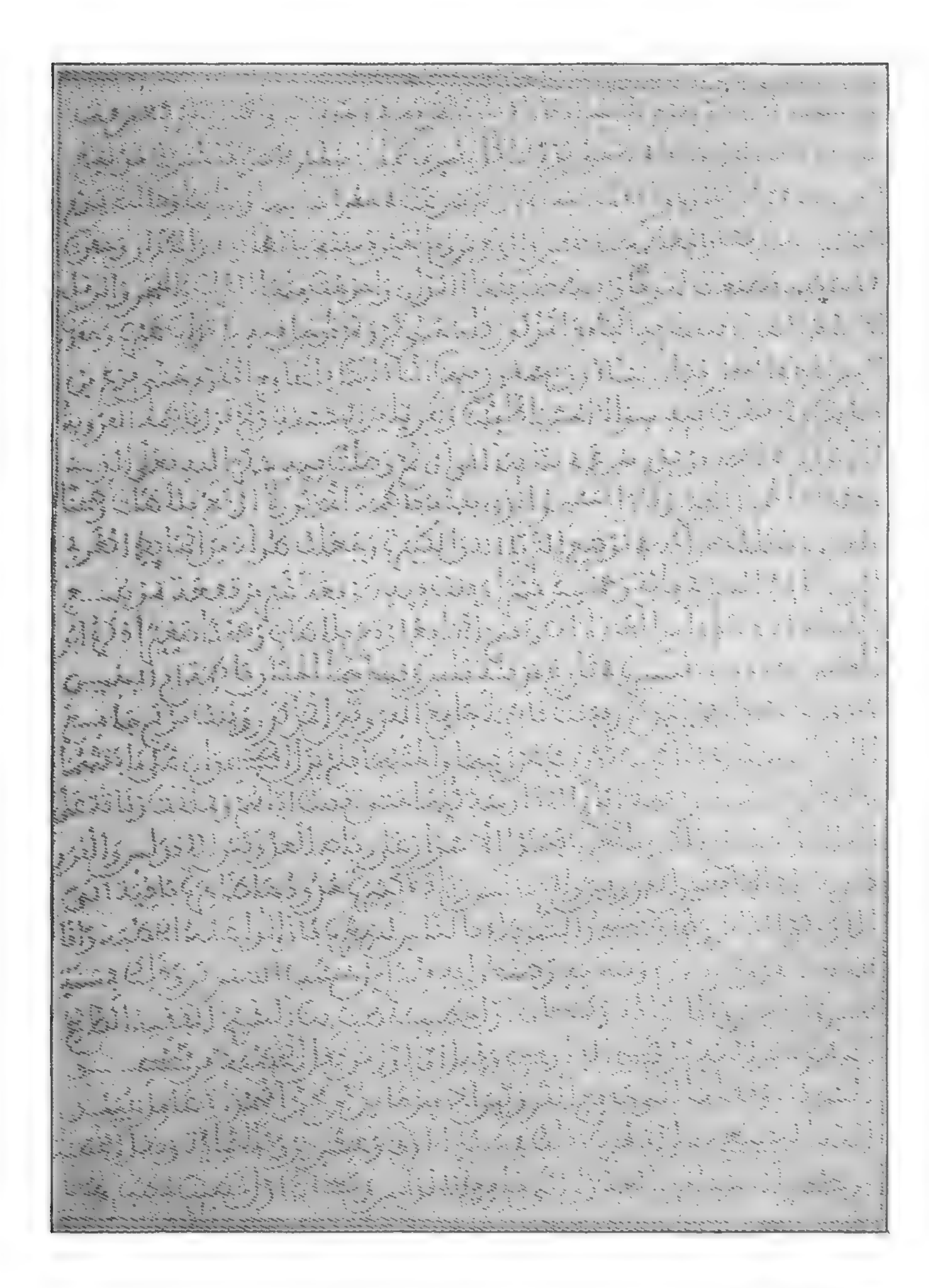
رقم (٣٨٢) / ص ٧١٩

صورة حديثة لموكب سلطان الطلبة بعد عودة الملك محمد الخامس من منفاه ، تتقدمه الطبول والمزامير.



رقم (٣٨٣) / ص ٧١٩

صورة اخرى حديثة لسلطان الطلبة يحيط به مقدمو الحارات وزملاؤه الطلبة .

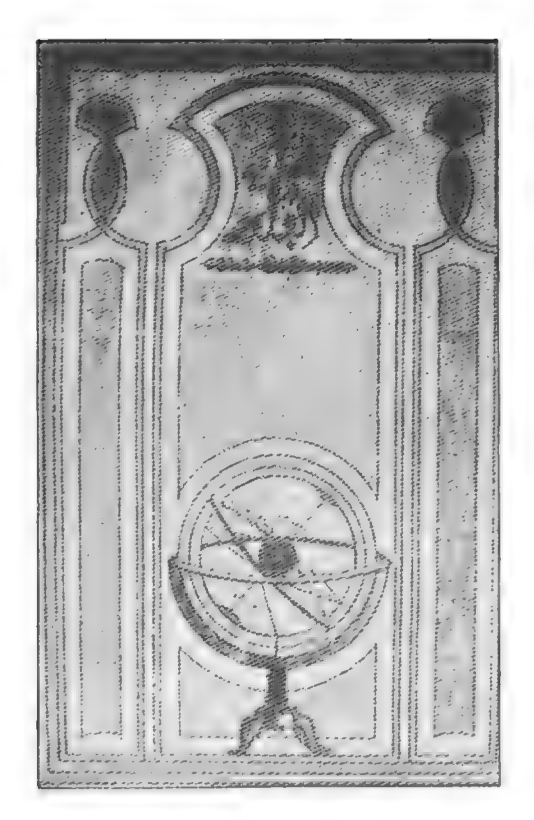


رقم (٣٨٤) / ص ٧٣٠
صفحات من كتاب روض القرطاس في تاريخ مدينة فاس الذي اصدرته المطبعة الحجرية بمدينة فاس .



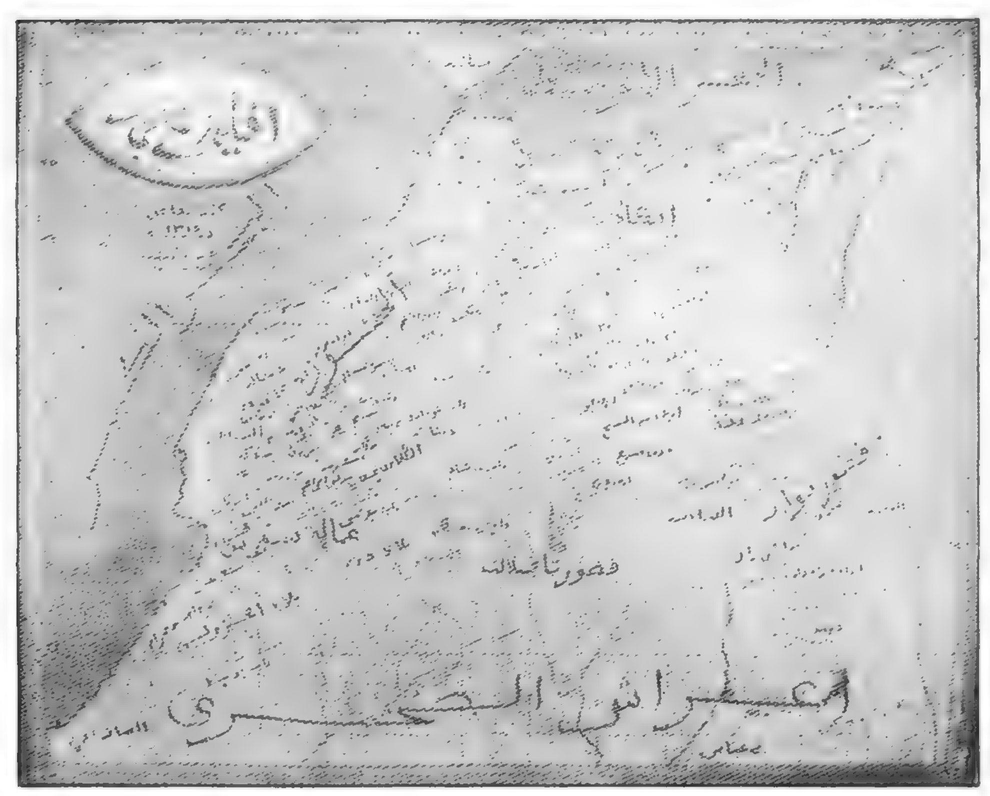
رقم (٣٨٥) / ص ٧٣٢

الصفحة الاولى من كتاب الجغرافية المغربية الذي الفه أبو العباس أحمد شهبون ويلاحظ استعماله للارقام الهندية عند ترتيب مواد الكتاب متأثراً في ذلك بدراسته في مصر القاهرة .



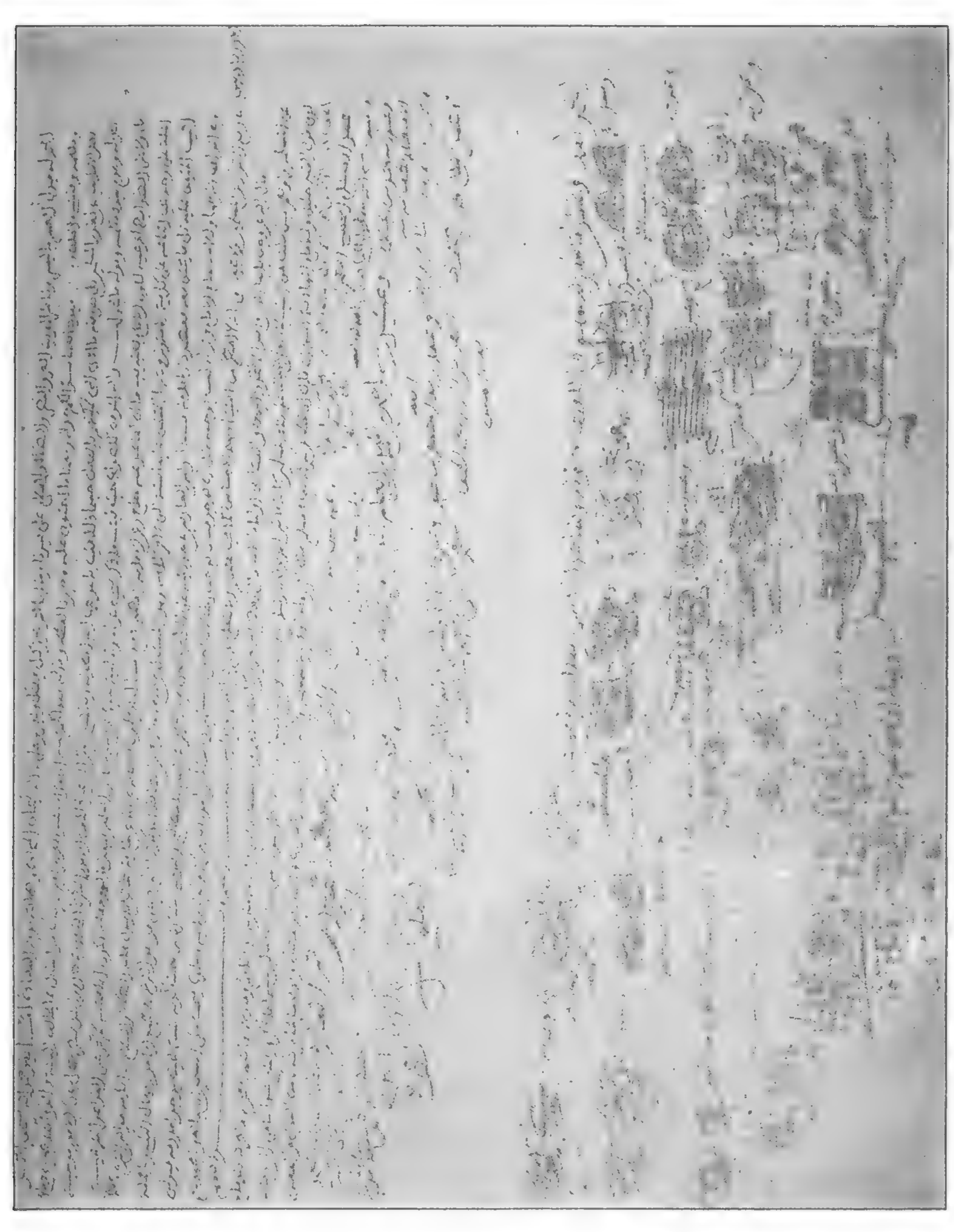
رقم (٣٨٦) / ص ٧٣٢

صورة الفلك حسب كتاب الجغرافيّ المغربي ابي العباس أحمد شهبون ...



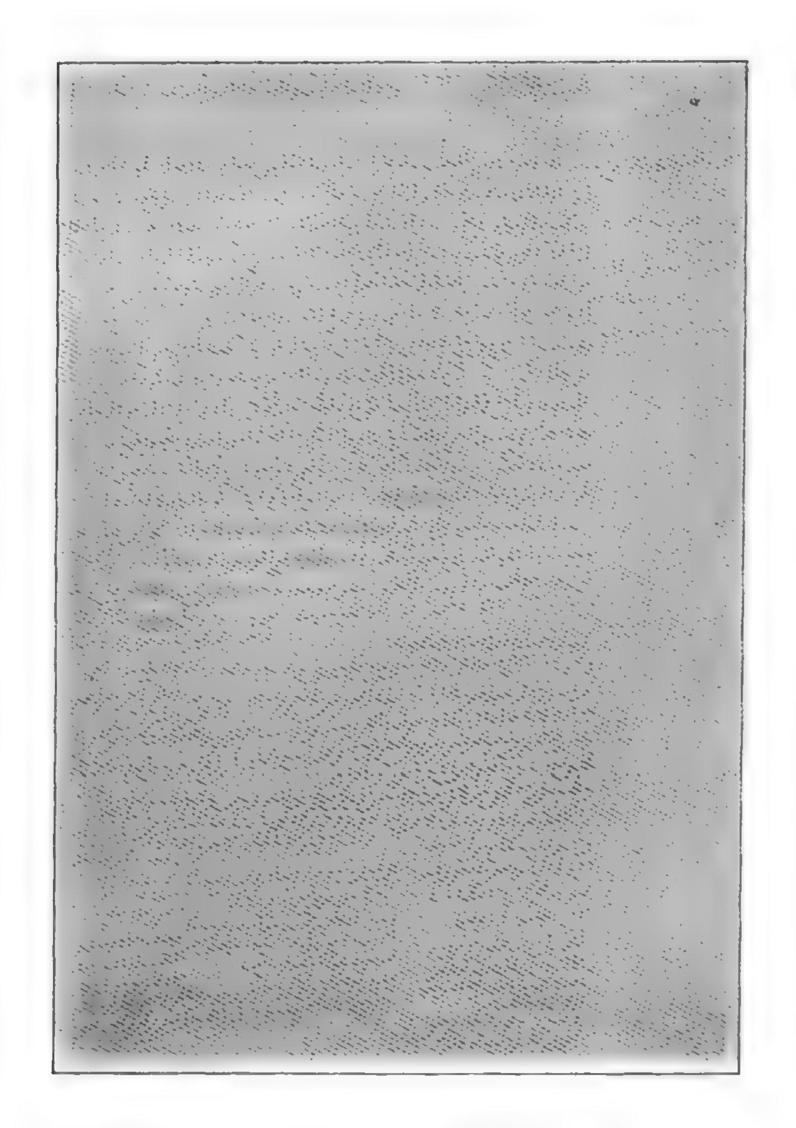
رقم (٣٨٧) / ص ٧٣٢

اقليم المغرب كما رسمه الجغرافيّ المغربي احمد شهبون ..



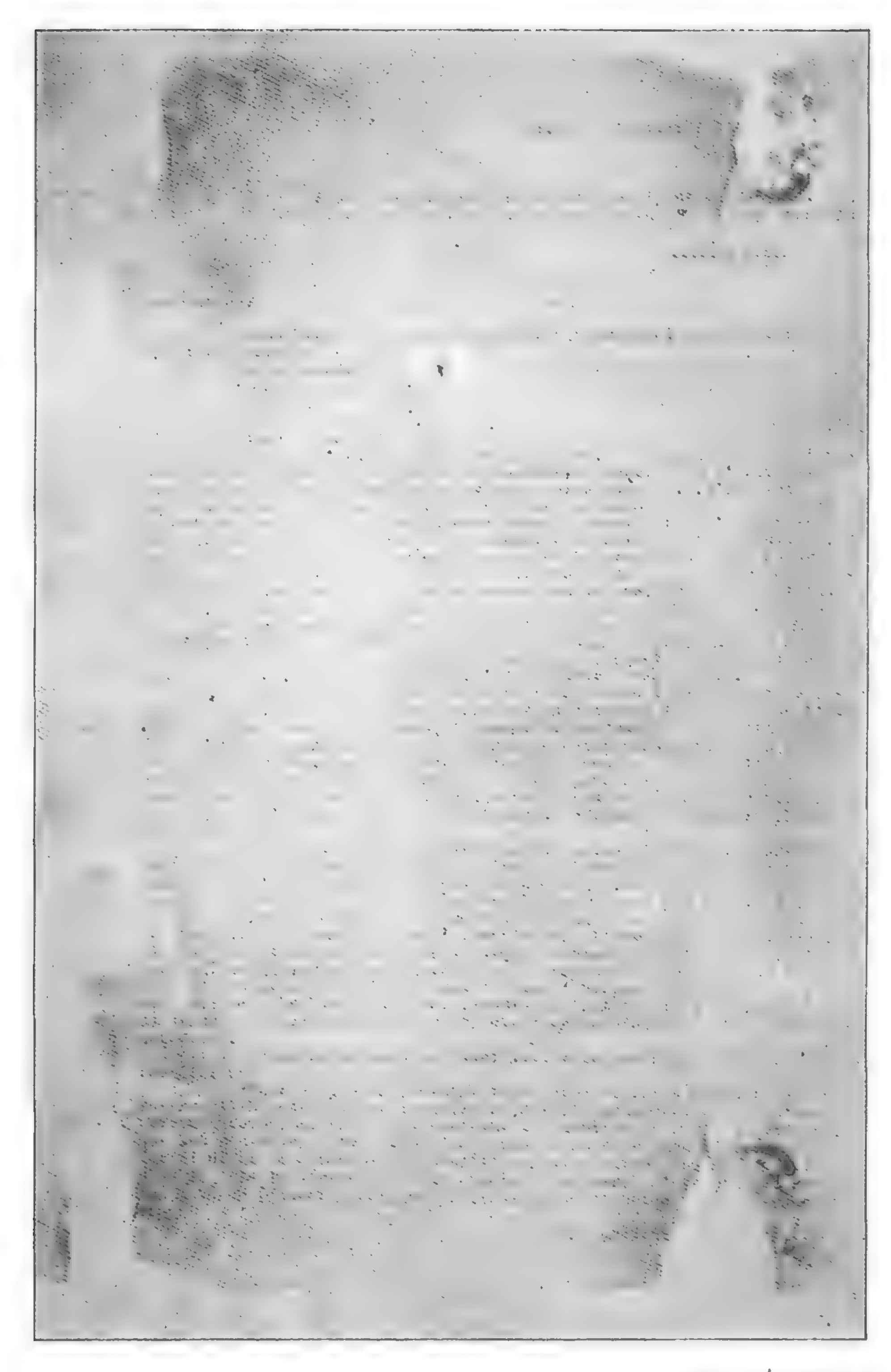
رقم (٣٨٨) / ص ٧٤١

كان في صدر الذين حاولوا التشغيب على السلطان المولى عبد الحفيظ بعض ممن تزعموا بالامس حركة الفتوى ضد اخيه السلطان المولى عبد العزيز ممن تحمل هذه الوثيقة توقيعاتهم ...



رقم (٣٨٩) / ص ٧٤٤

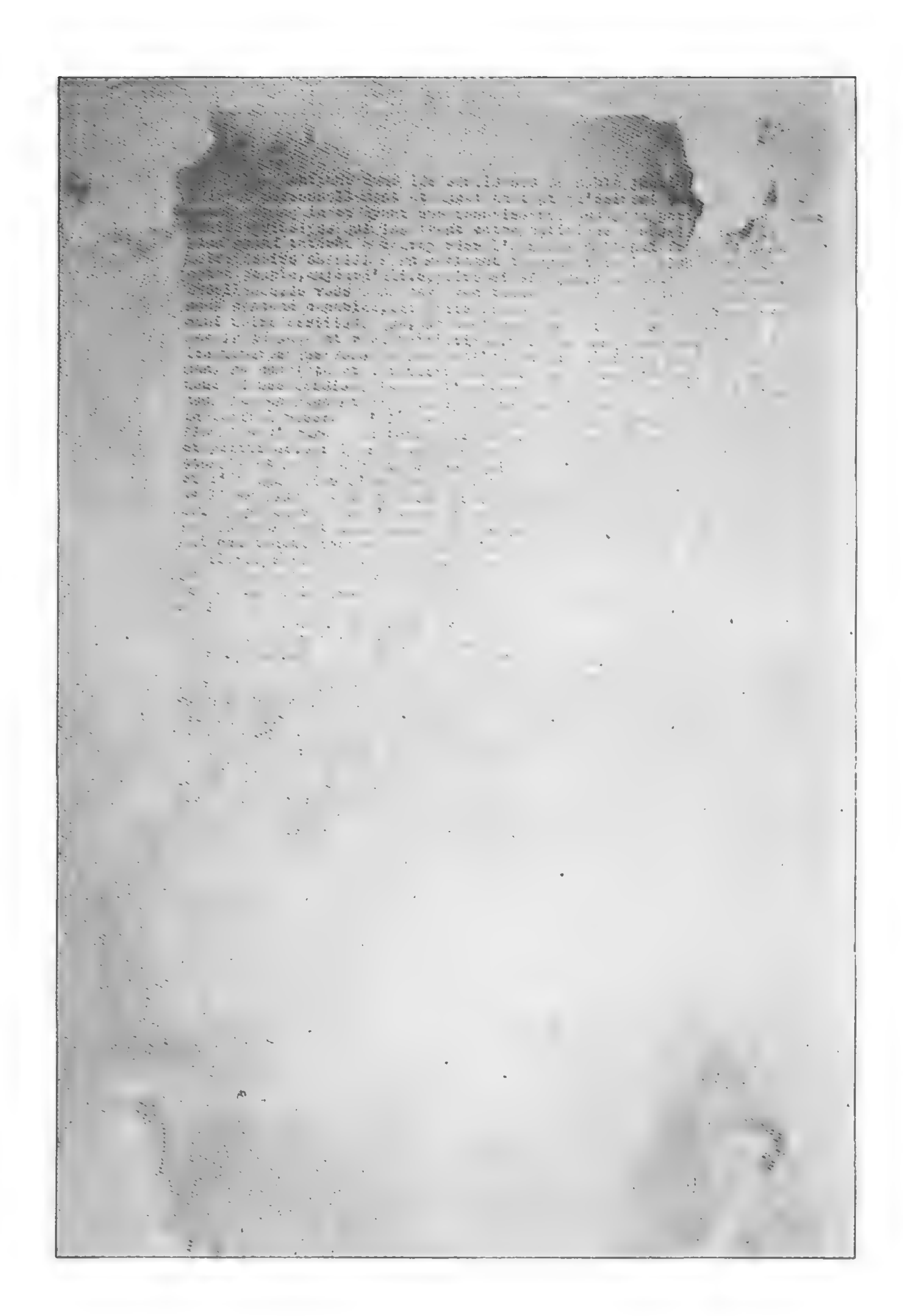
صورة من الرسالة التي رفعها علماء القرويين الى امير المؤمنين سلطان الاسلام والمسلمين في موضوع الاحتجاج على على ان الميزانية لا تتحمل اكثر من اثني عشر عالما...

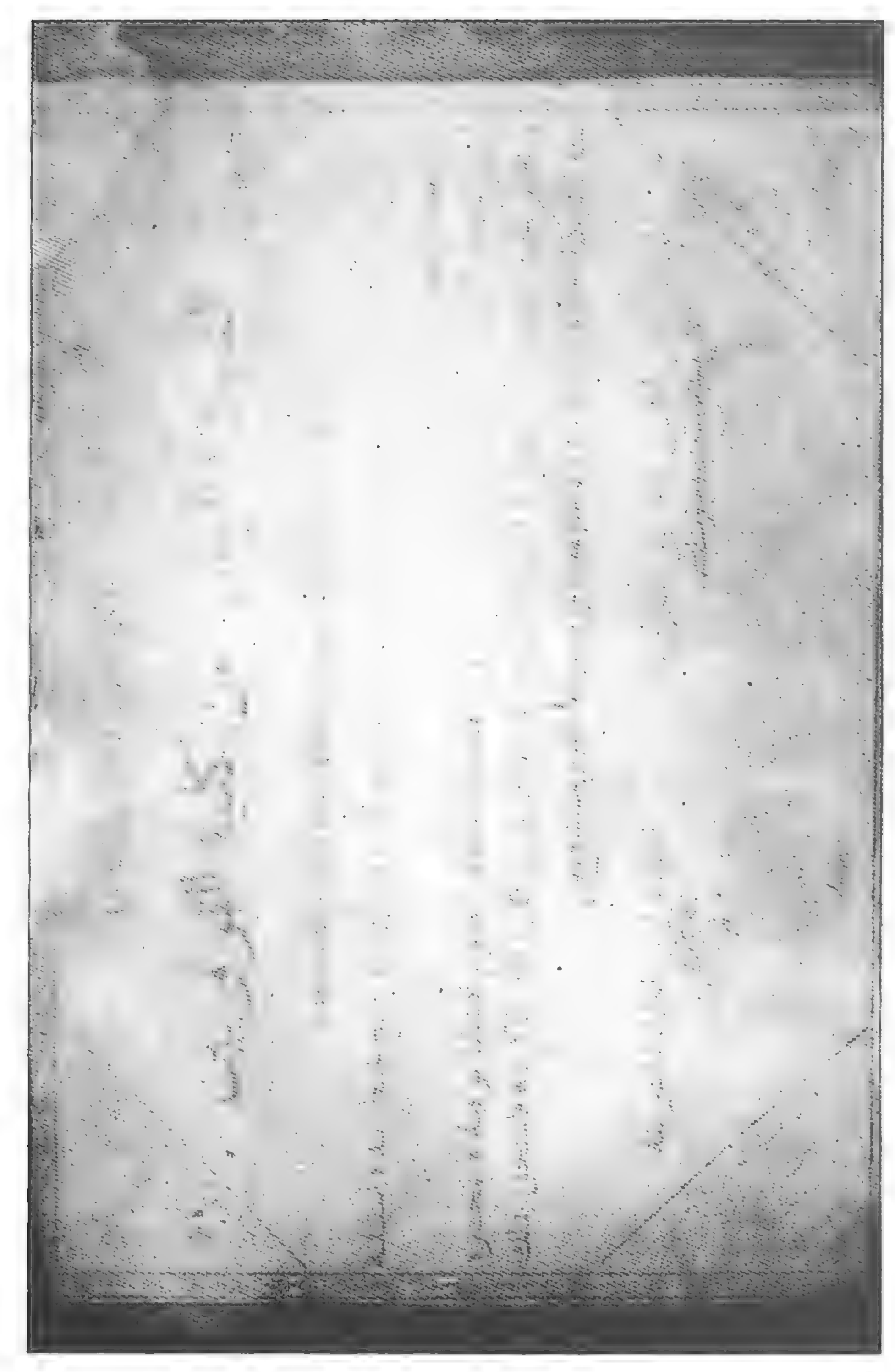


رقم (٣٩٠) / ص ٧٥٩

رسالة صارخة الى رئيس الوزارة ووزير الخارجية للجمهورية الفرنسية تحمل تاريخ ٣٠ يناير ١٩٣٣ يشتكي فيها العلماء الثلاثة من الحيف الذي وقع عليهم .







رقم (٣٩١) / ص ٧٦٧

صورة من الشهادة النهائية لكلية القرويين وهي تحمل توقيع وزير العدلية ورئيس المجلس العلمي.



رقم (٣٩٢) / ص ٧٧٢

انتسب عدد كبير من فتيات فاس الى جامعة القرويين ابتداء من السنوات الاولى للطور الثاني من التعليم (الثانوي) .. هذا فصل من فصول المعهد التابع للجامعة .



Le Sultan du Maroc continue de recevoir diverses personnalités. Le voici s'entretenant avec les Oulémas ve-

من سان جيرمان آن ليا يوم الاثنين 21 ربيع الأول 1375 الموافق 7 نونبر 1955 (مجلة دعوة الحق مارس 1969)



رقم (٣٩٣) / ص ٧٧٢
طار علماء جامعة القرويين الى باريز للتملّي من رؤية الملك محمد الخامس ووقف امامهم في (سان جيرمان آن لي) يوم ٦ / ١١ / ١٩٥٥ يبادلهم العواطف ويتحدث اليهم عن مغرب الغد.

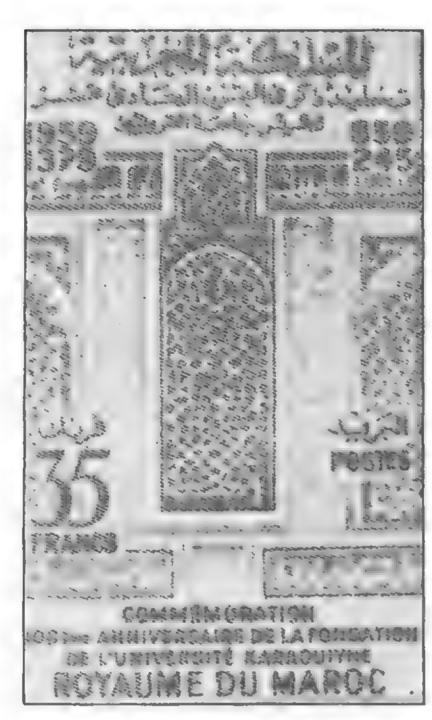


رقم (٣٩٤) / ص ٧٧٥
الملك المنعم يبشر بمستقبل جامعة القرويين











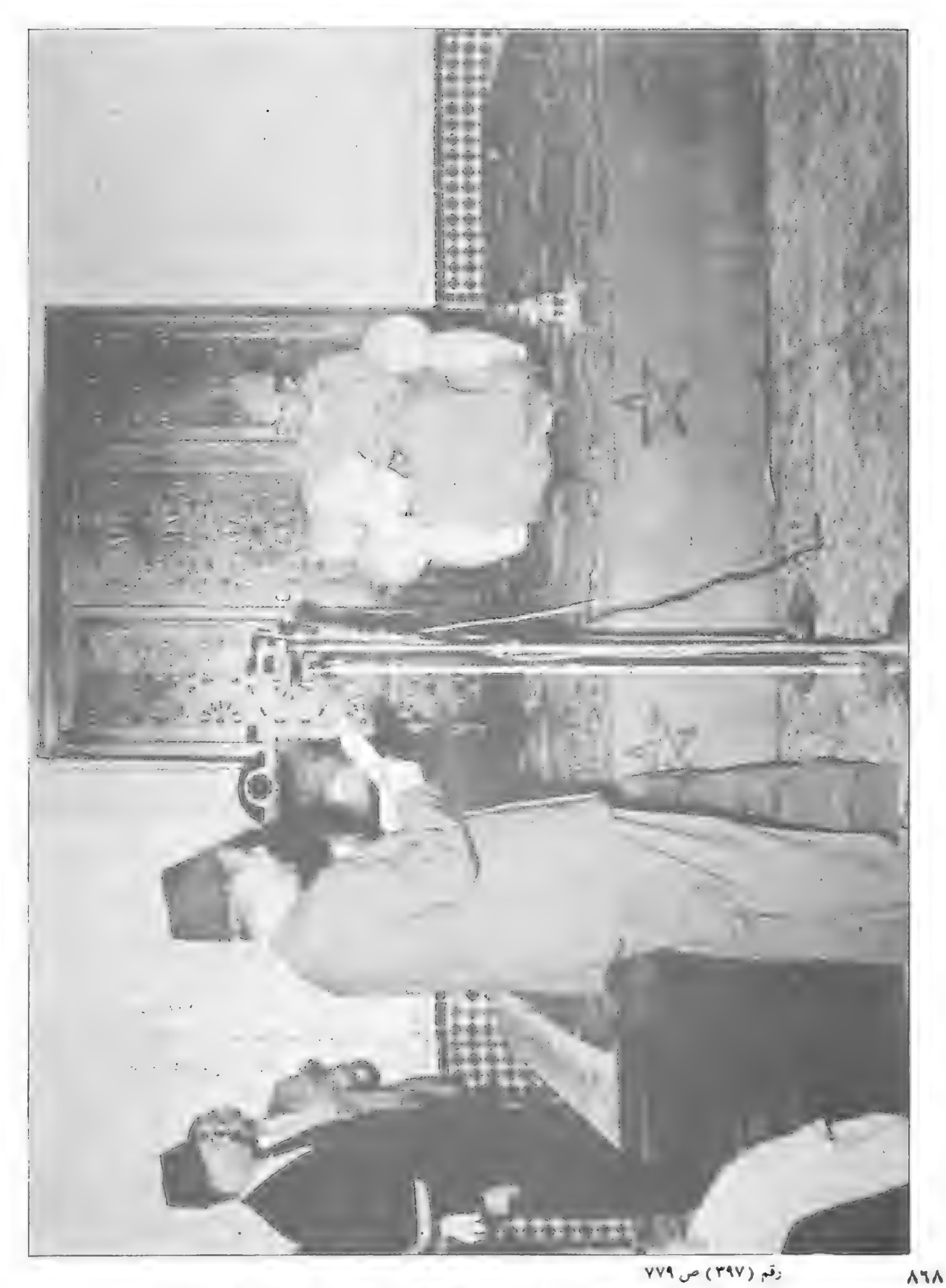
رقم (٣٩٥) / ص ٧٧٩

الطوابع الخمسة التي اصدرتها وزارة البريد خصيصا لمهرجان عيد القرويين.



رقم (٣٩٦) / ص ٧٧٩

الملك العظيم محمد الخامس يخترق ازقة مدينة فاس ليرأس الاحتفال الضخم بعيد جامعة القرويين بمناسبة مرور احد عشر قرنا على تأسيسها وقد حضره ممثلو سائر الجامعات العلمية من مختلف القارات .



رقم (٣٩٧) ص ٧٧٩

الاستاذ عبد الكريم بن جلون وزير التربية الوطنية يلقي خطابه امام العاهل في قاعة خزانة القرويين الكبرى حيث حضر عمداء الجامعات العالمية والوزراء والسفراء.

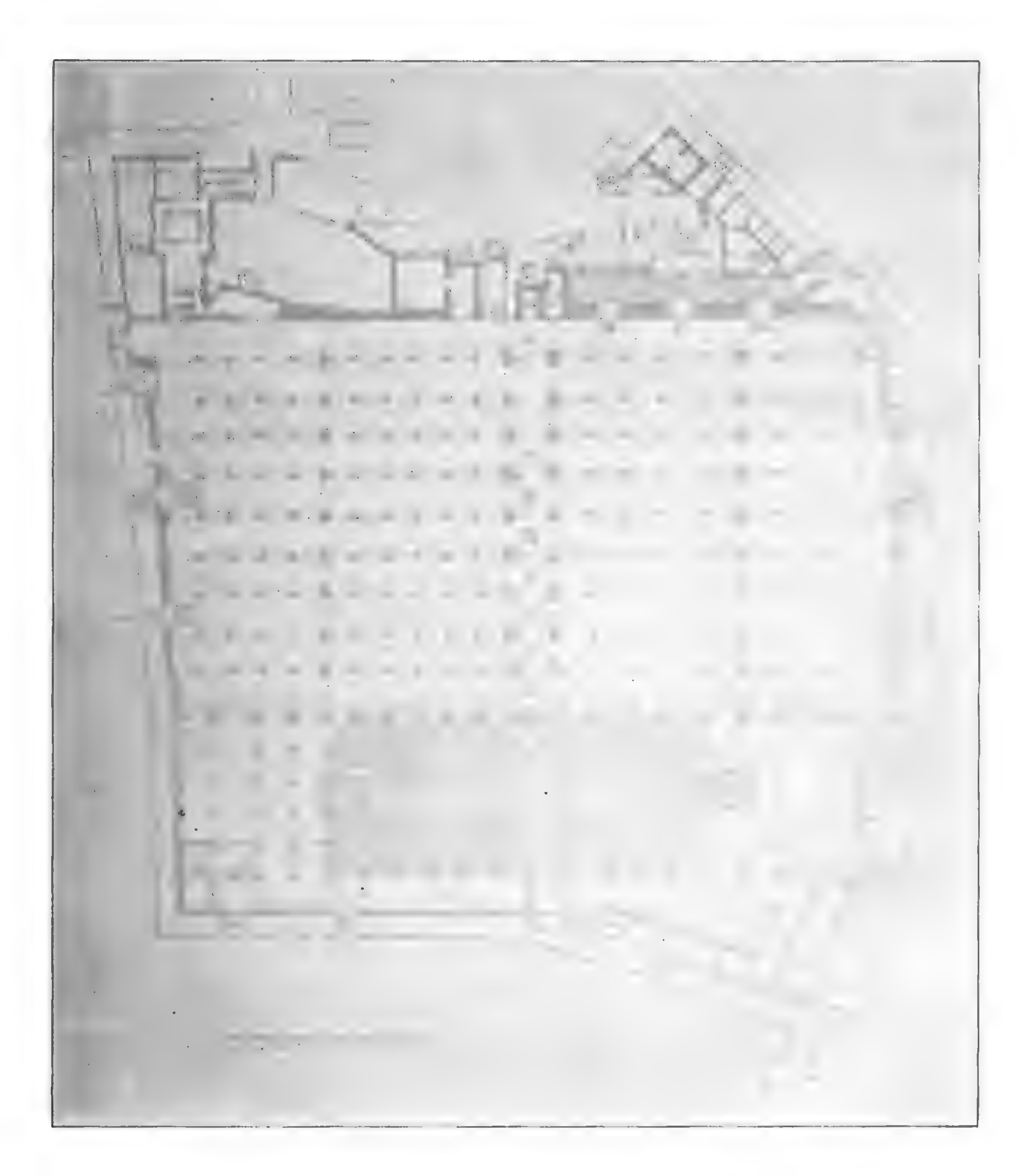


رقم (٣٩٨) / ص ٧٧٩

تقاطرت على مهرجان عيد القرويين عشرات التهاني من شتى الجامعات العلمية بمختلف جهات العالم كان فيها ما كتب على رق الغزال، وهذه تهنئة جامعة سراييفيو لجامعة فاس وقد اتى بها الأستاذ مدحت بيكيشت.



رقم (٣٩٩) / ص ٧٧٩
احدى الجلسات الخطابية التي اعقبت حفلة الافتتاح ، وقد عقدت هذه الجلسات بقاعة من مقر جامعة القرويين الجديد بقصبة الشراردة تلاحظ طائفة من رؤساء الوفود .



رقم (٤٠٠)
التصميم الحديث لجامع القرويين وقد حمل ارقاماً تشير الى مختلف جهاته الهامّة.

تصميم جامع القرويين
وضع أصوله بوتى
وعدلته مفتشية المباني التاريخيـــــــة
بفاس عام ١٩٦٠ ودائرة الآثار ببغداد
عام ١٩٧٠ .

١) باب محكمة القاضي بسماط العدول
٢) باب الموثقين من جامع القرويين
٣) باب الشماعين
٤) باب الكتبيين القديم
٥) باب الصالحين الغربي
٦) باب القطاعين او السبطريين
٧) خلوة الاسبوع العليا
٨) باب الخلفاء
٩) باب مجلس القضاء القديم
١٠) باب الفرخة او الستر

١١) خزانة المصاحف المرينية
١٢) خزانة المخطوطات السعدية
١٣) باب الحدودي التي صارت مصرية الامام الخطيب
١٤) دار المجلس العلمي والخزانة العلوية
١٥) خلوة الاسبوع السفلى
١٦) باب الخلوة
١٧) باب السبع لويات
١٨) باب ابن حيون
١٩) باب ابن عمر او المعدة
٢٠) باب النساء القديم
٢١) باب الخصة
٢٢) باب الورد
٢٣) باب الحفاة
٢٤) سقاية الشباك
٢٥) جامع الجنائز

٢٦) قبة المحراب
٢٧) مقصورة الامام
٢٨) باب للمقصورة من جامع الجنائز
٢٩) قوس المنبر
٣٠) باب الرواح الادنى

٣١) باب الرواح الاوسط
٣٢) باب الرواح الاعلى
٣٣) ثريا علوية
٣٤) ناقوس اصبح ثريا
٣٥) الثريا الكبرى الموحدية
٣٦) ناقوس ثريا . .
٣٧) ناقوس ثريا
٣٨) الناقوس الاكبر
٣٩) الناقوس من عهد الموحدين
٤٠) ثريا مرينية

٤١) العنزة : المحراب الصيفي
٤٢) الجرس الثريا (باب الشماعين) .
٤٣) مئذنة القرويين الزناتية
٤٤) الخصة الحسناء وقبتها
٤٥) الخصة السعدية وقبتها
٤٦) الخصة الوسطى (علوية)
٤٧) الخزانة العلمية المرينية
٤٨) رواق ابن عبّاد وتحته مستودع
٤٩) الرواق الاوسط وتحته أحدث متوضّا
٥٠) رواق باب الحفاة وتحته أحدث متوضّا . . .

كتب مطبوعة للمؤلف

1) تفسير سورة النور (1365-1946) مطبعة فضالة – المحمدية 1405-1984.
2) آداب لأمية العرب، المطبعة الوطنية – الرباط 1953 .
3) أحد عشر قرنا في جامعة القرويين (بالعربية والفرنسية والانجليزية) مطبعة فضالة – 1960 .
4) أعراس فاس، مطبعة فضالة – المحمدية 1961 .
5) تحقيق (تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة) حول تاريخ الأندلس والمغرب على عهد الموحدين طبعات، بيروت 1964، بغداد 1979، بيروت 1989 .
6) جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي، مطبعة فضالة – المحمدية 1967 .
7) تاريخ العلاقات المغربية الأمريكية (بالانجليزية) مطبعة فضالة – المحمدية 1967.
8) لو أبصرت ثلاثة أيام، (ترجمة عن الانجليزية) للكاتبة الأمريكية كيلير هيلين ادامز 1970-1990 الرياض.
9) جامع القرويين المسجد الجامعة بمدينة فاس (ثلاث مجلدات) بيروت 1972.
10) ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي، مطبعة فضالة – المحمدية 1976.
11) قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا، مطبعة فضالة – المحمدية 1976.
12) في ظلال العقيدة، دار الثقافة الدارالبيضاء 1397–1977.
13) صقلية في مذكرات السفير ابن عثمان، مطبعة فضالة – المحمدية 1977.
14) التعليم في الدول العربية (مطبعة اليونسكو) في ثلاث لغات 1977.
15) رسائل مخزنية (القسم الأول) مطبعة أكدال – الرباط 1979،
16) العلاقات المغربية الايرانية، مطبعة أكدال – الرباط 1979.
17) القنص بالصقر بين المشرق والمغرب. المطبعة العصرية – الرباط 1980.
18) الحماية الفرنسية بدئها – نهايتها، مطبعة الرشاد الحديثة، البيضاء 1980.
19) أوقاف المغاربة في القدس، مطبعة فضالة – المحمدية 1981.
20) تحقيق (النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة) لابن أبي الرجال، نشر جامعة صنعاء 1980.
21) صاحب السمو الملكي ولي العهد سيدي محمد في أول مهمة سياسية بإفريقيا، مطبعة أكدال – الرباط 1982. / دار نشر المعرفة 1999.
22) الرموز السرية في المراسلات المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1983.
23) تحقيق (الفريد في تقييد الشريد) حول القنص بالصقر لأبي القاسم الفجيجي، مطبعة النجاح، البيضاء 1983.
24) إيران بين الأمس واليوم، مطبعة النجاح الجديد، البيضاء 1984.
25) الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية (بالعربية والفرنسي والانجليزية) مطبعة المعارف، الرباط 1405-1985.
26) المغراوي وفكره التربوي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض 1986.
27) التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، في اثني عشر مجلدا سوى الملاحق (ثلاث مجلدات) مطبعة فضالة، المحمدية 1406-1986 .
28) التاريخ الديبلوماسي للمغرب بالأشرطة المرسومة بالإشتراك مع ثلة من الأساتذة. رقم الايداع القانون 635.90.
29) المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، نشر 1992-1413 FRIEDRICH EBERT STIFTUNG 53170 BONN
30) تحقيق المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، لابن زيدان، مطبعة إيديال 1993.
31) تحقيق رحلة ابن بطوطة، نشر أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط 1417-1997.
32) القدس والخليل في الرحلات المغربية، نشر منظمة الايسيسكو – الرباط 1413-1997.
33) الوسيط في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية.

الطب النبوي بين علماء المشرق والمغرب، 1420هـ – 2000م.

معرباتي عن الفرنسية والانجليزية.

مذكراتي.

CONTRIBUTION A L'HISTOIRE DU MAROC

LA MOSQUEE AL QARAOUIYYINE

La Mosqué-Université de Fès histoire architecturale et intellectuelle

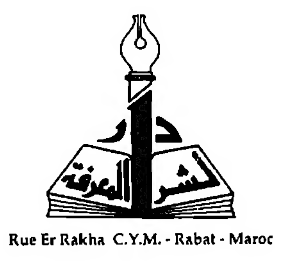
Par

ABD EL HADI TAZI

Docteur ès-Lettres

MEMBRE DE L'ACADEMIE DU ROYAUME DU MAROC

TOME 3



Rue Er Rakha C.Y.M. - Rabat - Maroc

1ère édition DAR AL-KITAB ALLUBNANI 1972
2ème édition DAR NACHER EL MAARIFA - Rabat 2000 - Maroc

Dépôt légal n° 295/2000

ISBN 9981 - 808 - 45 - 8



LA MOSQUEE
AL QARAOUIYYINE


CONTRIBUTION A L'HISTOIRE DU MAROC

LA MOSQUEE AL QARAOUIYYINE

La Mosqué-Université de Fès
histoire architecturale et intellectuelle

TOME III

Par
Dr. ABDELHADI TAZI

DAR NACHR EL MAARIFA - RABAT-